جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي

إعداد
فادي صقر أحمد عصيدة

إشراف
الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربيـة وآدابهـا بكليـة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2006م

جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي

إعداد

فادي صقر أحمد عصيدة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 18 /4 /2006م، وأجيزت.

أعضـــاء لجنة المناقشة	التوقيع
- الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح/ رئيساً	....
- الأستاذ الدكتور أحمد حامد/ ممتحناً داخلياً	....
- الدكتور زهير إبراهيم/ ممتحناً خارجياً	....

الإهـــــداء

إلى الذين رحلوا عن دنيانا إلى جوار ربنا... شهداء فلسطين جميعا

إلى اللذين علماني أن أمسك القلم، وأحاطاني بالدعاء والرضا... أمي، وأبي ... أطال ا عمرهما

إلى التي لها في القلب ما لها... إلى زوجتي الغالية

إلى ولدي الحبيب الصغير... قتادة

إلى إخواني وأخواتي (فائدة، وأحمد، ومحمد، ومحمود، وسندس، وآلاء)

إلى كل محب لوطنه، مدافع عن دينه، غيور على لغة القرآن الكريم..

إلى كل من قدم لي عوناً

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا

الشكـر والتقـديـ ـ ـر

ومن حق الوفاء علي أن أتقدم بالشكر الوافر للأستاذ الدكتور وائل أبو صالح كفـاء ما قدم من جهد طيب، وبذل من علمه الغزير ووقته الثمين، وكتبه المهمة.

وإلى الخال العزيز الأستاذ: علي حسين عصيدة (أبي أحمد)، والأستاذ الفاضل مصطفى عصيدة (أبي منذر) على ما قدماه لي من مساعدة طيبة كريمة.

وإلى الخال العزيز الأستاذ محمود حسين عصيدة (أبي صهيب) الذي قدم كثيـرا فـي طباعة هذه الدراسة مشكورا.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذه الدراسة وتقويمها.

وإلى كل من قدم لي عوناً.

فجزى ا الجميع كل خير

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة

جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي

إعداد

فادي صقر أحمد عصيدة

إشراف

الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح

الملخص

تعد هذه الدراسة حلقة مهمة من حلقات البحث اللغوي والنحوي في تاريخ العربية، وبخاصة في الكشف عن تراث المسلمين الحضاري والعلمي في بلاد الأندلس، فهي تقوم بدراسة مفصلة لجهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، وتسهيله، وتذليل مصاعبه، وقد حاولت هذه الدراسة سبر جهود عدد من النحاة الأندلسيين في مجال محدد واضح، وهو تيسير النحو العربي وتسهيله، وسلطت الضوء على الأساليب التي انتهجها علماء الأندلس من أجل تحقيق هذا الهدف، وقد جاءت هذه الدراسة تبعا لتلك المناهج والأساليب في خمسة فصول بعد المقدمة وقبل الخاتمة.

ففي المقدمة أوضحت أهمية الموضوع، ودوافع اختياره، والمنهجية التي سرت عليها في أبواب الدراسة، في حين عرض الفصل الأول دخول النحو العربي إلى الأندلس، وأشهر النحاة الأندلسيين، ودورهم في تطوير هذا العلم، وأسباب ازدهاره، وعرض تأثر النحو بالفقه والمذاهب الفقهية، وبخاصة الفقه الظاهري، والدوافع التي دفعت علماء النحو في الأندلس من أجل تيسير النحو وتبسيط قواعده وأحكامه.

أما الفصل الثاني فتناول بالدراسة ثلاثة كتب أندلسية وضعت لتسهم بشكل واضح في تسهيل النحو، وتخفيف أعبائه، حيث عرضت أهم مناهج التسهيل وطرقه المتبعة في هذه الكتب، وهي كتاب الواضح لأبي بكر الزبيدي، وكتاب التوطئة لأبي علي الشلوبين، وكتاب التسهيل لابن مالك الجياني.

وتناول الفصل الثالث جهود نحاة الأندلس في مجال شرح الكتب النحوية المشرقية، باعتبارها وسيلة مهمة من وسائل تيسير النحو عند الأندلسيين، وقد عرضت أشهر الكتب النحوية



المشرقية التي لاقت قبولا ورواجا في الأندلس، وحظيت بالعناية والشرح، مـن أجـل تسـهيل معانيها، وتوضيح مشكلها، وتفسير مبهمها، وكان كتاب سيبويه، وكتاب الجمل للزجـاجي فـي الدرجة الأولى، وتلاهما كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، حيث قام بشرحها عدد مـن كبـار العلماء هناك، أمثال: الأعلم الشنتمري، وابن السيد البطليوسي، واللبلي، والصفار، وغيرهم مـن العلماء الذين انتهجوا التيسير والتسهيل في شروحهم من خلال الأسلوب المتبع عندهم، وأبرزت أهم مظاهر التسهيل فيها.

أما الفصل الرابع فتناولت فيه ثورة علماء الأندلس على العلل النحوية، وبخاصة الثـواني والثوالث، ورفضهم نظرية العامل، وكان على رأس هؤلاء الرافضين الثـائرين ابـن مضـاء القرطبي، الذي ثار على نحو المشارقة، كما ثار سيده ابن حزم على فقههم، وعرضت رأي عدد من العلماء الأندلسيين الذين رفضوا العلة النحوية، وما ينتج عنها من خلاف نحوي عقيم.

وأخيرا عمد الفصل الخامس إلى الشعر التعليمي النحوي في الأندلس، باعتبـاره وسـيلة مهمة من وسائل تيسير النحو، وتخفيف مشكلاته، وتزيينـه للطلبـة، حيـث عرضـت أشـهر الموضوعات النحوية التي نظم الأندلسيون قواعدها شعرا. ثم ذُيل البحث بخاتمة تضمنت أبـرز النتائج.

المقدمة

الحمد الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المعلـم الأول سيد الخلق أجمعين، قائد البشرية نحو الهداية والنور. . . وبعد،

إن العلماء والدارسين أجمعوا على أن حفظ اللغة العربية، وحماية القـرآن الكـريم والحـديث الشريف، من الخطأ واللحن، هما السببان الرئيسان اللذان دفعا أبا الأسود لوضع قواعـد النحـو والتي يعرف بها الفاعل من المفعول، والرفع من النصب، فكانت قواعد أبي الأسـود بسـيطة، وبعيدة عن التعقيد، والفلسفة. ثم توالت بعد أبي الأسود المؤلفات النحوية، منها المختصر، ومنها المطول الذي أخذ شكل الموسوعات، بما حوته من صنوف العلل والمعلول، والتفسير والخلاف. وعندما وصل هذا العلم إلى بلاد الأندلس، شعر علماؤها أن هذا العلم لا يصلح عندهم، لما فيـه من صعوبة وتعقيد، فشمر بعض علماء النحو هناك عن سواعد الجد والاجتهاد من أجل تيسـير علم النحو، وتبسيط قواعده، وتذليلها للطلبة والدارسين، ومع ذلك فلم تلق جهودهم من الاهتمـام والعناية ما يوازيها.

لقد جاءت هذه الدراسة لتحاول جاهدة أن ترصد بعض الجهود التي قام بها علماء النحـو في الأندلس من أجل تبسيط علم النحو، وتذليل مصاعبه، فكانت لهم جهود عظيمة لا يمكن لنـا إغفالها أو القفز عنها، فهم قد شعروا – كغيرهم من العلماء- بالمصاعب التي طوقت علم النحو، مثل التعليل والقياس، وما ينتج عنهما من خلاف عقيم، والكتب المطولة ذات اللغـة الصـعبة، فتنوعت جهودهم لتشمل مختلف طرق التسهيل والتيسير في هـذا المجـال، خاصـة أن هـذا الموضوع لم يطرق من قبل كما درسته في هذه الدراسة، إذ جاءت مقتطفات يسيرة منه متناثرة في ثنايا بعض المؤلفات لكبار العلماء: مثل عبد الكريم خليفة، وعبد القادر رحيم الهيتي، وشوقي ضيف، وإحسان عباس، وألبير حبيب مطلق، ومهدي المخزومي، وسـعيد الأفغـاني، ومحمـد المختار ولد أباه، وأستاذي وائل أبو صالح.

وقد قمت -بعد توفيق ا عز وجل- بالاطلاع على ما كتبه هؤلاء العلمـاء وغيـرهم فأفدت منها، وبخاصة ما كتبه أستاذي الدكتور وائل أبو صالح في عدد من بحوثـه المنشـورة،

حيث كانت مفتاحاً لي في جزيئات بحثي هذا، وقد اقتضت طبيعة هذا الدراسة وموضـوعها أن تأتي في فصول خمسة مسبوقة بمقدمة متلوة بخاتمة.

تلك كانت مقدمة موجزة حول أهمية الدراسة، وأسباب اختيارها، والتي اتبعت فيها المنهج الوصفي التحليلي، حيث إنني وصفت الظاهرة النحوية في الأندلس، واعتمدت على التحليل لتلك المؤلفات النحوية الوارد الكلام عنها في هذه الدراسة.

أما المشكلات التي وقفت في وجهي في أثناء كتابة هذه الدراسة فكانت مشكلة واحـدة، تمثلت في شح المصادر والمراجع المتوافرة في بلادنا التي تتحدث عن الموضوع بشكل مباشر، حيث أنني تنقلت بين عدد من مكتبات الوطن العامة منها والخاصة مثل: مكتبة جامعتي جامعـة النجاح الوطنية، ومكتبة جامعة بير زيت، ومكتبة جامعة بيت لحم، ومكتبات بعـض المسـاجد، ولكن للأسف الشديد لم أكن أجد بغيتي فيها، إذ إن كل ما وجدته موضوع هنـا وآخـر هنـاك، واستطعت بتوفيق من ا ومنته علي أن أتجاوز هذه المحنة، وهذه المشكلة وأن اعتمد على مـا توافر عندي من مصادر ومراجع – على قلته -، وعلى ما قدمه لي أستاذي الفاضل وائل أبـو صالح من بعض المراجع المهمة، التي تضمنتها مكتبته الخاصة، فاستطعت أن أنهي عملي هـذا وأخرجه على هذه الصورة. وهذا بيان مختصر لفصول الرسالة وأهم ما جاء فيها:

أولاً: **الفصل الأول**: وقد تم تخصيصه لدراسة علم النحو في الأندلس، وأشـهر علمـاء النحـو الأندلسيين، بدءاً من جودي بن عثمان النحوي الأول، مروراً بكل من الزبيدِي والأعلـم وابـن السيد والشلوبين وابن مالك وغيرهم الكثير. وكذلك ضم هذا الفصل طرق دخـول النحـو إلـى الأندلس وبخاصة عن طريق الهجرة من الأندلس وإليها، وأهم المذاهب النحوية التي انتشرت في بلاد الأندلس سواء الكوفي أم البصري، وعرض كذلك أهمية كتاب سيبويه عندهم وخصصـت جزءاً من هذا الفصل للحديث عن تأثر النحو العربي عندهم بالمذاهب الفقهية، وبخاصـة الفقـه الظاهري ودعوة إمامه ابن حزم، ووضحت الأسباب الرئيسة التي تقف وراء الجهود العظيمـة التي قام بها نحاة الأندلس قاصدين التسهيل والتيسير للنحو العربي، وختمت الفصل الأول ببيـان أهم العوامل التي تقف وراء تطور علم النحو وازدهاره في بلاد الأندلس.

ثانياً: **الفصل الثاني**: صب اهتمامه على الطريقة الأولى التي اتبعها علماء الأندلس من أجل تيسير النحو وتسهيله، ألا وهي التأليف النحوي المختصر، حيث عرضت ثلاثة كتب ألفها علماء الأندلس رغبة في التسهيل والتيسير، وهذه الكتب هي: كتاب الواضح للزبيدي، وكتاب التوطئة لأبي علي الشلوبين، وكتاب التسهيل لابن مالك الجياني، حيث وقفت على هذه الكتب دراسة وتحليلا، واستطعت من خلال هذا التحليل إثبات أهم الوسائل التي اتبعوها في هذه الكتب للوصول إلى هدفهم، سواء في طريقة التعامل مع الشاهد النحوي، أم في اللغة المستخدمة في هذه الكتب، حيث جاءت سهلة بسيطة، أم في الأسلوب المتبع فيها القائم في معظمه على الحوار، وإعراب بعض الأمثلة الحياتية البسيطة التي وسمت هذه الكتب، أم الاختصار في عرض المسائل النحوية والبعد عن مسائل الخلاف بين النحاة، مما كان له الدور البارز في تسهيل النحو العربي وتخليصه من لغة الكتب التراثية المطولة.

ثالثا: **الفصل الثالث**: استهدف هذا الفصل الطريقة الثانية التي اتبعها الأندلسيون من أجل التسهيل والتيسير، ألا وهي شروح الكتب النحوية المشرقية، حيث عرضت أشهر الكتب النحوية المشرقية التي لاقت قبولاً عظيماً في الأندلس، وبخاصة كتاب سيبويه والجمل والإيضاح، فانكب عليها علماء الأندلس يشرحونها ويزيلون غموضها، ويوضحون مبهمها، وقد تناولت الدراسة نماذج لهذه الشروح: مثل كتاب شرح ابن الصفار على كتاب سيبويه، وشرح الأعلم الشنتمري على كتاب سيبويه (شرح الشواهد)، وشرح ابن السيد البطليوسي على كتاب الجمل للزجاجي، وغيرها. وقد عقدت مقارنة بسيطة بين هذه الشروح وشروح أخرى لعلماء مشارقة، لنرى أهم ميزات هذه الشروح التسهيلية التيسيرية، وكيف استطاعت هذه الشروح أن تُبسط اللغة التي صيغت بها الكتب المشرقية، وتوضح هذه الشروح الطريقة التي سار عليها أصحابها في التعامل مع الشواهد الشعرية وطريقة شرح هذا الشاهد ليصبح وسيلة ميسرة بعيدة عن التعقيد والصعوبة.

رابعاً: **الفصل الرابع**: اهتم هذا الفصل بالطريقة الثالثة لتيسير النحو العربي في الأندلس، المتمثلة برفض العلل النحوية، الثواني منها الثوالث، ورفض نظرية العامل، وبخاصة عند ابن مضاء وعرضت فيه الموقف من هذه العلل النحوية، وما ينشأ عنها من خلاف نحوي عقيم، وجدل

بيزنطي لا فائدة منه، مما دفع بعض العلماء لرفض هذه العلل وما ينتج عنها، وكان من أشـهر هؤلاء العلماء ابن مضاء القرطبي حيث قمت بدراسة تفصيلية لمذهبه ونظريته في تيسير النحو من خلال كتابه " الرد على النحاة "، وتعرفت على أهم الأسس التي دعا إليها ابن مضـاء مـن أجل تسهيل النحو، وحذف ما يستغنى عنه منه، ثم عرضت لآراء عدد من العلماء الذي سـاروا على المنهاج نفسه سواء بشكل كامل أم جزئي، وبخاصة أبي حيان النحوي، وابن الضائع، وابن الطراوة وابن السيد والسهيلي، حيث رأيت دعوة جديدة متأثرة بالفكر الظاهري، قولية وعمليـة عند بعضهم وقولية عند بعضهم الآخر، دون العمل، ثم أوجزت القول في أثر هذه الدعوة فـيمن جاء بعد هؤلاء العلماء، وبخاصة في العصر الحديث، وختمت الفصل ببيان الأسباب التي وقفت حائلاً دون نجاح دعوة ابن مضاء وغيره من العلماء.

خامساً: **<u>الفصل الخامس</u>**: لقد خصصنا هذا الفصل للحديث عن الوسيلة الرابعـة التـي اتبعهـا الأندلسيون لتسهيل النحو وتيسيره، ألا وهي نظم قواعد النحو العربي شعراً أو ما عرف باسـم "الشعر التعليمي النحوي في الأندلس" حيث عرضت بشكل بسيط وموجز للشعر التعليمي، مـن حيث النشأة واختلاف بعض العلماء حول نشأته أعربية محضة ؟ أم متأثرة بـالفنون اليونانيـة وغيرها. . وهل هذا العلم جاهلي النشأة؟ أم شعر مستحدث ظهر في عصور إسلامية متأخرة؟؟ وأوجزت في أشهر القائلين فيه، ثم بسطت القول في إبداع الأندلسيين في هذا المجـال، حيـث عرضت الطرق التي اتبعها الأندلسيون في هذا النظم، فبدأت بنظم الألفيات، وبخاصة ألفية ابـن مالك التي قمت بدراسة مظاهر التسهيل فيها بشكل مفصل وعقدت موازنة بينها وبين ألفية ابـن معط، وانتقلت إلى أهم الموضوعات النحوية الجزئية التي نظم فيها الأندلسيون، مثـل حـروف الزيادة، وجمع المؤنث، وموانع الصرف وغيرها، وكذلك عرضت موضوع النظم علـى شـكل الأسئلة الأجوبة، ورأيت كيف أسهمت هذه المنظومات في تسهيل النحو وتيسيره علـى الطلبـة والدارسين.

وبعد أن أنهيت الحديث في تلك الفصول ذيلت دراستي بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها في دراسة هذا الموضوع.

وبعد فإني أرجو ا تعالى أن يهديني سواء السبيل، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، بعيداً عن الرياء والسمعة، فهذا جهد المقل، فإن أصبت وأحسنت فمن ا وحده فله الحمد والشكر، وإن أخطأت وقصرت فمني ومن الشيطان واستغفر ا عنه، وكما قيل (أعقل الناس أعذرهم للناس).

الفصل الأول

النحو الأندلسي

الفصل الأول

النحو الأندلسي(1)

ما أن سطعت شمس الإسلام على بلاد الأندلس، الواقعة جنوب أوروبـا حتـى أخـذت الأندلس، تنهل من معين العلم الإسلامي الذي غزا العالم في عصر بني أمية، الذين حكموا العالم الإسلامي قرابة مئة عام، فنشروا فيه العلم والمعرفة، ثم انتقلوا إلى بلاد الفرنجة لينشروا شمس الحق هناك، فقام موسى بن نصير عام اثنين وتسعين للهجرة بفتح تلك البلاد، التـي لا يفصـلها عن إفريقيا الإسلامية سوى مضيق جبل طارق الذي لا يزيد عرضه عـن خمسـة وعشـرين كيلومتراً.

دخول النحو إلى الأندلس

لقد كان الفتح الإسلامي لتلك البلاد، بداية لنشر مختلف العلوم فيها، وتخليصها من قمـة الجهل وظلمته، فانتشرت في تلك البلاد كل العلوم التي كانت منتشرة في تلك الفترة، من علـوم الفلسفة، والطب، والنبات، وعلوم اللغة، وغيرها. . . . (2) وكان لعلوم اللغـة العربيـة، وعلـم النحو على وجه الخصوص، نصيب عظيم من اهتمام الأندلسيين، كما هو حاله فـي المشـرق العربي، وليس غريباً أن يلقى هذا العلم اهتماما عظيماً عند أهل المشرق والمغرب، وذلك لصلته الوثيقة بمصدري التشريع الإسلامي، القرآن الكريم،والحديث الشريف، حيث غزا مرض اللحـن العربية الفصيحة، وأصبح الخطر يقترب شيئاً فشيئاً إلى القرآن الكريم(3)، فقـام أبـو الأسـود

(1) الأندلس مأخوذة من وأندلس(Wandalos) أو الوندال، وهم قبائل من برابرة شمال أوروبا زحفت نحو الجنوب إلـى فرنسا وأسبانيا حتى وصلت إلى شمال إفريقيا. وكانت الأندلس تطلق قبل الفتح الإسلامي على جنوب الجزيرة فقط، وبعـد الفتح الإسلامي قُصِد بها كل المناطق التي فتحها المسلمون من شبه الجزيرة.

الخولي، عبد البديع: **الفكر التربوي في الأندلس.** ط2. دار الفكر العربي. 1985: 17.

وابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**: 87/6. ط1. بيروت: دار صادر.

(2) الخولي، عبد البديع: **الفكر التربوي في الأندلس**: 42. وما بعدها.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**: 1255- 1256. تحقيق علي عبد الواحد وافي. القاهرة، 1960.

الدؤلي[1] بتجديد علم النحو بإرشاد الإمام علي -رضي ا عنه-[2] فكانت نشأة النحـو العربـي مشرقية، أو عربية محضة [3]، وبعبارة أدق بصري عراقي[4] وكان للأندلس حظ وافر فيه، وأن الأندلسيين العرب، والمؤدبين منهم بشكل خاص، كانوا يعلمون طلابهم النحو منذ الفتح ونهايـة الحرب، فكانوا يضعون لطلابهم نصوصاً مختلفة ويشرحونها مع طلابهم، ويشبعونها نقاشـاً،كل ذلك لنشر اللغة العربية وعلومها في أوساط الأسبان المستعربين، وكانت تلك النصوص بسـيطة سهلة، بعيدة عن التعقيد أو الشذوذ، ليسهل فهمها، وذلك لسببين اثنين:

السبب الأول: ويتعلق بالجمل والكلمات التي يدرسونها، أو يدرسونها لطلابهم حيث أنها تتكون من كلمات ومفردات، والمفردات هي مكونات الجمل، والنحـو يـدرس الجملـة ولـيس المفردة، أي أن علم النحو يأتي بعد اكتمال الجمل.

السبب الثاني: ويتعلق بالمؤدبين أنفسهم، فهؤلاء المؤدبون ما كانت عندهم معرفة تامة بعلم النحو أو بقواعده التي أرسيت في المشرق، بل كانت معرفتهم به معرفة سطحية، بحاجةإلى تعزيز وتدعيم. وبقي الأندلسيون على هذا الحال، حتى عرفوا الرحلات إلى المشرق العربـي، فرحلوا في طلب العلم الشرعي، والعلم اللغوي وغيرهما من العلوم[5].

---

(1) وهو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان، علوي الرأي، وكان رجل أهل البصرة، هو أول من أسس العربية، ونهـج سبلها، ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب، توفي سنة تسع وستين في طاعون الجارف، وهو ابـن خمـس وثمانين سنة. الزبيدي، أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين: 21. وما بعدها تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم. ط2: دار المعارف. . . طاعون الجارف، حدث بالبصرة، ومكث بها ثلاثة أيام (تغري، جمال الدين أبي المحاسن: **النجوم الزاهـرة في ملوك مصر والقاهرة**. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1: 182.

(2) الطنطاوي، محمد: **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**. دار المنار. 1412هـ/1991م: 9.

(3) الطنطاوي، محمد: **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**: 10.

(4) ضيف، شوقي: **المدارس النحوية**. ط3. دار المعارف. 1976م: 11.

(5) ينظر الخولي، عبد البديع: **الفكر التربوي في الأندلس**: 35. وكذلك د. عيسى، محمد: **تاريخ التعليم فـي الأنـدلس**. ط1. دار الفكر العربي. 1982م. : 408. وما بعدها. ومطلق، ألبير حبيب: **التربية اللغوية في الأندلس**. بيروت: المكتبة العصرية صيدا 1967م. : 54، 103

وكان جودي بن عثمان [1] أول نحاة الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق، ودرس النحو العربي على يد ثلة من علماء المدرسة الكوفية كالكسائي، والفراء شيخي المدرسة الكوفية، حيث إن اهتمام الأندلسيين بالنحو الكوفي أو المدرسة الكوفية كان أسـرع مـن اهتمـامهم بـالنحو البصري، وبقي جودي يدرس علم النحو لطلابه، وينشره في بلاده الأندلس، حتى وافته المنيـة. ولم يكن جودي بن عثمان النحوي الوحيد الذي ترك بلاده ليرحل طالباً للعلم، بل كـان هنـاك غيره كثير مثل: عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ)[2] الذي كان من كبار علمـاء النحـو واللغة في الأندلس، وقد تأثر عدد من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق لأخذ اللغة والنحو مـن العلماء المشارقة بهؤلاء العلماء ومذاهبهم النحوية والفكرية، كوفية كانت أم بصرية، فهذا العالم محمد بن عبد ا بن سوار التقى بأبي حاتم السجستاني البصري وأخـذ منـه العلـم والنحـو البصري[3] والأمر نفسه حصل مع العالم الغازي بن قيس الذي لقـي الأصـمعي البصـري[4]، وكذلك جودي بن عثمان لقي الكسائي والفراء وأخذ منهما النحو الكـوفي، ونشـره فـي بـلاد الأندلس.

---

(1) هو جودي بن عثمان، مولى لآل طلحة العنبسيين، من أهل مورور، رحل إلى المشـرق، فلقـي الكسـائي والفـراء وغيرهما، وهو أول من أدخل كتاب الكسائي، وله تأليف في النحو.

الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 256.

السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. تحقيق محمد أبو الفضـل إبـراهيم. القـاهرة 1964م: 490/1. كحاله: عمر رضا: **معجم المؤلفين**: تراجم مصنفي الكتب العربية. مطبعة الترقي. 1957- 1961. : 169/3.

(2) من كبار علماء النحو في الأندلس، جمع إلى علم الفقه والحديث علم الإعراب واللغة والتصريف في فنون الأدب، قال عنه محمد بن لبابة: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب. الزبيدي، أبو بكـر: طبقـات النحـويين واللغويين: 260. والحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**. تحقيق محمد تاويت الطنجي. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر 1966 م: 282. وابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**. تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي. ط1. بيروت. لبنـان: دار الكتـب العلميـة. 1417هـ ـ/1997 م: 221 – 222. والضبي، أحمد بن يحيى: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**. تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي. بيروت. لبنـان: دار الكتب العلمية: 329.

(3) كان من أهل العلم باللغة، متفنناً في علم الأدب. شهد بالبصرة صاحب الزنج سنة سبع وخمسين ومائتين. تـوفي فـي جماد الأخرة سنة خمس وسبعين ومائتين. الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين:** 260. وابن الفرضي، عبـد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: 178.

(4) كان ملتزماً للتأديب بقرطبة أيام دخول عبد الرحمن بن معاوية، ثم رحل إلى المشرق وشهد تأليف مالك للموطأ، وهو أول من أدخله الأندلس، كان الخليفة عبد الرحمن له مجلاً معظماً، وكان يأتيه ويصله في منزله. توفي سنة تسع وتسـعين ومائتين. الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 255. و ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس:** 272.

ومضت حقبة من الزمن على علماء الأندلس وهم يأخذون الكتب المشرقية كما هي، يدرسـونها ويدرسونها لطلابهم ومريديهم، ثم انتقوا من تلك المرحلة إلى مرحلة أخرى، تمثلت فـي شـرح تلك الكتب، أو التعليق عليها، وأحياناً تصويب أخطائها –إن وجدت– فهذا العـالم البغـل[1] قـد وضع مؤلفاً في شرح كتاب الكسائي، وصنف ابن العريف في شرح كتاب الجمـل للزجـاجي، وكان كتاب سيبويه أكثر الكتب المشرقية شرحا وتوضيحاً. أمـا فيمـا يتعلـق بالتصـحيحات والتصويبات على الكتب المشرقية فنذكر منها، كتاب أبي بكر الزبيدِي "استدراك الغلط الواقع في كتاب العين "، وكتاب " إصلاح الخلل الواقع في كتـاب الجمـل" الـذي وضـعه ابـن السـيد البطَليوسِي، وغيرها من الكتب التي سنعرض لها في فصل قادم من هذه الرسالة إن شاء ا .

وبعد أن اشتدت سواعد الأندلسيين النحوية، ودخل إلى كل حلقـات دروسـهم تقريبـاً، وجدوا أنفسهم قادرين على تخطي الكتب المشرقية وشرحها، وأنسوا في أنفسـهم قـدرة علـى التأليف، فوضعوا المصنفات النحوية المختلفة، التي يمكن أن تشكل مصدراً يغنيهم عن الكتـب المشرقية التي سادت في بلادهم لفترة ليست قصيرة، فشهد القرنان الثالث والرابع الهجريان في الأندلس ميلاد عدد ليس قليلاً من الكتب النحوية التي وضعها علماء الأندلس الذين تخرجوا على يد ثلة من علماء المشرق العربي، نذكر من هؤلاء العلماء:

1. النحوي الأول (جودي بن عثمان) "يضع كتاباً في النحو"[2].
2. أبو بكر بن خاطب[3] له تأليف في النحو[4].

---

(1) أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي، كان ذا صلاح وفضل، له كتاب في شرح كتاب الكسائي

الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 273. ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلمـاء والـرواة للعلـم بالأندلس**: 403. وكحاله، عمر رضا: **معجم المؤلفين**: 314/12.

(2) الزبيدِي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 256.

(3) أبو بكر بن خاطب المكفوف، كان ذا علم بالعربية والعروض والحساب له تأليف في النحو.

الزبيدِي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 273. ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلمـاء والـرواة للعلـم بالأندلس**: 1: 243.

(4) الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 273. ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلـم بالأندلس**: 1: 112.

3. ابن أبي غزالة له كتاب ألفه في العربية[1].

4. خصيب الكلبي، له كتاب مصنف في اللغة نحو مصنف أبي عبيدة[2].

5. يحيى بن عبد الرحمن الملقب بالأبيض، "ألف في النحو كتاباً أخذه الناس عنه"[3]

والملاحظ أن هؤلاء العلماء الذين ألفوا في النحو، لم تذكر المصادر شيئاً عن مؤلفاتهم أو أسمائها، بل اكتفت بالذي أوردناه منها[4].

وفي مقابل ذلك فإننا نجد علماء آخرين ألفوا في النحو واللغة، وذكرت لنا المصادر التراثية أسماء كتبهم، منها ما عبثت به يد الزمان وما عاد موجوداً، ومنها ما يزال مصدراً مهماً من مصادر الدراسة اللغوية والنحوية حتى يومنا هذا، يؤمه الباحثون والدارسون في اللغة والنحو والتراجم ومختلف علوم العربية. ومن هؤلاء العلماء:

1. عبد الملك بن حبيب، كان مشهوراً في الفقه والحديث، قال عنه ابن الفرضي: إنه كان فقيهاً مفتياً، نحوياً لغوياً نسابة إخبارياً عروضياً فائقاً شاعراً محسناً مترسلاً حازماً[5].

وكان لعبد الملك عدد من المؤلفات اللغوية أهمها "غريب الحديث".

(1) هارون بن أبي غزالة السبائي، أخذ عنه جابر بن غيث. الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 259.
السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة في **طبقات اللغويين والنحاة**: 320/2.

(2)كان ساكناً بمورور، ومنها أصول الكلبيين.
الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 259. السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 551/1

(3) ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: 433.

(4) ذكر محقق طبقات النحويين واللغويين (محمد أبو الفضل إبراهيم) أن اسم كتاب جودي بن عثمان كان "منبه الحجارة" وأيده في ذلك الدكتور وائل أبو صالح وبين أن هذا الكتاب مختصر على غرار كتاب الكسائي.
الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 256 حاشية رقم 5.
أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس في القرنيين الخامس والسادس**. (رسالة دكتوراة غير منشورة). جامعة الإسكندرية. مصر. 1401هـ/1981م: 259.

(5) المالكي، برهان الدين إبراهيم بن علي: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: 154. تحقيق محمد الأحمدي. القاهرة: مكتبة دار التراث. و ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: 221.

2. أبو بكر الزبيدي، وضع الزبيدي العديد من المؤلفات، متنقلاً بها من النحو واللغة إلى التراجم والاستدراك على مؤلفات غيره، ومن أشهر كتبه:

- الواضح في العربية[1].
- لحن العوام[2].
- طبقات النحويين واللغويين[3]

3. ابن القوطية، وله:

- كتاب الأفعال[4]
- كتاب المقصور والممدود

4. محمد بن أبان بن سيد، ألف كتاباً أسماه "العالم والمتعلم مبني على المساءلة والجواب"[5].

عناية الأندلسيين بالنحو الكوفي وأسباب ذلك.

لعل الاهتمام بالنحو الكوفي وتقديمه على النحو البصري لم يكن من فراغ، بل له ما يبرره، ومن أهم تلك المبرارت[6]:

(1) حققه الأستاذ عبد الكريم خليفة. الأردن: منشورات الجامعة الأردنية.

(2) حققه الأستاذ رمضان عبد التواب. وهو مطبوع ومتداول وأشهرها طبعة القاهرة، 2000.

(3) حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، والكتاب مطبوع بعدة طبعات، أشهرها طبعة دار المعارف، ومتداول بين الدارسين.

(4) قدم له الأستاذ إبراهيم شمس الدين. وقد أجرى الأستاذ وائل أبو صالح دراسة مفصلة عن الكتاب. أبو صالح، وائل: **التربية اللغوية في الأندلس – عصر سيادة قرطبة**. (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الإسكندرية. مصر. 1979 م: 191 وما بعدها.

(5) ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: 347. الحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**. تحقيق محمد تاويت الطنجي. ط1. القاهرة. 1952م: 381. .

(6) ذكر جزءا من هذه المبررات الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح، في بحثه المنشور في مجلة هدى الإسلام سنة 1984م السابع: 54.

أولاً: نشأة المدرستين: فالمدرسة البصرية وجهت اهتمامها إلى النحو العربي قبل المدرسة الكوفية بنحو مئة عام تقريباً، حين كانت المدرسة البصرية قد اكتملت آراؤها النحوية، وأصبحت منتشرة في البلاد، ولما جاء الأندلسيون لطلب النحو العربي، وجدوا النحو الكوفي في بدايته، والآراء النحوية عندهم بسيطة بعيدة عن التعقيد، فأخذوا بها، لأنهم وجدوا فيها سهولة ويسراً يناسب ومستواهم العلمي في مجال النحو العربي الذي أصابه بعض التعقيد البصري، لذلك كانت المدرسة الكوفية، وأراؤها البسيطة محط اهتمام الأندلسيين المبتدئين في هذا العلم.

ثانياً: كثرة الرواية عن العرب: المعروف عن المدرسة الكوفية، وعن علمائها أنهم أهل شعر ورواية عن العرب وفصحائهم، لذلك ابتعدوا إلى حد بعيد عن القوانين المنطقية أو الأقيسة العقلية، في حين أن البصرة وعلماءها لم يكونوا على نفس درجة الكوفيين في الشعر وأخبار العرب، لذلك عوضوا هذا النقص بإطلاق العنان للعقل ليقيس ويتشدد في القياس،[1] وهم كانوا يرون أن الخطأ بالقياس جريمة لا تغتفر في حين أن الخطأ في الرواية أمر طبيعي لا بأس به، وهذا ما عبر عنه أبو علي الفارسي حين قال: "أخطئ في خمسين مسألة في اللغة العربية ولا أخطئ في واحدة من القياس"[2] ونتيجة لهذا التشدد في القياس والاعتماد على المنطق، نفر الأندلسيون المبتدئون من النحو البصري وتعقيداته، واتجهوا إلى النحو الكوفي المعتمد على السماع.

ثالثاً: اعتماد الكوفيين على السماع والتقليل من القياس: كان هذا الأمر اقرب إلى الواقع، لأنهم لم يكترثوا بالقلة أو بالكثرة، ولا يرى الكوفيون أي سبب لتفضيل لهجة على أخرى، أو قبيلة على أخرى، فكل القبائل عندهم فصيحة اللغة، فهم يحترمون كل ما جاء عن

(1) ينظر عمر، أحمد مختار: **البحث اللغوي عند العرب**: 138. ط4. 1402هـ/1982م. وينظر عبابنة، جعفر: **مناهج البحث في النحو واللغة عند العلماء المسلمين**: 428. وما بعدها. **المجلة الثقافية**/الجامعة الأردنية. ع41. والأنصاري، أحمد مكي: في الدراسات النحوية، التيار القياسي في المدرسة البصرية: 13 وما بعدها. **مجلة كلية الآداب**/جامعة القاهرة. مج24. ج2. ديسمبر 1962م.

(2) ضيف، شوقي: **المدارس النحوية**: 264.

العرب. [1] فكان هذا التيسير الذي اتبعه الكوفيون في أخذ النحو، ووضع قواعده لافتـاً لنظـر الأندلسيين فوجهوا اهتمامهم نحو المسموع الميسر (النحو الكوفي) وابتعدوا عن غيره.

رابعاً: طبيعة الكتب الكوفية التي درسها الأندلسيون: ففي البداية كانت سهلة وبسـيطة وبخاصة الكتاب الأول الذي دخل الأندلس على يد جودي بن عثمان هو كتاب "مختصـر فـي النحو" للكسائي، فهذا الكتاب على ما يبدو كان صغيراً بسيطاً، مختصراً يعطي الفائدة المرجـوة دون توسع في القياس، أو عمق في الأفكار، فكان خير وسيلة تعليمية لقوم حديثي العهـد بعلـم النحو العربي، كل همهم كان القاعدة النحوية التي تساعدهم على فهم كتاب ا تعالى، وفهم اللغة العربية.

ومضت السنون والنحو الكوفي يسيطر على الساحة الأندلسية حتـى اشـتدت سـواعد الأندلسيين النحوية ووجدوا أنهم أصبحوا قادرين على تجاوز النحو المختصر، إلى النحو الآخر وهو نحو البصرة وقياساته وأحكامه، ليتخلصوا من الفوضى التي يوقعها النحو الكوفي باعتماده على قاعدة بمجرد سماع مثال واحد فقط، وهذا الأمر أوجد الاضطراب والفوضى فـي النحـو العربي[2]، وافسد سماع الكسائي -شيخ المدرسة الكوفية- للشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة، وجعله أصلا يقيس عليه، أفسد هذا النحو العربي[3]، لذلك وجه علماء الأندلس جهودهم نحـو البصرة وعلمائها فأخذوا النحو البصري الذي طُبع به نحوهم -فيما بعد-.

عناية الأندلسيين بالنحو البصري، وكتاب سيبويه:

يعد العالم الاقشيتق (محمد بن موسى)[4] هو مدخل النحو البصري إلى الأندلس، وذلك عندما أدخل كتاب سيبويه، فقد وصل إلى المشرق العربي ولقي أبا جعفر الدينوري وانتسخ منه

(1) بدوي، أحمد أحمد: **سيبويه حياته وكتابه**: 12. ط2. مصر: مكتبة نهضة مصر.

(2) ضيف، شوقي: **المدارس النحوية**: 162

(3) بدوي، أحمد أحمد: **سيبويه حياته وكتابه**: 12.

(4) محمد بن موسى بن هاشم بن زيد، كان متصرفاً في علم الأدب والخبر، توفي في رجب سنة سبع وثلاثمائة للهجرة. الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 282. الحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأنـدلس**: 139.

نسخة من كتاب سيبويه[1]، وما أن دخل (قرآن النحو) الأندلس وذاع سيطه وعمت شهرته حتى وجد له بين العلماء من يتلقاه شرحاً، فرحاً بغنمه الجديد، فوجه الكثير من علماء الأندلس جهودهم نحو الكتاب الوافد عليهم من المشرق، وذلك بشرحه أو الاستدراك عليه[2]، أو دراسته وتدريسه، وقد بلغ الشغف بكتاب سيبويه مبلغه "حتى كان الناس يتساءلون هل يقرأ كتاب سيبويه، فإن قيل لا، فيقولون: لا يعرف شيئاً" [3].

لقد كان دخول كتاب سيبويه الأندلس، والاهتمام العظيم الذي حظي به، عاملاً مضعفاً للاهتمام بالنحو الكوفي وبخاصة كتاب الكسائي، الذي انصرف عنه كثير من علماء النحو في الأندلس، لأنهم وجدوا في كتاب سيبويه ضالتهم النحوية العظيمة، لذلك لا عجب أن يبقى هذا الكتاب العظيم المصدر الأول عندهم،-لا ينافسه في ذلك سوى كتاب الجمل للزجاجي -، على الرغم من أنه دخل الأندلس بعده كثير من الكتب أمثال كتاب المقتضب للمبرد، والإيضاح لأبي علي الفارسي، والخصائص لأبي عثمان بن جني وغيرها، كل هذا الاهتمام كان نابعاً من الشهرة العظيمة للكتاب في المشرق، وانتقال تلك الشهرة إلى الأندلس. ويتحدث السيوطي عن تلك الشهرة وذاك الاهتمام بكتاب سيبويه، فيقول: "إن أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت 708هـ) عندما خرج من مالقة، ترك هناك من طلبته أربعين يقرؤون كتاب سيبويه. [4] كل هذا الاهتمام بكتاب سيبويه وبالنحو البصري جعل النحو في الأندلس يطبع بطابع النحو البصري وإن كان متأخراً كما ظهر.

ويمكن لنا أن نسجل ملحوظة مهمة حول أول الكتب النحوية المشرقية دخولاً إلى الأندلس، فبعض العلماء أمثال الدكتور أمين السيد يرى أن كتاب الكسائي كان أول الكتب وصولاً إلى الأندلس، فيقول: " سجلت كتب التراجم والطبقات وكتب التاريخ والأدب أن كتاب

(1) الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 282.

(2) ألف الإمام أبو بكر الزبيدي كتاباً أسماه " الاستدراك على سيبويه " حاول أن يسد الثغرة التي تركها سيبويه، ويذكر ما لم يذكره سيبويه من أبنية الكلام فوجدها نحو الثمانين بناء، ولم يستكشفها أحد غيره. الزبيدي، أبو بكر: الاستدراك على سيبويه: 1. تحقيق أغناطيوس غويدي. روما. 1890 م. وينظر، أبو صالح، وائل: **التربية اللغوية في الأندلس**: 227.

(3) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 331/1.

(4) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 292/1.

الكسائي قد كان أسبق كتب النحو التي انتقلت إلى الأندلس، ولكنه على الرغم من سبقه لم ينـل من الرعاية والاهتمام مثل ما نال كتاب سيبويه، أو كتاب الجمل للزجاجي "(1)

في حين يرى فريق آخر من العلماء (2) عكس ذلك، أي أن كتاب سيبويه قد سبق كتاب الكسائي دخولاً ولم يسبقه شهرة، معتمداً في رأيه هذا على ما أورده أبو بكـر الزبيـدِي فـي ترجمتـه لحمدون النحوي، وأنه كان يحفظ كتاب سيبويه دون أن يخرج من الأندلس، وحمدون توفي فـي أوائل القرن الثالث الهجري (3)

وعلى أية حال فان كان النحو الأندلسي قد بدأ كوفياً، وانتهى بصرياً، -سواء أكان كتاب سيبويه دخل أولاً أم تالياً فان شهرته جاءت تالية لشهرة كتاب الكسائي وهذا لا خلاف فيه- فان ذلك لا ينقص منه أو من وجوده داخل الأندلس، حيث كان لهذا العلم أنصاره ومحبوه من مختلف شرائح المجتمع الأندلسي، وتجاوزت العناية بهذا العلم العلماء النحويين، وعلماء اللغة إلى الفقهاء والقضاة.

تأثر النحو -في الأندلس- بالمذاهب الفقهية.

لم يعد هناك أدنى خلاف بين الدارسين الذين يعانون البحث في رحاب العربية والإسلام أن سلف هذه الأمة كان لهم تصور كلي للحياة الفكرية وخاصة في حقلي اللغة والدين، فكانـت العلوم الإسلامية مرتبطة أوثق ارتباط بعلوم اللغة العربية، وكان التواصل قائمـا بـين دراسـة الشعر والتوحيد والنحو والتفسير وغير ذلك مما تداخل بعضه في بعض ومد بعضه بعضا فـي تكامل مثمر انعكس على كل فروع المعرفة الإسلامية بالثراء والخصوبة.

ولم يكن علماء النحو في الأندلس بعيدين عن الفقه والتأثر بالمـذاهب الفقهيـة، -أسـوة بعلماء المشرق – بل كان نحاة الأندلس أكثر تأثراً بالفقه من غيرهم من العلماء، في أي مكـان،

(1) السيد، أمين: **الاتجاهات النحوية في الأندلس**: 112. القاهرة.

(2) الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**. ط2. جامعة قـار يـونس: بنغازي. 1993م: 37.

(3) أبو بكر الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين:** 235.

ولعل نظرة على كتب التراجم الأندلسية تطلعنا على عمق تأثر علماء الأندلس بالفقه، فأبو موسى الهواري كان " أول من جمع الفقه في الدين وعلم العرب بالأندلس " [1] مع كونه أحد كبار علماء النحو في الأندلس، حيث رحل إلى المشرق وتعلم النحو من الأصمعي وأبي زيـد الأنصـاري وغيرهما [2].

ونجد من علماء الأندلس من طلب النحو ليستعين به على الفقه والحديث أمثال العـالم أحمد بن الأعرج[3]، ومنهم من كان نحوياً فقيهاً على المـذهب المـالكي أمثـال أبـي صـالح المعافري[4]، والغازي بن قيس الذي كان يحفظ موطأ مالك[5]، حيث إن المذهب المالكي أثر فـي النحو الأندلسي تأثيراً واضحاً تجلى "بكثرة الاستشهاد بالحديث النبوي "[6]، ومـنهم مـن كـان شافعي المذهب أمثال ابن الأغبس[7]. وكتب التراجم تعج بالنحاة الفقهاء في الأندلس[8].

أما المذهب الفقهي الذي كان له أعظم الأثر في النحو الأندلسي فهو المذهب الظـاهري الذي ينادي بالأخذ بظاهر النص دون الحاجة إلى الغوص في متاهاته أو تحميله أكثر مما يطيق. فليس في هذا المذهب، وعند إمامه في الأندلس ابن حزم، مجال للاجتهاد بالرأي، أو بالقياس، أو بالمصلحة، أو بالذرائع[9]. وكان لعلم النحو عند ابن حزم مكانة مميـزة، فهـو يـدعو العلمـاء

(1) الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 253.

(2) المرجع السابق نفسه: 253.

(3) المرجع السابق نفسه: 299. و ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: 45.

(4) الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 272. ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلـم بالأندلس**: 45.

(5)ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: 272 والضبي، أحمد بن يحيى: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**: 384 والحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**: 324

(6) الهيتي، عبد القادر رحيم **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 28.

(7) الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 282. ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلـم بالأندلس**: 37.

(8) ينظر الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 260، 289، 295، 302، 307 وابن الفرضي، عبـد ا ابـن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: 438، 404، 288، 24، 222 والحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتـبس في ذكر ولاة الأندلس**: 282 ووالضبي، أحمد بن يحيى: **بغية الملتمس في تاريخ رجـال الأنـدلس**: 329، 367، 406، وغيرها. لترى عدداً ليس بالقليل من النحاة الفقهاء في الأندلس.

(9) أبو زهرة: محمد: **محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية.** القاهرة. 1962م. : 398.

والفقهاء في عصره إلى تعلم النحو، ويرى أنه لو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن، وفهم حديث النبي –عليه السلام-، ولو سقط لسقط الإسلام، ويعدُ ابن حزم تعلم النحو واجباً على كـل مـن يريد أن يجلس ويفتي الناس[1]. وهذا النحو الذي يدعو إليه يجـب أن يناسـب مذهبـه الفقهـي الظاهري الرافض لكل القياس والاجتهاد والجدل والعلة التي يعتبرها – في النحو – " فاسدة لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة البتة، وإنما عدا هذا، فهو – مع أنه تحكم فاسد متناقض- أيضـاً كذب، لأن قولهم كان الأصل كذا فَنُقِل إلى كذا. . . شيء يعلم كل ذي حس أنه كذب لم يكن قط، ولا كانت العرب عليه مدة، ثم انتقلت إلى ما سمع منها بعد ذلك"[2].

إن أفكار ابن حزم النحوية السابقة مستمدة من أفكاره الفقهية التي ذكرها فـي كتابـه " الإحكام في أصول الأحكام " حيث فند كل ما يعرف بالقياس والتعليل والتأويل الفقهي، ودعا إلى الأخذ بظاهر النص[3]. وكانت هذا الأفكار الفقهية والنحوية محط اهتمام العالم الكبير ابن مضاء القرطبي، الذي جاء بعد ابن حزم بحوالي قرن ونصف، فناقشها، ودافع عنها واتفق مع ابن حزم فيما ذهب إليه من بطلان العلل النحوية، وما كتابه الشهير " الرد علـى النحـاة " إلا خلاصـة لفكره، ومذهبه الجديدين في النحو اللذين استمدهما من المذهب الظاهري.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن ابن مضاء بتأثير من نزعته الظاهرية رد بهذا الكتـاب على نحاة المشرق – فيقول: "إن من يرجع إلى نصوص (الرد على النحاة) يلاحـظ ملاحظـة واضحة أن صاحبه ثائر على المشرق وهي ثورة تعتبر امتدادا لثورة سيده عليه وأيضـا فانـه يلاحظ نزعة "ظاهرية" في ثنايا الكتاب ما يؤكد صلة صاحبه بثـورة الموحـدين علـى كتـب المذاهب، ومن يعرف؟ ربما كان ابن مضاء أحد المؤلبين والمحرضين على هذه الثورة، إن لـم يكن المؤلب والمحرض الأول كما يقضي بذلك منصبه، والغريب أنه لم يعن بتأليف كتاب ضـد

---

(1) ابن حزم، أبو محمد علي: **الرد على ابن النغريلة اليهودي**. القاهرة: دار العروبة. 1960م: 160. وابن حـزم، أبـو محمد علي: **مراتب العلوم**. تحقيق إحسان عباس. القاهرة. 1954. : 66.

(2) ابن حزم، أبو محمد علي: **التقريب لحد المنطق**. تحقيق إحسان عباس. بيروت. 1959م: 168.

(3) خليفة، عبد الكريم: **تيسير العربية بين القديم والحديث**. ط1. منشورات **مجمع اللغة العربية الأردني**. عمان. الأردن. 1407هـ-1986 م: 39.

فقه المشرق وإن عني بالتأليف ضد النحو المشرقي فقد صب عنايتـه كلهـا ضـد النحـو" [1].

وتجاوز ابن مضاء العلة النحوية ليدعو إلى ترك العوامل، وإلغاء القياس والتقدير والتأويل فـي مجال دراسة النحو، وهذا هو ما دعا إليه الفقيه ابن حزم في مجال الفقه والإفتاء.

ويمكن رؤية أثر المذاهب الفقهية وبخاصة المذهب الظاهري على النحو العربـي فـي الأندلس من زاوية، ألا وهي المناظرات النحوية التي أسهمت بدرجة كبيرة في تطور النحو فـي الأندلس، فهذه المناظرات جاءت تالية للمناظرات الفقهية بين أصحاب المذاهب المتصارعة فـي الأندلس [2]. وكان تأثير الفقهاء والمتكلمين واضحاً في النحاة، وبخاصة فيمـا يتعلـق بالقيـاس والتعليل وكثرة الاستشهاد، وما يحتاجه المتناظر لإثبات قوته وإضعاف خصمه، ويظهر فضـل ابن حزم في تطور هذه المناظرات جلياً، لأنه إمام لمذهب جديد على الأنـدلس فاضـطر هـو وأتباعه إلى إثبات وجودهم على الساحة الفقهية في الأندلس، وكانت المناظرات أقوى أسـلحتهم في ذلك، لذلك فقد بسط القول في قواعدها وشروطها، والمصطلحات المتداولة فيها[3].

أشكال التيسير وصوره:

من المعروف لدى دراسي النحو العربي والباحثين فيه، أن سيبويه قـد أكمـل النحـو العربي من ألفه إلى يائه، وذلك في (الكتاب) الذي يعد أقدم كتاب في النحو والصرف بين أيدينا حتى الآن، فكان سجلاً لآراء الخليل بن أحمد أستاذ سيبويه[4] على أن سيبويه استفاد من علمـاء عصره الآخرين أمثال يونس بن حبيب، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، و أبي زيد الأنصـاري

(1) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: المقدمة. تحقيق الدكتور شوقي ضيف. دار المعارف: 19- 20.

(2) أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي في الأندلس**: 30 وما بعدها.

(3) ابن حزم، أبو محمد علي: **الإحكام في أصول الأحكام**. ط1. مكتبة الخانجي. مصر 1345هـ: 20/1.

الغزالي، أبو حامد: **المستصفى في علم الأصول**: 330/2 وما بعدها. مصر: المطبعة الأميرية ببولاق. والشـاطبي، أبـو إسحاق: **الموافقات في أصول الشريعة**: 96/1. تحقيق وتعليق عبد ا دراز. مصر: المكتبة التجاريـة الكبـرى. وأبـو صالح، وائل: **أبو الوليد الباجي حياته ومناظراته**: 212 وما بعدها. مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث/العلوم الإنسانية. مج 15. 1422هـ/2001 م.

(4) الطنطاوي، محمد: **نشأة النحو**: 48.

وغيرهم. و قد قال أبو عثمان المازني عن كتاب سيبويه: "من أراد أن يعمل كتاباً كبيـراً فـي النحو بعد كتاب سيبويه فليتسح"(1) فما فات سيبويه من علم النحو شيء جوهري.

والحق أن التغير الذي طرأ على النحو العربي كما قدمه سيبويه ليس تغيراً في الجوهر. ومن جاء بعد سيبويه من العلماء لم يقدموا للنحو جديداً بل انكبوا على شـرح كتـاب سـيبويه وتوضيح مشكله. وقد أوغل بعض العلماء في تعقيد النحو العربي وأمسك زمام أمر هـذا العلـم أناس صعب عليهم أن يضيفوا جديداً إلى قواعده الأصلية، فعادوا من حيث بدأ أجدادهم لا مـن حيث وصلوا، كما أخذوا يبحثون في قواعد لغات يمكن أن تؤثر في قواعد اللغة، فأصـبح علـم النحو صعبا على الكثيرين، لذلك كان لابد من التيسير والتقريب لأذهان المتعلمين وقد اتخذ هذا التيسير عدة أشكال وصور، أهمها:

أ. تخليص النحو ما أقحمه بعض العلماء عليه ما ليس منه، حتى بدا هذا العلـم غريبـاً على أصحابه الحقيقيين من عرب البوادي، فقد روي أن أعرابياً وقف على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخلونه معه، فحار وعجب وأطرق ووسوس ! فقال الأخفش: ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا (2).

فالنحاة يتكلمون اللغة ولكنهم يقحمون عليها ما ليس منهـا، مـا أثـار اسـتهجان ذاك الأعرابي فهو من مصادر اللغة، ولكنه لم يتكلم كما تكلم الأخفش وغيره عنها.

ب. تنظيم الأبواب النحوية وترتيبها، فقد كانت تعاني بعض مصادر النحو ومصنفاته من الاضطراب في تتالي الأبواب، وفي توزيع جزئيات الباب الواحد، فضلا عـن الغمـوض فـي العناوين، مع غياب الدقة في المصطلحات وصعوبة الاهتداء إلى مسائل النحو، وعدم التطـابق بين العنوان وما تحته، "ويمثل كتاب سيبويه خير نموذج لهذه الأحكام، مع أنـه يمثـل أكمـل

---

(1) ابن النديم، أبو الفرج: **الفهرست**. القاهرة. 1979 م: 83.

(2) التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد العباس: **الإمتاع والمؤانسة القاهرة**: مطبعة لجنة التأليف 139/2.

وأنضج محاولة في التأليف النحوي قديما وحديثا "[1] فقد روى المبرد عن المازني أنه قال: " قرأ علي رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة، فلما بلغ آخره قال لي: أما أنت فجزاك الله خيرا، وأما أنا فما فهمت منه حرفا"[2]، ولهذا انبرى كوكبة من العلماء لشرح هذا الكتاب والتعليق عليه وشرح عيونه وغريبه، ونكته والاستدراك على ما فاته من الأبنية.

ج. الاختصار والإيجاز غير المخل، لأن معظم كتب النحو كانت تعاني من الطول المفرط الناشئ عن التكرار والاستطراد والحشو ومعالجة المسائل الأجنبية التي لا صلة لها بالنحو، فضلا عن الشغف بالمناقشات والجدل والإغراق في تتبع العلل والإكثار من التقسيمات والتفريعات[3] أضف إلى ذلك التعمق في مسائل الخلاف "وحسبك أن تقرأ بابا كباب المبتدأ والخبر، أو باب كان وأخواتها والملحقات بها، أو غيرها من النواسخ وغير النواسخ – في الهمع، أو ابن عقيل وحاشيته، أو الأشموني وحاشيته – فترى العجب العجاب من أمر ذلك الخلاف. بل حسبك أن تقرأ باب الجوازم خاصة في كتاب الهمع لتفزع مما ترى من خلاف في كل مسألة. وهذا الخلاف والتفرق في كثير من القواعد النحوية كان أظهر العيوب فيها وأكبر العقبات في تحصيلها والوصول فيها إلى ضوابط محدودة سليمة؛ يسهل استخدامها، والاستعانة بها في التفاهم الكلامي والكتابي على وجه محكم دقيق"[4]، ومن نماذج ذلك على سبيل المثال، أن الأشموني أوصل معمول الصفة المشبهة إلى اثنتين وسبعين صورة، منها ما هو جائز ومنها ما هو ممتنع[5].

---

(1) الشنتمري، الأعلم: **النكت في تفسير كتاب سيبويه**. تحقيق رشيد بلحبيب. المملكة المغربية. 1420هـ. : 95/1-60. وينظر ناصف، علي النجدي: **سيبويه إمام النحاة:** 159. القاهرة: عالم الكتب. 1979 م. ومبروك، عبد الوارث: **في إصلاح النحو العربي-دراسة نقدية** -: 23. ط1. الكويت: دار القلم 1985م.

(2) القفطي، جمال الدين أبو الحسن: **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: 48/2. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة دار الكتب المصرية. 1973م.

(3) مبروك، عبد الوارث: **في إصلاح النحو العربي**: 27.

(4)حسن، عباس: صريح الرأي في النحو العربي. **مجلة رسالة الإسلام**. 36 الصادرة عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية: 387

(5) الأشموني،نور الدين أبو الحسن علي بن محمد: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى" **منهج السالك إلى ألفية ابن مالك** ": 8/2. بيروت: دار الكتاب العربي. 1955م

د. شرح المؤلفات النحوية، ذلك أن هذه المؤلفات كتبت بلغة جافة يصعب فهمها أو الوقوف على مراميها بسهولة ويسر، لذلك كان لا بد من شرح لهذه اللغة التي صيغت بها تلك المؤلفات.

إن الصعوبات التي وسمت علم النحو لم تغب عن إدراك القدامى أنفسهم، فقد استجابوا تلقائيا لدعوة التيسير على مر القرون - على المستويين النظري والتطبيقي - فكانوا يؤلفون المؤلفات الضخمة للمتخصصين، ويؤلفون للناشئة متونا ومختصرات مهذبة. فقد ألف خلف الأحمر "مقدمة في النحو" قال في بدايته: "لما رأيت النحويين وأصحاب العربية قد استعملوا التطويل وأكثروا العلل وأغفلوا ما يحتاج إليه المتبلغ في النحو من المختصر. . . أمعنت النظر في كتاب أؤلفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين، ليستغني به المبتدئ عن التطويل"(1) وتطالعنا في كتب التراجم والفهارس عناوين كثيرة تدل على أن القدماء كانوا يدركون بعض مصادر الصعوبة في تعلم النحو، وأن تيسير النحو للناشئة أمر لا مناص منه ولذلك بادروا بالتأليف النحوي المختصر التي يظهر من عناوين تلك المؤلفات رغبة مؤلفيها في التيسير والإيضاح والإرشاد، كما يطغى عليها الجانب التعليمي(2).

والجدير بالذكر هنا، أن علماء النحو القدماء – على الرغم مما ذكر - لم يدركوا من هذه الصعوبات إلا القليل، لقربهم من عصور السلامة، وقدرتهم على تحصيل الملكة " وحتى تلك العيوب المحدودة لم تنل منهم اهتماما كافيا، فقد عالجوها فرادى، من غير أن يعرض لها إلمام بالتجميع والحصر ووصف العلاج. . . على كثرة الأئمة الباحثين، وفيض الكتب والرسائل التي تتصدى للنحو وقضاياه "(3).

---

(1) الأحمر، خلف: **مقدمة في النحو**: 34. تحقيق عز الدين التنوخي. دمشق. 1961م.

(2) ينظر الحلي، حازم سليمان: **تيسير النحو العربي إلى عصر ابن مضاء القرطبي**: 54 وما بعدها. **مجلة اللسان العربي**. 41. سنة. 1996م.

(3) حسن، عباس: **اللغة والنحو بين القديم والحديث**: 71. القاهرة: دار المعارف. 1971م.

وينظر مبروك، عبد الوارث: **في إصلاح النحو العربي**: 22.

دوافع تيسير النحو لدى الأندلسيين:

عندما فتح المسلمون الأندلس شمر علماؤها عن سواعدهم يريدون أخذ علم النحو عـن علماء المشرق، ولاحظوا صعوبة هذا العلم، وما علق به من شوائب، فعمل عدد مـنهم علـى تخليص هذا العلم مما أقحم عليه من فلسفات غريبة عنه، وكانوا يقصدون من وراء ذلك أن يقف طلابهم على هذا العلم ميسراً، وذلك كي تتمكن الشعوب المستعربة والجماعات العربيـة التـي ابتعدت عن قواعد هذا العلم وأحكامه من فهمه بيسر وسهولة.

و يمكن لنا أن نضع عدة أسباب أو عوامل دفعت علماء الأندلس إلـى تيسـير النحـو العربي وتخليصه من شوائبه التي علقت به على مر عصور خلت، ولعل من أهم تلك العوامل:

أولا: اختلاف الأجناس التي كانت تسكن الأندلس في الدولة الإسلامية، وصراع اللغات فيما بينها: " فهناك العرب الفاتحون الذين جاؤوا حاملين لغتهم ذات الصبغة اليمنيـة "[1]، وقـد استقروا في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، وهناك أيضا البربر الذين كانوا يشكلون النسبة العظيمة من جيش طارق بن زياد فاتح الأندلس، وقد ازداد عدد البربر بعد الفتح إلى أضـعاف كثيـرة، وفي هذا يقول المقري: "و تسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأنـدلس سـعة الغنائم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب فلحقوا بطارق، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع وتهـاربوا مـن السـهل ولحقـوا الجبال"[2].

إن هذا الكلام لا يعني عدم وجود عرب في جيش طارق مع أنهم كـانوا أقليـة قليلـة، وكان هناك أيضا اليهود الذين كانوا موجودين قبل الفتح الإسـلامي، وقـد رحبـوا بالفـاتحين ليخلصوهم من ظلم القوطية[3] وكان هناك أيضا عجم الأندلس، أوهم السكان الأصـليون الـذين

(1) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 29.

(2) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**: 159/1. بيروت: دار صـادر. 1968م. مـؤنس، حسين: **فجر الأندلس – دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة**: 127. القاهرة: الشـركة العربيـة للطباعة والنشر. 1959م.

(3) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 26.

كانت لهم لغتهم الخاصة التي يقول عنها صاحب كتاب فجر الأندلس: "إن اللغة التي كان يتكلمها أهل إيبريا قبل القرن الحادي عشر الميلادي لا يمكن تعرفها إلا على وجه التقريب، نظراً لقلـة الأصول التي يعتمد عليها، وكل ما يمكن قوله إنها كانت تضم ألفاظا محكية من لغة القوط، أمـا بقيتها فكانت لهجات مختلفة من اللاتينية العامية"[1]، وهذه اللهجة العامية سماها العرب العجميـة أو عجمية أهل الأندلس. وكل هذه القوميات تسعى إلى نشر لغتهـا بـين القوميـات الأخـرى، وإحيائها وبعث الحياة فيها، "كما فعل اليهود عندما بعثوا اللغة العبرية والأدب العبـري تحـت رعاية حكام المسلمين"[2].

لقد كان العرب يسعون لنشر اللغة العربية في الأندلس، لأنها لغة القـرآن الكـريم، ولا يتعلم الدين دون تعلمها، لذلك وجد علماء الأندلس من الواجب عليهم أن يقدموا اللغـة العربيـة بشكل مبسط ميسر بعيد عن التعقيد والشوائب حتى تكون تلك اللغة محفزة لغير العرب من أجل تعلمها وحفظ قواعدها، وكذلك لتكون تلك اللغة ذات نحو قوي يستطيع منافسة اللغات الأخـرى، لذلك انبرى عدد من علماء الأندلس إلى تبسيط تلك القواعد ليسهل حفظها ونشرها.

ثانياً: البعد الجغرافي بين الأندلس والمشرق العربي مولد النحو: أوجد البعد الجغرافي عن مصدر اللغة والنحو عند الأندلسيين ضعفاً في فهم قواعد العربية التـي وضـعها العلمـاء وساهموا في تعقيدها والقياس فيها، لذلك لم يكن أمام نحاة الأندلس إلا اللجوء إلى تبسـيط تلـك المصنفات النحوية المشرقية، إما بشرحها وتوضيح غريبها وبيان مشكلها تارة، أو باختصـارها والتعليق عليها تارة أخرى، كل ذلك حتى تنسجم تلك القواعد مع عقلية أناس من قوميات متعددة ومختلفة. وحتى يستطيع طلاب الأندلس من العرب المسلمين فهم تلك القواعد، لأن فهمها أصبح شيئاً صعبا بعدما أصابها التقعر والفلسفة النحوية.

ثالثاً: دعوة عدد من العلماء في بلاد الأندلس إلى تبسيط النحو العربي وتيسيره علـى المتعلمين، وذلك بعد أن أفسد النحاة النحو بتعليلاتهم وشروحاتهم، وكان مـن أشـهر هـؤلاء

(1) مؤنس، حسين: **فجر الأندلس**: 417، حاشية رقم 1.

(2) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 26.

العلماء، عالمان من فلاسفة الأندلس، هما العالم الفقيه ابن حزم الأندلسي، والفيلسوف ابن رشد. فابن حزم " لم يكن نحوياً، ولم يذكر كتابا في النحو، ولا عرف بإمامة فيه"[1]، وذلك لانصـرافه إلى علوم الشريعة الإسلامية، وإلى مذهبه الفقهي الجديد "المذهب الظاهري" ومع هذا الاهتمـام بعلم الشريعة، نلحظ عنده اهتماما ً عظيماً بعلم النحو، فهو قد حض الطلبة على تعلمه كمـا مـر بنا[2]. وقد دعا ابن حزم إلى التخاص من علل النحو، ودعا إلى عدم التعمق فيه لأن التعمـق - حسب رأيه – " فضول لا منفعة فيه، بل هي مشغلة عن الأوكد"[3]، وهذا الكلام هو أجرأ الآراء التي جاء بها ابن حزم، حيث عد العلل النحوية فاسدة ويجب التخاص منها[4]. ومع رفض ابـن حزم لموضوع العلل النحوية، أسوة بالعلل الفقهية، فإنه لم يقدم لنا تصوراً حول مصـير النحـو بعد أن تزول تلك العلل التي أرقت ابن حزم وغيره.

و قد ذهب ابن حزم إلى أبعد من ذلك في دعواه إلى تيسير النحو، حين حدد الكتب التي يجب على الطلبة دراستها وذكرها بأسمائها فقال: "إن أقل ما يجزىء منه-أي علم النحو-كتـاب الواضح للزبيدي، أو ما كان نحوه كالموجز لابن السراج"[5].

إن الملاحظ للكتب التي اختارها ابن حزم لتكون مادة تدريسية لعلم النحو أنها كتب سهلة وبسيطة، وبعيدة عن التعقيد والمغالاة في النحو، وخالية من العلل النحوية، والأقيسـة المنطقيـة التي طالما نادى ابن حزم بضرورة التخاص منها.

و إذا انتقلت إلى الفيلسوف الآخر وهو ابن رشد فإنني أجد له رأياً في النحـو العربـي، وقد ظهر هذا الرأي في كتابه (الضروري في علم النحو) الذي ألفه وجعل غرضه " أن يـذكر من علم النحو ما هو كالضروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم، ويتحرى في

(1) الأفغاني، سعيد: **من تاريخ النحو**. : 103. الكويت. مكتبة الفلاح. 1980م

(2) ينظر تأثر النحو بالمذاهب الفقهية في موضع سابق من هذه الرسالة: 16 وما بعدها.

(3) ابن حزم، أبو محمد علي: **مراتب العلوم**: 64- 65.

(4) ابن حزم، أبو محمد علي: **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه**: 168

(5) ابن حزم، أبو محمد علي: **مراتب العلوم**: 64.

ذلك ما هو أقرب إلى الأمر الصناعي، وأسهل تعليما، وأشد تحصيلا للمعاني"[1] وقد أشار فـي كتابه إلى التداخل بين الموضوعات والمستويات في كتب النحو العربي، وهو تقصـير يرجـع سببه -كما يرى- إلى أن النحاة " لم يستعملوا في إحصاء أنواع الإعراب القسمة الصحيحة التي لا يعرض فيها تداخل. . ."[2].

وقد التقى ابن رشد في كتابه الداعي إلى تيسير النحو، مع ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة " فالكتابان (كتاب ابن مضاء وكتاب ابن رشد) تجمع بينهما الغاية وهي تيسـير النحو العربي، ولكن تفرق بينهما الطريقة والمرجعية: ابن مضاء يتحرك داخـل بنيـة النحـو العربي، كما كانت منذ سيبويه، مع "إسقاط كل ما لا يفيد نطقا"، الشيء الذي يربطه بظاهرية ابن حزم. أما ابن رشد فيريد أن يعيد بناء النحو العربي وفق "الترتيب" الذي هو "مشـترك لجميـع الألسنة"[3].

و بعد أن عرضت بشكل يسير وسريع آراء هذين العالمين، وتعرفت على نظرتهما فـي النحو العربي، ودعوتهما إلى تخليص النحو مما علق به من شوائب وتعقيدات، أرى أن ذلك كان له تأثير على تيسير النحو العربي في بلاد الأندلس، وخصوصاً أن دعوة هذين العالمين جـاءت منسجمة إلى حد بعيد مع أهواء عامة الناس ورغباتهم فيما يخص هذا العلم.

عوامل تطور النحو في الأندلس:

إن من طبيعة أي علم من العلوم أن يمر بمراحل نمو متدرجة، و يكون عرضة لعوامل تساعده على النمو والازدهار،وفي المقابل هناك عوامل أخرى تسهم في انحطاطه وتراجعـه، و علم النحو العربي في الأندلس نما وتطور إلى درجة كبيرة، حتى إنه كان يعد من أهـم العلـوم المنتشرة والمتطورة في بلاد الأندلس، و ما كان هذا التطور وذاك الازدهار ليأتيا عفو الخـاطر

---

(1) ابن رشد، محمد: **الضروري في صناعة النحو**: (المقدمة: 4). تحقيق منصور علي عبـد السـميع. ط1. دار الفكـر العربي 2002م.

(2) ابن رشد، محمد: **الضروري في صناعة النحو**: (المقدمة ص 4). وينظر الجابري، محمد عابد: **التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد**: 5 مجلة فكر ونقد49 /50 سنة 2002 المغرب.

(3)الجابري، محمد عابد: **التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد**: 1

أو بمجرد صدفة أو ضربة حظ، بل توافر لهذا العلم عدة عوامل ساعدت على نموه وازدهـاره في تلك البلاد، منها:

أولاً: الرحلات العلمية:

يقسم بعض العلماء[1] الرحلات التي كان يقوم بهـا علمـاء الأنـدلس لطلـب العلـم، وتحصيل المعرفة إلى ثلاثة أقسام: رحلة كبرى إلى بلاد المشرق العربي من أجل لقاء العلمـاء المشارقة وأخذ العلم منهم، ورحلة وسطى إلى بعض المناطق القريبة من الأندلس كالقيروان من أجل تبادل المعارف والعلوم، ورحلة صغرى كانت محدودة في بلاد الأندلس.

لقد شهد القرن الثالث الهجري، وما بعده تطوراً كبيراً فـي ميـدان رحـلات العلمـاء الأندلسيين إلى المشرق، فبعد أن كانت الرحلة إلى المشرق مقرونة بأداء فريضة الحـج، أي أن لقاء الأندلسيين بالعلماء المشارقة كان يتم في مواسم الحج، أصبحت الرحلة العلمية هـدفاً بحـد ذاته، وغدا الطلاب يرحلون لأجل العلم وطلبه، سواء أكان هذا العلم هو علم الشريعة الإسلامية من حديث وفقه وتفسير، أم علم اللغة من نحو وصرف، فقد كان كثير من العلماء يجمع معظـم هذه العلوم ويعود بها إلى بلده، وكان عدد من العلماء الأندلسيين لا يكتفي بلقاء العلماء المشارقة ليأخذ العلم عنهم أمثال الأصمعي، والكسائي، والفراء، والسجستاني، بل نراهم يخرجـون إلـى البادية للقاء الأعراب ومشافهتهم، وأخذ اللغة عنهم مباشرة[2].

وتدلنا أسماء العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس، وحملوا معهـم الكتـب المشـرقية[3] أن الثقافة الأندلسية كانت تتغذى على تلك المؤلفات المشرقية الشهيرة، فلا يخفى على أحد ما لهـذه الرحلات من أثر في تطور النحو في الأندلس، فأن النحو العربي دخل إلى الأندلس عن طريـق

(1) ينظر مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس:** 45

وأبو صالح، وائل: **تطور الدرس اللغوي في الأندلس**: 50 وما بعدها.

(2) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 55.

(3) ذكرنا بعضاً من هؤلاء العلماء والكتب التي أدخلوها الأندلس في موضع سابق من هذه الدراسة (دخول النحـو إلـى الأندلس).

العلماء الذين رحلوا إلى المشرق، ودرسوا على يد علمائه، وكذلك يعود الفضل في إدخال كتاب سيبويه وغيره من مشهور الكتب إلى رحلات أندلسية إلى المشرق.

ولكن تلك الرحلات الأندلسية إلى المشرق قد تأثرت سلباً في نهاية القرن الرابع الهجري، بقدوم بعض العلماء المشارقة إلى الأندلس، وبخاصة قدوم أبي علي القالي، حيث استغنى بعض الطلاب عن الرحلة، لأنهم رأوا في أبي علي خلاصة العلم اللغوي المشرقي، كما كان قيام الدولة الفاطمية، وامتداد سلطانها إلى المغرب ومصر أثره السلبي على الرحلة إلى المشرق، نظراً لسوء الظروف السياسية السائدة في المشرق[1].

ثانياً: الهجرة إلى الأندلس:

كانت هذه الهجرة تقابل الرحلات التي كان يقوم بها العلماء الأندلسيون إلى المشرق، ذلك أن الأندلس بلاد جميلة حباها الله تعالى، موقعا مميزاً جميلاً، وخيرا وفيرا،[2] لذلك كانت في بعض الأحيان مقصداً لبعض العلماء المشارقة الذين خرجوا من المشرق، قاصدين الأندلس لنشر العلوم فيها، وكان لتلك الرحلات في أحيان كثيرة أهداف تجارية أو ظروف خاصة بالذي قدم الأندلس مهاجراً، ومن العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس، أبو جعفر البغدادي[3]، ورجل يعرف بالعجلي، ولكن هؤلاء العلماء وغيرهم ممن رحل إلى الأندلس لم يحدثوا تلك الفائدة العلمية التي كانت تقوم بها الرحلات إلى المشرق، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها:

أ) قلة المهاجرين إلى الأندلس: حيث إن عددهم كان قليلاً جداً، إذا ما قيس بالذين كانوا يتركون الأندلس ويتجهون صوب المشرق لطلب العلم ونشره.

ب) طبيعة هؤلاء العلماء المهاجرين: فهم لم يكونوا من العلماء الأعلام أمثال ثعلب والمبرد وابن جني وغيرهم من العلماء الأفذاذ، بل كانوا علماء على درجة متواضعة نسبياً من العلم والاطلاع والمعرفة خصوصا إذا استثنينا أبا علي القالي الذي رحل إلى الأندلس في القرن

(1) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 106.

(2) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: 140/1 و200/1

(3) له ترجمة في ابن الفرضي، عبد الله بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: 1: 74

الرابع الهجري، واستقر في قرطبة يدرس الطلاب والمريدين، ويؤلف الكتب العظيمة في اللغـة والنحو، ويلقى التشجيع والإكرام من العلماء والطلاب والحكام. فأحدث أبو علي تأثيرا كبيرا في نشر اللغة والنحو في الأندلس، وما عداه فكان تأثيرهم محدوداً وقليلاً[1].

ج) هدف تلك الرحلات: كان الهدف العام لتلك الرحلات في الغالب ليس من أجل طلـب العلم، لأن المشارقة كانوا يعدون أنفسهم أعلى مرتبة علمية من أهل الأندلس، ولم يكن الهـدف أيضاً لنشر العلم، بل كان في الأعم الأغلب من أجل التجارة والتكسب، لِما ذاع في ذلك العصر عن بلاد الأندلس وخيراتها، كما أن بعضهم كان يرى في الرحلة إلى الأندلس سببا لنجاته مـن الموت أو الحبس، فالظروف السياسية التي كانت تعم بعض البلاد الإسلامية فـي تلـك الفتـرة وبخاصة في القرن الخامس الهجري دفعت بعضا من الناس إلى الهجرة، فحين هاجمـت قبائـل الهلالية القيروان، وقضت على عمرانها، هرب الناس إلى الأندلس طلباً للنجاة، وكان من أشهر القيروانيين الذين هاجروا إلى الأندلس العالم "إسماعيل بن أحمد القيرواني"، والعالم الحضـرمي "محمد بن الحسن الحضرمي " الذي دخل قرطبة وروى كتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعـالبي مشافهة"[2]، ومن العلماء من كان عراقياً مثل الوزير "محمد بن عبد الواحد البغـدادي"[3] الـذي دخل الأندلس قادماً من بغداد بعد أن مر بالقيروان ورأى اختلال الأمن فيها، وكان صاحب علم وأدب واستقر بطليطلة[4].

وعلى الرغم من هذه العوامل، فان الهجرة إلى الأندلس ساعدت على إحياء حركة النحـو فـي الأندلس، وتطوره.

---

(1) ينظر مطلق، البير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 258.

(2) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 297.

(3) ترجمته في الحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس**: 68.

(4) الحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس**: 69. البطَليوسي، أبو محمد بن السيد: **الانتصار ممن عدل عن الاستبصار**: 21. تحقيق حامد عبد المجيد. القاهرة. 1955 م.

ثالثاً: المناظرات النحوية:

وهي عامل لا يقل في أهميته عن العوامل الأخرى، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه المناظرات قد دفعت بالنحو العربي إلى قمة التطور والنمو والدقة، وذلك لأن طبيعة هذه المناظرات كانت تعتمد على الدقة والنظر، وسرعة البديهة، وطلاقة اللسان، واحتجاج قوي، وتعليل سليم، وقياس منطقي[1].

أما المتناظر فكان مجبراً على دراسة عدد غير قليل من كتب النحو واللغة، دراسة تفصيلية لكل المسائل التي تضمنها الكتاب حتى يكون على قدرة وكفاية في مناظرة غيره. وقد تنوعت المناظرات اللغوية في الأندلس، وأخذت عدة أشكال: فمنها ما كان بين الطالب والمؤدب، وإن كانت هذه قليلة الحدوث لسبب بسيط هو أن هذه المناظرات كانت تحتاج إلى ندين بنفس المستوى الثقافي والعلمي تقريباً، وهذا الأمر غير موجود في مناظرة الطالب مع مؤدبه لذلك كانت قليلة الحدوث، ومن الأمثلة عليها ما جاء في كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي عن خبر السهيلي قوله: "و ناظر في كتاب سيبويه على أبي الحسين بن الطراوة"[2]. وإن كان الدكتور محمد إبراهيم البنا قد نفى وقوع هذه المناظرة بين الشيخ ابن الطراوة وتلميذه السهيلي راداً النص السابق إلى التحريف، إذ أن أصل العبارة "ونظر في كتاب سيبويه على أبي الحسين بن الطراوة"[3] وعبر الدكتور وائل أبو صالح عن رأي آخر وهو عكس ذلك، وذهب إلى أن تلك المناظرة قد حصلت بالفعل، مدعماً ذلك الرأي بأدلة عدة[4].

أما الشكل الآخر للمناظرات النحوية، فهو المناظرة بين نحوي وأخر، وهذه المناظرات كانت شائعة إلى حد كبير، وقد أثرت هذه المناظرات الدرس النحوي إلى أقصى درجة، لأنها كانت تتم عادة بين كبار العلماء والنحاة وبحضرة الشهود والحكام، وكانت تحوي الآراء المتعارضة والحجج المقنعة، وقد تطور هذا النوع من المناظرات بعد وصول كتاب سيبويه إلى

---

(1) أبو صالح، وائل: **تطور الدرس اللغوي في الأندلس**: 30.

(2) الذهبي، أبو عبد ا شمس الدين: **تذكرة الحفاظ**: 142. ط3. حيدر أباد. 1955م

(3) البنا، محمد إبراهيم: **أبو الحسين بن الطراوة**: 32. دار الاعتصام.

(4) أبو صالح، وائل: **تطور الدرس اللغوي في الأندلس**: 34.

الأندلس، ومثال ذلك المناظرة التي حصلت بين صاعد بن الحسين البغدادي من جهة، والزبيدي والعاصي وابن العريف والمنصور من جهة أخرى[1].

يلاحظ مما سبق أن المناظرات اللغوية النحوية-سواء أكانت بين طالب وشيخه أم بين نحوي وآخر-ساعدت إلى حد كبير على تطوير الدرس النحوي في الأندلس والارتقاء بمستواه.

رابعاً: دور الحكام والملوك:

يعد هذا العامل الأبرز، والحاضن لغيره من العوامل السابقة الذكر، ذلك أن بعض الحكام في الأندلس كانوا على درجة عالية من العلم، وهم يرغبون في تحسين مستوياتهم العلمية. وتوثيق ثقافاتهم المختلفة "فهذا المظفر بن الأفطس، صاحب بطليوس، وولده المتوكل على ا عمر بن المظفر، وأبو الجيش مجاهد العامري، صاحب دانية والجزائر الشرقية، والمعتمد بن عباد وغيرهم "[2] كانوا خير مثال لحكام شجعوا العلم لكونهم علماء يحبون العلم.

أما الحكام من غير فئة العلماء، فكان حرصهم على تشجيع العلماء على العلم ونشره وتعلمه، لا يقل عن الحكام العلماء، ولعل ذلك عائد إلى رغبة كل منهم في إثبات وجوده، وأنه يستطيع منافسة غيره من الحكام، وكذلك هم يريدون أن يثبتوا لشعبهم أنهم يريدون العلم ويشجعون العلماء، وفي هذا يقول ابن الخطيب صاحب: (أعمال الأعلام) "وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتب عنهم الكتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجود حقهم الشهود، ووقفت بأبوابهم الشعراء"[3].

ويمكن تلخيص جهود الحكام في بلاد الأندلس فيما يخص تشجيع العلم والعلماء بالآتي:

---

(1) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**: 77/3.

(2) أبو صالح، وائل: **تطور الدرس اللغوي في الأندلس**: 38.

(3) ابن الخطيب، لسان الدين: **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من حكام الإسلام**: 167- 168. تحقيق ليفي بروفنسال. ط2. بيروت. 1956م.

وينظر بروكلمان، كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**: 308 – 309.، ط7. بيروت: دار العلم للملايين. 1977م.

1. **إنشاء المكتبات التابعة للقصر**: لقد كان الحكام يشيدون المكتبات في قصورهم، فـلا يكـاد يخلو قصر من قصورهم من مكتبة عظيمة تكون محجاً للعديد من العلماء وطلاب العلـم، لمـا كانت تحويه من مصنفات في مختلف العلوم، وشتى الفنون، وكان لعلوم اللغة حظ وافر فيهـا، ومن أشهر تلك المكتبات: مكتبة المنصور الذي اتخذ لها قيماً للتدقيق والضبط " فكان محمد بـن عبد الرحمن اللغوي من أهل قرطبة هو المسؤول عن تصحيح ومقابلة كتب المنصور وابنه"[1]. وقد دفع فعل الحكام هذا غيرهم إلى الاقتداء بهم حباً في المنافسة والتقليـد، فعرفـت المكتبـات الخاصة التي كان يقيمها العلماء وعلية القوم، ومنها مكتبة ابن فطيس التي كان يعمل فيها سـتة من النساخين ولها أمين خاص[2]. وما إن حل القرن الخامس الهجـري إلا والمكتبـات العامـة والخاصة منتشرة في معظم بلاد الأندلس: من قرطبة إلى اشبيلية، والمرية وطليطلة وغيرهـا من المدن التي شهدت تنافساً محموماً بين الحكام لخدمة العلم والعلماء، ما أحدث ثـورة فكريـة ولغوية عظيمة.

2. **تشجيع العلماء والمؤلفين على التأليف، وإغداق العطايا عليهم**: لعـل مـا فعلـه الحكـم المستنصر با مع أبي بكر الزبيدي لهو خير دليل على تشجيع الحكام للعلماء على تأليف الكتب ووضع المصنفات، فأشهر كتب الزبيدي " طبقات النحويين واللغويين" أُلِف باقتراح وتوجيه مـن الحكم، الذي أمد الزبيدي بعنايته وعلمه وأوسعه من روايته وحفظه[3]. وكذلك الأمـر بالنسـبة لكتاب لحن العوام للزبيدي الذي ألفه طلباً لرضا الحكم واستمداد فضله، وإن لم يكن ألفه بطلـب منه[4].

ولم يكن الزبيدي وحيدا في هذا التشجيع والتكريم، فهناك عدد من العلماء الذين وضعوا أشـهر المصنفات، وأعظم المؤلفات، بطلب من الخلفاء والأمراء وتشجيعهم، فالعالم الكبير أبـو علـي القالي يضع أجود كتبه، وأهمها(كتاب الأمالي) بعد أن نال تشجيعا عظيما من الخليفة الأندلسـي

(1) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 102 – 103.
(2) المرجع السابق: 86
(3) الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 17 – 18.
(4) الزبيدي، أبو بكر: **لحن العوام**: 9. تحقيق رمضان عبد التواب. ط1. القاهرة. 1964 م.

الحكم، "الذي بالغ في إكرامه وإجلاله. . . فكان الخليفة الحكم أحب ملوك الأندلس للعلم، وأكثرهم اشتغالا به، وحرصا عليه، وكان يحث أبا علي على التأليف وينشطه بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام " [1]. وقد عبر القالي عن هذا الإكرام الذي حظي به في مقدمة أماليه فقال عن الحكم بعد أن بين سبب وضعه للكتاب: " فرأيته – أيده ا – أجل الناس بعد أبيه خطرا وأرفعهم قدرا، وأوسعهم كنفا، وأفضلهم سلفا، وأغزرهم علما وأعظمهم حلما..."[2].

أما العالم أبو عبد ا الخشني القروي فقد نال منزلة عظيمة عند الحكم المستنصر، حتى إنه أمره بتأليف كتاب يختص بالقضاة الذين قضوا للخلفاء في المغرب وقرطبة، ففعل الخشني ذلك آملا في نيل العطاء الوافر من الحكم الذي ما بخل عليه، ولا على غيره من العلماء[3]. وقد وصل الأمر ببعض العلماء أن يطرز كتابه باسم أمير تقرباً إليه كما فعل أبو عبيد البكري حين ألف كتاب" التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه " حين أهداه إلى المعتمد بن عباد[4].

3. **تدقيق الكتب العلمية وتنقيحها**: فقد كان الولاة يهتمون بأن تكون المؤلفات والنسخ المنسوخة عن المصنف الواحد صحيحة وخالية من الأخطاء، وهذا ما فعله الحكم المستنصر با حين طلب من أربعة من كبار العلماء في قرطبة وهم: أبو علي القالي، ومحمد بن الحسين، وابنا سيد، أن يقارنوا بين عدة نسخ من كتاب العين، ويستخرجوا نسخة واحدة دقيقة يقرها هؤلاء الأعلام[5].

4. **دعوة العلماء إلى مدنهم وولاياتهم**: كان الحكام والولاة في الأندلس يتنافسون على جذب العلماء إليهم ويقربونهم من مجالسهم، وبخاصة العلماء الوافدين على الأندلس من خارجها، فأبو

(1) القالي، أبو علي إسماعيل: **الأمالي**: 1/ع (المقدمة). مراجعة لجنة إحياء التراث العربي. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1400هـ/1980.

(2) المرجع السابق: 3

(3) ينظر الخشني، أبو عبد ا الحارث: **قضاة قرطبة**: 23 وما بعدها. تحقيق إبراهيم الأبياري. ط1. بيروت. لبنان: دار الكتاب اللبناني 1402هـ/1982 م.

(4) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 216.

(5) الحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس**: 47 – 48.

علي القالي جاء إلى الأندلس وإلى قرطبة بالتحديد بطلب من الحكم المستنصر با الذي أكرمه وأجله فأحدث تطوراً نحوياً عظيماً في الأندلس [1].

وكذلك الأمر بالنسبة للمنصور بن أبي عامر الذي كان يكرم العلماء ويجلبهم إلى مجلسه، وهو يريد منافسة الحكم وأبي علي مستعيناً على ذلك بصاعد البغدادي الذي كان يخوض مناظرات عدة مع طلاب أبي علي وتلاميذه، وكان للمنصور مجلس يضم كثيراً من العلماء أسبوعيا، كلما كان مقيماً في قرطبة، لان غزواته كانت تبعده عنها[2]

وختام القول: وفر ا تعالى للنحو في الأندلس عدة عوامل ساعدت على انتشاره وازدهاره في بلاد تبتعد آلاف الأميال عن موطن النحو الأصلي، فأصبح " علم النحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء"[3].

(1) مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**: 91.

(2) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك: **الصلة**: 73 القاهرة. 1955 م

(3) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**: 221/1.

الفصل الثاني

تأليف الكتب النحوية المختصرة

الفصل الثاني

تأليف الكتب النحوية المختصرة

التأليف النحوي المختصر

لقد وصل حال النحو العربي، بعد الجيل الأول من النحـاة، أمثـال سـيبويه والمبـرد والكسائي، وغيرهم إلى درجة غاية في التعقيد والصعوبة، تمثلت في تلك الموسوعات النحويـة التي ألفها العلماء، وضموها أصناف العلل والمعلول، حتى ضاع دارس النحـو فـي متاهـات كثيرة، فكثرت الشروح للكتب المؤلفة، وكثرت شروح الشروح، وتفنن العلماء والنحاة في تلـك المصنفات والشروح وذلك خوفا على (صناعتهم) فقالوا مهاجمين الفراء-الذي كان له أراء فـي قسم من المسائل اللغوية اتسمت بالسلامة واليسر-: "إن دام هذا على هذا، علم النحو الصبيان"[1]. فنتيجة لذلك أحس العلماء –وبخاصة علماء الأندلس- بالحاجة إلى تسهيل النحو وتخفيفه بعد أن علت الأصوات المنادية في كل البلاد إلى ضرورة الاتجاه بهذا العلم نحو السهولة والتيسير، وقد اتبع علماء النحو في المشرق والمغرب والأندلس طرقا عدة من أجل تقديم النحو العربي بقالـب جديد مخفف يصلح لمواكبة الحياة وبخاصة الأندلسية المترفة، وكان أول تلك الطرق هو وضـع الخطط والمنهاج الميسرة وتصنيف الكتب العلمية المختصرة، التي تسهل على القارئ والمـتعلم لعلم النحو العربي الوصول إلى غايته وهدفه بيسر وسهولة دون الحاجة إلى المرور بتعقيـدات النحو التي لا حاجة للطالب بها.

التأليف النحوي المختصر عند المشارقة

فقد روي عن الكسائي حين انتدب علي بن الحسن الأحمر (ت194هـ) ليخلفه في تعليم أبناء الرشيد، إذ كان الأول قد وضع خطة تعليمية محددة راعى فيها التدرج والتنـوع فـي آن واحد، بما يتناسب مع مستوى المتعلمين، فقال ينبه "الأحمر" الذي كان سينوب عنه فـي تعلـيم

---

(1) ينظر داود، عبير محمود شريف: **دور شروح الألفية في تيسير النحو العربي**: 22 (رسالة ماجستير غير منشـورة). جامعة آل البيت. الأردن 2002م

أبناء الخليفة: "إنما يحتاجون كل يوم إلى مسألتين في النحو، وبيتين من معاني الشعر، وأحـرف من اللغة"[1].

وكان الجاحظ (ت255هـ) من أوائل الذين دعوا إلى الاختصار والتيسير على الطالـب بقوله: "أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلـك فهـو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه، من رواية المثل والشاهد والخبـر الصـادق والتعبير البارع، وإنما يرغب في بلوغ غاية النحو ومجاوزة الاقتصاد فيه من يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد... ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه، وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر إليه في شيء[2]. فاستجاب كثير من العلماء وأئمة النحو لنصيحة الجاحظ فوضعت الملخصات والمختصرات للدارسين.

وممن ألف كتاباً مختصراً في النحو أحمد بن يحيى ثعلب (ت291هـ) وأبـو الحسـن محمد بن أحمد بن كيسان (ت299)، وابن شقير (ت317هـ)، وألف الزجاجي (ت337هـ ـ) كتاب الجمل في النحو تجنب فيه الخلاف والأقوال الشاذة والتفريعات والتعديلات والأقيسة التـي لا تنفع الناشئة مع الأسلوب الواضح فنال الكتاب نجاحاً كبيراً وتلقاه الدارسون بالقبول وشـرح أكثر من مئة وعشرين شرحا، وألف أبو جعفر النحاس (ت338هـ) مختصرا في النحو أسـماه (التفاحة) قدم فيه مادة النحو للناشئة في غاية الاختصار والإيجاز، وألف أبو علـي الفارسـي (ت377هـ) صاحب الموسوعات كتابا مختصرا في النحو أسماه الأوليات في النحو ولعلي بـن عيسى الرماني(ت384هـ) كتاب الإيجاز في النحو وهو مختصر، ولأبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) كتاب اللمع وهو مختصر في النحو، ولعبد القاهر الجرجاني (64) (ت471هـ ـ) مختصر في النحو أسماه الجمل، واختصره الخطيب التبريزي أبو زكريـا يحيـى بـن علـي (ت502هـ) في مقدمة موجزة، ولأبي منصور الجواليقي (ت540هـ) مختصـر مـوجز فـي

---

(1) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** 334/1.

(2) ضيف، شوقي: **تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا:** 13. القاهرة. دار المعارف. 1986م

وينظر الحلي، حازم سليمان: **تيسير النحو العربي إلى عصر ابن مضاء القرطبي:** 54 وما بعدها.

النحو، ولأبي محمد عبد ا بن بري (ت582هـ) مختصر آخر، وألف أبو الفتح ناصر صدر الأفاضل بن أبي المكارم المطرزي (ت610هـ) مختصرا في النحو باسم المصباح. [1]

التأليف النحوي المختصر عند الأندلسيين

تأثر علماء الأندلس بدعوة الجاحظ السابقة وبدعوة غيره من العلماء إلى التأليف الميسر المختصر الذي يكون هدفاً لصغار طلبة العلم، حيث يشار إلى أن جودي بن عثمان الذي ادخل كتاب الكسائي إلى الأندلس وقد تأثر بهذا الكتاب فألف كتابا في النحو اسماه "منبه الحجارة"[2]، وكان هذا الكتاب تعليميا لصغار الطلاب وذلك لأننا لم نسمع أحدا من العلماء يأخذ عنه شيئا، وكذلك لم يكن علماء الأندلس في تلك الفترة على درجة علمية عالية تؤهلهم لتأليف كتب نحوية ضخمة-وان وجدت هذه في وقت متأخر -. وكان لأبي بكر المكفوف وأبي الإصبع عثمان بن إبراهيم البرشيقي مؤلفات مختصرة في النحو العربي[3]، وألف أبو بكر الزبيدي الأندلسي كتاباً مختصراً في النحو (الواضح في العربية) يعد من أشهر الكتب المختصرة الذي ألفه صاحبه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وربما وضعه بعد أن عمل مربيا لولد الحكم المستنصر با صاحب الأندلس[4]، فكان هذا الكتاب حصيلة تجربة علمية بحتة، عمل خلالها المؤلف مؤدبا، فعلم ما يحتاجه المتعلمون وإلى ماذا يصبون، فكان كتابه-رحمه ا تعالى – كتابا تعليميا بحتا بعيدا عن الحشو والتعقيد.

وألف أبو علي عمر بن محمد الشلوبين (الشلوبيني) الأندلسي كتاب التوطئة وهو متداول بين الناس، ووضع محمد بن مالك (ت672هـ) عدة الحافظ وعمدة اللافظ، وكتاب تسهيل

---

(1) ينظر خليل، عبد المنعم عبد السلام: **التجديد النحوي عند الدكتور شوقي ضيف**: 10 وما بعدها. مجلة علوم اللغة. المجلد الخامس. الثاني. 2002م

وينظر الحلي، حازم سليمان: **تيسير النحو العربي إلى عصر ابن مضاء القرطبي**: 54 وما بعدها.

(2) الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 256.

(3) المرجع السابق نفسه: 273 و308.

(4) خليفة، عبد الكريم: **تيسير العربية بين القديم والحديث**: 47.

الفوائد وتكميل المقاصد في النحو، وأبو حيان النحوي (ت745هـ) الذي ألف أكبر موسوعة في النحو-كتاب ارتشاف الضرب[1]-ألف كتابا مختصرا هو اللمحة البدرية في علم العربية.

من هذا العرض السريع للمؤلفات التي ألفها العلماء-المشارقة منهم والأندلسيون-في الموسوعات ثم التحول إلى المختصرات يستنتج الباحث رغبة العلماء في تيسير النحو على الناشئة حيث أحسوا من الدارسين عزوفا عن قراءة المطولات، على أننا لا نقلل من قيمة تلك الموسوعات فإن الباحث المتخصص بحاجة إليها.

لكن بعض العلماء فكروا في البحث عن أسلوب تيسير النحو، وظنوا أن تأليف المختصرات التي اختصرت بعض أبواب النحو وحذفت بعض أبوابه هو أسلوب التيسير ولكنهم اجتهدوا فأخطأوا، فالتيسير ليس اختصارا ولا حذفا للشروح والتعليقات ولكنه عرض جديد للموضوعات النحوية يمكن الناشئة من استيعاب النحو مع إصلاح شامل لمنهج الدرس النحوي وتخليصه مما علق به من شوائب فلسفية ومنطقية، ولو سلكوا الطريق الصحيح لأوصلهم إلى التيسير فعلا[2].

كتاب الواضح في العربية للزبيدي[3]:

يُعد كتاب الواضح في العربية، لأبي بكر الزبيدي من أفضل الكتب التي ألفت لأغراض تعليمية، وذلك لأن صاحبه قد وضعه بعد أن عمل مؤدبا لولي عهد الأندلس (هشام المؤيد)، وقد اختار ابن حزم كتاب الواضح في العربية لكي يفي بحاجة المتعلم، أو بعبارة أخرى لكي يصبح

(1) الكتاب هو ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق مصطفى أحمد النماس. ط1. القاهرة. 1984

(2) ينظر خليل، عبد المنعم عبد السلام: **التجديد النحوي عند الدكتور شوقي ضيف**: 10

وينظر الحلي، حازم سليمان: **تيسير النحو العربي إلى عصر ابن مضاء القرطبي**: 55

(3) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي، طلبه المستنصر صاحب الأندلس من إشبيلية إلى قرطبة للاستفادة منه، . . . فاختصر كتاب " العين " وألف " الواضح في العربية " وهو مؤدب المؤيد با هشام. قال عنه ابن خلكان: " كان أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، وكان أخبر أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر ". توفي سنة تسع وسبعين وثلاث مائة. ينظر للمزيد حوله ومصادر ترجمته، الذهبي، الحافظ بن شمس الدين: **العقد الثمين في تراجم النحويين**: 146، 147. تحقيق وإعداد يحيى مراد. القاهرة: دار الحديث. 2004م

كتابا مدرسيا، فقيمة الكتاب " تكمن في هذا المنهج العلمي الذي يتبناه الزبيدي في معالجة قضايا النحو لغايات تعليمية من أجل تيسيره، وتسهيل قواعده، وجعلها سائغة أمام المتعلم"[1].

وعلى اختلاف بين العلماء حول تسمية الكتاب بالواضح في العربية، أو الواضح في النحو، فإن من ترجم للزبيدي أثبت له هذا الكتاب، وعده من الكتب الميسرة، والمسهلة لعلم النحو.

محتوى الكتاب وأبوابه:

بدأ الزبيدي كتابه بالحديث عن أقسام الكلام، وهو الباب الأول من أبواب النحو العربي ثم عرض أبواب الإعراب والنحو جميعا حيث بين مواضع الإعراب في الكلمة، وإعراب ما يعرف بالأسماء الخمسة، وإعراب المثنى والجمع، ثم تناول الأفعال فوضح أقسامها وهي: الماضي، والدائم، والمستقبل، وعرج للأفعال المتعدية لمفعول واحد والمتعدية لمفعولين وتناول الجملة الفعلية البسيطة، ثم تناول الخفض والإضافة، وغيرها من أبواب النحو العربي. وعرض أيضا لأبواب الصرف المختلفة كالتصغير وموضوعات الجمع والتذكير والتأنيث، والنسب والمقصور والممدود، والحروف الزائدة، وأبنية الأسماء والتعريف والهجاء في بنات الواو والياء ومختلف موضوعات الصرف.

وكذلك عرض إلى علم العروض والقافية، ووجوه القوافي في الإنشاد وجعل القافية هي حرف الروي، وعرض لحروف القافية من نصل، وردف، ونفاذ، وتأسيس، ودخيل.

وقد نظر الزبيدي في كتاب الواضح إلى اللغة باعتبارها وحدة متكاملة، فهي في الصرف، والنحو، والصوتيات، ومخارج الحروف، والشعر، والوقف، والإدغام، وهو بهذا متأثر بمنهج الزجاجي الذي يعنى بوحدة اللغة في كل موضوعاتها.

(1) الزبيدي، أبو بكر: **الواضح في العربية**: 18 (مقدمة المحقق). تحقيق عبد الكريم خليفة. الأردن: منشورات الجامعة الأردنية.

خصائص كتاب الواضح للزبيدي:

كان لكتاب الواضح للزبيدي عدد من الخصائص والسمات التي جعلته يحتل مكانا مميـزا بـين كتب النحو الميسرة والتعليمية، وهذه الخصائص كانت تصب في جعله كتابا ميسرا سهلاً، ومن أبرز هذه الخصائص والسمات الآتي:

أولاً: سهولة اللغة التي صيغ بها الكتاب: إن القارئ لكتاب الزبيدي لا يكاد يجد صعوبة في فهم محتواه ومضمونه، وذلك لأنه ألف لصغار الطلاب والمبتدئين الذين ليسوا بحاجـة إلـى لغة سيبويه أو المبرد أو غيرهما من العلماء، فالزبيدي فضل اللغة السهلة البسيطة لكي تكـون أداة سهلة له من أجل ايصال هدفه المنشود، وهو تعليم الطلاب الصغار والمبتدئين أهم قواعـد اللغة العربية، ولعله يخاص اللغة العربية ونحوها من التلاعب في اللغة الذي أتقنه وتفـنن بـه العلماء الأقدمون كما مر معنا في حادثة الأعرابي الذي وقف على الأخفـش واسـتغرب مـن كلامه[1].

لقد امتاز الزبيدي – رحمه ا - بطريقة سهلة بسيطة في تبسيط القاعدة النحوية، أشـبه ما تكون إلى الكتب المدرسية اليوم، التي كل هدفها هو التسهيل والتبسيط لقواعد النحو " فهو يبدأ بوصف أسلوب استعمال القاعدة، ثم يورد مثلاً واضحاً عليها، ويأخذ في إعرابه إعرابا موجزاً"[2] وإذا أخذت – مثلاً – حديثه عن جمع التكسير فهو يوضحه بشكل وافٍ كافٍ فهو يقول: "واعلـم أن الجمع على ضربين: جمع التكسير وجمع السلامة.

فجمع التكسير هو الذي يتغير فيه بناء الواحد عما كان عليه من حركة وسكون، كقولك: فلس وأفلس وفلوس، وكلب وأكْلُب وكِلاب"[3]

ثانياً: الترتيب الواضح السهل المحدد لأبواب الكتاب: لقد بدا الزبيدي مخالفـا للأنمـاط السابقة في تبويب كتابه، حيث إنه حرص على ألا يبني شرحه لباب يحتاج في جزئياتـه إلـى أبواب أخرى إلا إذا كان قد شرح الباب السابق، ووضح الجزئية المطلوبة، ومثال ذلك أنه شرح

(1) تراجع القصة في الفصل الأول من هذه الرسالة: 20.

(2) العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 163. النجف الأشرف: مطبعـة الآداب. 1395هـ/1975.

(3) الزبيدي، أبو بكر: **الواضح في العربية**: 86.

الفعل والفاعل (الجملة الفعلية) وثنى بالخفض قبل أن يشرح المبتدأ والخبر، وذلك لأن من أشكال الخبر الجملة الفعلية وشبه الجملة، فاختار أن يوضح هذين المصطلحين قبل أن يوضح الخبر وهذا الأمر ما فعله إلا لتلبية حاجات الطلاب، ولتحقيق الهدف من كتابه وهو التيسير على الطلاب في تعلم النحو العربي.

ثالثا: استخدام أسلوب الحوار: أو إن شئت قل مشاركة القارئ في الحوار وهو ما يعرف اليوم بالتعلم الذاتي أو بالتعليم دون معلم، إذ أننا لاحظنا هذا الأسلوب كثيرا في نصوص الكتاب فنجد مثلا قوله: "ألا ترى أن الباء تحسن في مثل هذه الأخبار، تقول: ما زيد بمنطلق[1]. وكذلك قوله: " فإن قيل لك أين الرفع في قولك رجل، فقل: في اللام[2]، فإن قيل لك أين النصب في قولك رجلاً، فقل: في اللام[3].

إن استخدام المؤلف لهذه الكلمات (ألا ترى، تقول، فقل، قيل) وغيرها تشعر القارئ بأنه مشارك في الدرس، وفي مناقشة القضية النحوية المطروقة، وتخرجه من دائرة التلقي التي تسم المؤلفات النحوية القديمة، ولا تجدي أي هدف تعليمي بل تشعر الطالب بالملل، فجاء استخدام الزبيدي لهذا الأسلوب تعليمياً خالصا، أراد منه تسهيل النحو العربي وتحبيبه إلى الطلبة المبتدئين.

رابعا: الخلو من الشواهد النحوية والشعرية، والاعتماد على الشواهد التركيبية[4]:

"حرص المصنف على سوق أمثلة سهلة في تركيبها ومعجم مفرداتها، وابتعد عن الشواهد التي تغص بها الكتب الأخرى فلم يورد من الشواهد إلا بيتا وشطر بيت"[5]، ولعل السبب في عدم إيراد الشواهد الفصيحة يعود إلى أن الزبيدي قد تناول المسائل الأولية وابتعد عن مسائل التنازع

---

(1) الزبيدي، أبو بكر: **الواضح في العربية**: 93

(2) المرجع السابق: 37

(3) المرجع السابق: 38

(4) وهي الشواهد التي تكون سهلة بسيطة من تركيب المؤلف وتأليفه، وليست شعراً أو قرآناً أو حديثاً، أو غير ذلك من الشواهد الفصيحة التي كان النحاة يستشهدون بها.

(5) عبادة، محمد إبراهيم: **النحو التعليمي في التراث العربي**: 67. الإسكندرية: منشأة المعارف.

و ينظر العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 162

والخلاف[1]، ولذلك لا داعي لذكر تلك الشواهد، بل اكتفى بالأمثلة التركيبية السهلة التي يستطيع طالب علم النحو فهمها بسهولة ويسر.

خامسا: الإكثار من إعراب الأمثلة التي يوردها إعرابا مجملا مختصرا: القارئ لكتـاب الزبيدي لا يجد عناء في إدراك هذه الميزة فهي جلية واضحة في معظم أبواب الكتاب، فما أشبه هذه الطريقة بطريقة الكتب المدرسية اليوم التي تحتوي على إعراب الأمثلة، فمثلا قوله: " ذهب زيد "ذهب فعل ماض، وزيد مرفوع لأنه هو الفاعل الذي ذهب، ورفعه في الـدال لأنـه آخـر الاسم[2]**،** وقوله: وتقول خرج الرجلان، خرج فعل ماض، والرجلان فاعلان ورفعهمـا بـالألف وكسرت النون لأنها نون الاثنين[3].

سادسا: الإيـجـاز: مما لاشك فيه أن الداعي لتأليف كتاب الواضح، كان مبينـا لنـا، وهو جعل الكتاب في مستوى الطلاب الراغبين في فهم النحـو وقواعـده، وأن يعيـنهم علـى الضروري من أحكام هذا العلم، وحتى يحقق الزبيدي هدفه من ذلك، فقد ابتعد عن كل ما يجعل الكتاب وعرا صعبا، بل اعتمد فيه على الإيجاز غير المخل، وابتعد كذلك عن التفصيل، وتعقب الوجوه، والإتيان بالآراء العديدة في المسالة[4].

وإذا أردنا أن نأخذ على ذلك أمثلة، فإننا سنقع في حيرة أية الأمثلة نأخـذ ؟ وذلـك لان الكتاب يعج بكثير مما ذهبنا إليه، فمثلا باب الحال الذي نجده فـي كتـاب سـيبويه عشـرات الصفحات أو حتى في كتاب غيره، فإننا لا نجده في كتاب الزبيدي إلا بحثا مختصرا، يكاد يوافق ما هو موجود في الكتب المدرسية، فلا يوجد عنده تنكير الحال أو تعريفه، ولا تقدمه ولا تأخره، ولا جواز حذف عامله ووجوبه، أو حتى متى تحذف الحال، وما إلى ذلك من الفروع والمسـائل الجزئية التي لا يغني ذكرها الشيء الكثير، فهو يذكر من القضايا المهمة والأساسية فقط.

ومن مظاهر هذا الإيجاز يمكن لنا أن نسجل الآتي:

(1) العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 162

(2) الزبيدي، أبو بكر: **الواضح في العربية**: 40

(3) المرجع السابق: 40

(4) العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 157

أ) الابتعاد عن الحشو وذكر ما ليس فيه الفائدة: هذه السمة واضحة جدا في الكتـاب، فالزبيدي يدخل في القاعدة النحوية مباشرة دون الحاجة إلى مقدمات أو تمهيد، فيقول مثلا فـي أحد أبواب كتابه: "إذا أدخلت ما على اسم فحسنت الباء في خبره، فارفع ذلك الاسـم وانصـب خبره، تقول: ما زيد منطلقا، فما حرف نفي"[1]. فالكلام السابق هذا يعتبر قاعدة نحويـة يصـل الطالب إليها بيسر وسهولة دون الحاجة إلى حشو لا طائل من ورائه إلا إضاعة الوقت والجهد، وربما أدخل القارئ في متاهات هو عنها غني.

ب) الابتعاد عن مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: إن هذه الميزة التي طبعـت كتاب الواضح للزبيدي، تبدو جلية واضحة، فهي دفعته إلى البعد عن التعريفات التي تعد مصدرا من مصادر الخلاف بين البصرة والكوفة، لذلك لم يضع تعريفا للاسم أو الفعـل أو الحـرف[2] وغيرها من أبواب النحو المختلفة كالمبتدأ والخبر والفاعل والمفعـول، والإعـراب والمعـرب وغيرها[3]. فعندما تكلم على الاسم قال: " الاسم قولك: رجل وفرس وحمار وزيد وعمرو، ومـا أشبه هذا. والفعل قولك: ضرب وخرج وانطلق ويضرب ويخرج واضرب واسمع ومـا أشـبه هذا. والحرف: هل وبل ونعم وما أشبه هذا "[4]. ألحظ من هذه الأمثلة أن الزبيدي أتى على ذكر أنواع الفعل من ماضٍ، ومضارع، وأمر، دون الغوص في تعريفاتها، أو ذكر خلافات العلمـاء حولها، وتفصيل تلك الخلافات.

إن هذه الميزة التي اتسم بها كتاب الزبيدي تكفي لأن تجعله من أفضل الكتب النحويـة التعليمية التي جعلت هدفها هو تخليص النحو العربي مما علق بـه مـن شـوائب التعريفـات، والخلافات بين المدارس النحوية التي لا تكاد يخلو منها كتاب نحوي قديم، حتى إنها استهوت أبو البركات الأنباري فألف فيها كتابا ضخما أسماه " الإنصاف في مسائل الخلاف بـين النحـويين البصريين والكوفيين"[5]. فجاء الكتاب بعيداً عن مساجلات العلماء وخلافات النحاة، فهو مـوجز

---

(1) الزبيدي، أبو بكر: **الواضح في العربية**: 93
(2) المرجع السابق: 37
(3) المرجع السابق: 57، 42، 50، 89، وغيرها.
(4) المرجع السابق: 37
(5) الكتاب من تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومطبوع بعدة طبع.

بعيد عن التطويل، حتى لا يعود بالنحو إلى مربعه الأول، وبعد ذلك نجد أنفسنا بحاجة إلى شرح لهذا الكتاب، وتفصيل لأحكامه، وبيان لقواعده. لقد ظهر هذا التوجه في عدم أخذ الزبيدي عـن أي نحوي أو لغوي، وكذلك لم ينقل عن كتاب سبقه، بل كان يضع فيه القواعد والأحكام دون أن يرد الرأي إلى صاحبه، " وذلك لان هذا الكتاب هو كتاب نحو للجمهور ولـيس نحـو الجـدل والخلاف"[1].

ففضل الزبيدي عظيم بتخليصه للنحو من مسائل الخلاف بين النحاة، لأنه كان يريد أن يصل بعلم النحو سليما خاليا من مسائل الخلاف إلى كل طالب يرغب في تعلـم النحـو علـى أصوله الأولى، ودون أن يتعب رأسه أو يشغل فكره في تعريفات وخلافات معرفتهـا وعدمـه سيان.

ج) البعد عن التأويل والتقدير: هذه الظاهرة تدل بشكل لا لبس فيه على رغبة المؤلـف في التيسير والتسهيل على المبتدئين من الطلبة في دراسة النحو، فهو قد ابتعد عن هذه الظاهرة، وعزف عنها، مخالفا بذلك البصريين الذين أكثروا من استخدام هذا الأسلوب، ولعل هذه الظاهرة جعلت الزبيدي يميل إلى آراء الكوفيين ويبتعد عن آراء البصريين. ومثال ذلك عندما ذهب إلى أن بعض نواصب الفعل المضارع تنصب بنفسها دون الحاجة إلى تقدير أو تأويل أن المضمرة.

وهذا المثال نضيفه إلى سابقيه لنوضح مرة أخرى تلك الرغبة الكامنة في نفس الزبيدي لتيسير النحو العربي وحل كثيرا من عقده وتذليل بعض مصاعبه، والأمثلة على ذلـك منتشـرة ومتناثرة في كل صفحات الكتاب تقريبا.

د) الابتعاد عن الآراء الشاذة: هذه الميزة لها علاقة بالسابقة، فالزبيدي كان يذكر أهـم الآراء في المسألة دون الغوص في متاهات الآراء الشاذة كما هو الحال في ذكره لمسـألة مـا

(1) العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 162

المشبهة بليس فهو قد ذكر لغة أهل الحجاز وأهل تميم[1] ولم يخرج عنهما إلى آراء شاذة غير مفيدة، بل اكتفى بأقوى الآراء وأنصع الأدلة.

هـ) عدم الاهتمام بالعلة النحوية: من المعروف لدارس النحو العربي أن العلة النحوية انتشرت بعد الجيل الأول من النحاة بشكل كبير، حتى إن كثيراً من العلماء أولع بها أيما ولع، إلى درجة أن ابن جني دافع عنها في بابين من أبواب كتابه الشهير (الخصائص) الأول (باب في الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن أحكام العلة) والثاني (هذا موضع ربما أوهم فساد العلة وهو مع التأمل ضد ذلك).

والسيوطي كذلك دافع عنها أشد الدفاع، ونراه يهاجم الذين يصفونها بالضعف وهو في هذا يقول: " إذا استقريت أصول هذه الصناعة، علمت أنها في غاية الوثاقة وإذا تأملت عللها عرفت أنها غير مدخولة، ولا متسمح فيها، وأما ما ذهب إليه غفلة العوام من أن علل النحو تكون واهية ومتحملة واستدلالهم على ذلك بأنها أبدا تكون هي تابعة للوجود، لا الوجود تابعا لها فبمعزل عن الحق"[2].

ولن أحاول الآن الغوص في العلة النحوية، لأن لها بابا مستقلا في هذا البحث[3]، وما أردته هنا أن أبين كيف أن العصر الذي عاش فيه الزبيدي، وألف فيه كتابه الواضح، كان عصر العلة النحوية، أو الفلسفة النحوية، ومع ذلك فإننا نرى أن الزبيدي قد ابتعد إلى حد كبير عن التعليل وبيان السبب لأحكام النحو أو ردها، ربما لأنه عمد إلى السهولة واليسر فلا يريد أن يتخم كتابه بالتعليل والعلل النحوية التي لا فائدة منها سوى التعقيد والصعوبة لطلبة النحو العربي.

وعلى الرغم من الجهد الذي بذله الزبيدي ليجانب العلة النحوية وتعقيداتها إلا انه وقع في عدد نزر من العلل والتعليلات النحوية، والحقيقة أن هذه العلل كانت قريبة إلى التعليل التعليمي، وليس الهدف منها-عنده – إبراز الحذق والقوة اللغوية، في استنباط العلل النحوية، بل

(1) الزبيدي، أبو بكر: **الواضح في العربية:** 93

(2) السيوطي، جلال الدين: **الاقتراح في علم أصول النحو**: 45. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. ط1. القاهرة مكتبة الصفا. 1999م.

(3) ينظر الفصل الرابع: 112.

جاء بها من أجل خدمة قاعدة نحوية، لذلك فقد جاءت سهلة تشبه إلى حد كبير العلل المعروفـة لدى سيبويه والخليل وغيرهم من نحاة المائة الثانية الذين خلت تعليلاتهم من الفلسفة والتعقيد(1).

ومن الأمثلة على العلل النحوية التعليمية التي ساقها الزبيدي في كتابـه، تعليلـه عـدم صرف الأسماء الأعجمية التي تزيد عن ثلاثة حروف، فقد علل الزبيدي ذلك في بيان السبب في عدم صرفها هو الخفة والفرار من الثقل فقال: " فان زادت الأسماء علـى ثلاثـة أحـرف لـم تنصرف في المعرفة، وانصرفت في النكرة، وذلك نحو إسماعيل وإبراهيم وإسـحاق ويعقـوب وموسى وهارون وجبريل وفرعون وهامان وقارون وما أشبهها من الأسماء الأعجمية، تقـول: مررتُ بإسحاق بن يعقوب، ورأيتُ إسماعيلَ، وقرأت سورة إبراهيم، وجاءني هارون بن يونس، تركت صرف هذه الأسماء لأنها أسماء أعجمية فثقل صرفها في كلام العرب"(2) فقوله-رحمـه ا -فثقل صرفها في كلام العرب، توحي لنا العلة في عدم صرفها ألا وهـي الثقـل وصـعوبة النطق، ومع ذلك فهي علة تعليمية لا تتجاوز الهدف التعليمي إلى الفلسفة والمنطق، وبذلك يكون الزبيدي حتى في العلل التعليمية التي ذكرها لم يجانب الهدف من تأليف كتابه وهو التيسير على الطلبة لفهم النحو العربي على أصوله الأولى البسيطة البعيدة عن التعليل والتعقيد والصعوبة.

كتاب التوطئة لأبي علي الشلوبين(3)

يعد كتاب التوطئة من أشهر الكتب النحوية المختصرة، فقد ألفه أبو علي الشلوبين لخدمة النحو العربي وتسهيله على الطلاب والمريدين، وقد ذكر هذا الكتاب عدد مـن العلمـاء الـذين

---

(1) ينظر العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 203

(2) الزبيدي، أبو بكر: **الواضح في العربية**: 158

(3) هو الأستاذ العلامة إمام النحو أبو علي عمر بن محمد بـن عمـر الأردي الاشـبيلي الأندلسـي النحـوي الملقـب بالشلوبين(562 – 645 هـ). والشلوبين في لغة العرب: هو الأبيض الأشقر. ولد في سنة اثنتين وسـتين وخمـس مائـة بإشبيلية. كان إماما في العربية لا يشق غباره ولا يجارى. تصدر لإقرائها ستين سنة ثم في أواخر عمره تـرك الإقـراء لإطباق الفتن واستيلاء العدو. قال عنه ابن الآبار: كان أنيق الكتابة، أخذ عنه عالم لا يحصون. له على الجزولية شـرحان والعديد من المصنفات أشهرها التوطئة. الذي حققه الأستاذ يوسف المطوع لنيل درجة الماجستير في بدايـة السـبعينيات. عاش الشلوبين ثلاثا وثمانين سنة. ينظر للمزيد حوله ومصادر ترجمته: الذهبي، الحافظ بن شمس الدين: **العقد الثمين في تراجم النحويين**: 156، 157.

ترجموا للشلوبين، أو تخصصوا في الحديث عن المؤلفات النحوية، التي ألفت من أجـل خدمـة العلم وممن ذكر هذا الكتاب الآتي:

1. ابن الزبير: ذكر أن الشلوبين ألف كتاب التوطئة للكراسة المـذكورة [1] أيضـاً تتميمـاً وتحريراً. [2]

2. ابن فرحون: ذكر ابن فرحون أن للشلوبين كتاباً في النحو سماه التوطئة[3].

3. السيوطي: قال عنه: " صنف تعليقاً على كتاب سيبويه، وشرحين على الجزوليـة ولـه كتاب في النحو سماه التوطئة " [4].

4. حاجي خليفة، ذكره ضمن ذكره لمؤلفات الشلوبين[5]

وهذا الكتاب هو شرح للمقدمة الجزولية لأبي موسى الجزولي، وهو يتسم بالإيجاز لبقية الشروح[6]. وقد أوضح الشلوبين في مقدمة كتابه هدفه من هذا الكتاب وهو التسهيل، والتيسـير والإحكام لمحتويات الكتاب فهو يقول: "هذه الجملة التي رسمت هنا توطئـة قـوانين المقدمـة، وإحكام ما فيها من الأصول غير المحكمة موصولاً فرع ذلك بأصله في اللفظ ميسراً، ينظم ذلك كله كلاماً واحداً للحفظ"[7].

إن كلام الشلوبين السابق يوحي لنا بشكل واضح الهدف الذي من أجله وضـع الكتـاب وهو التسهيل والتيسير من أجل الحفظ، وفهم قواعد النحو وأحكامه على أصوله التي وضع عليها حين وضع، والشلوبين في كتابه هذا حاول ألا يشق على الدارس بالإطالـة، فضـغط شـرحه

---

(1) يقصد بها: شرح المقدمة الجزولية

(2) ابن الزبير، أبو جعفر أحمد: **صلة الصلة**: 7/70-71. بيروت. مكتبة خياط.

(3) ابن فرحون، ابراهيم بن علي: **الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب**: 80

(4) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 224/2

(5) خليفة، حاجي: كشف **الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: 786/5 بيروت: دار الفكر. 1982.

(6) حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 49، (رسالة ماجسـتير غيـر منشـورة) جامعة آل البيت. الأردن، 2002 م

(7) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة:** 11 تحقيق ودراسة يوسف أحمد المطوع. القاهرة. دار التراث العربي. 1973م.

وأوجزه وضمنه كل ما يريده الدارس من معرفة في أبواب النحو عامة، فجاء كتابه التوطئة دسماً مع إيجازه، مشبعاً لنهج الدارسين، بل مرجعاً للمتخصصين(1). وعد بعضهم كتاب التوطئة مختصراً لكتاب آخر للشلوبين هو القوانين في علم اللغة العربية(2).

أبواب الكتاب ومحتواه:

يقع كتاب التوطئة في مائتين وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط (23. 5*16. 5 سم) مسبوقاً بمقدمة ودراسة للمحقق حوالي مائة وعشرة صفحات، جمع فيه صاحبه أبواب النحو المختلفة، فقد بدأه بباب الكلام وما يتألف منه، وتحدث بعده عن المعرب والمبني، وعلامات الإعراب، وغيرها من الأبواب النحوية المختلفة التي طرحها وشرحها وبين رأيه فيها، وقد ختم كتابه التوطئة بالحديث عن الإدغام، وقد جمع الشلوبين في كتابه بين موضوعات النحو مثل الفعل والفاعل والتوكيد والمفعول والنداء والاستثناء وغيرها، وبين موضوعات علم الصرف فتحدث عن مصادر الأفعال الثلاثية(3) وتحدث كذلك عن التصغير والنعت وجمع القلة والمصدر الميمي والإمالة والإدغام(4).

كما جاء الكتاب شاملاً لبعض قضايا الإملاء مثل همزة الوصل(5)وقد جاء كتاب التوطئة جامعاً شاملاً مختصراً لكل ما جاء فيه، حيث ظهرت فيه رغبة مؤلفه وهي التسهيل والتيسير، ويمكن رؤية مظاهر هذا التيسير من خلال الدراسة المتمحصة والقراءة الفاحصة لأبواب الكتاب، ومن ثم مقارنة هذا الكتاب مع غيره من كتب الشلوبين مثل الجزولية أو شرح المفصل ليكون ذلك دليلاً على ما ذهبنا إليه من أن الشلوبين ألف التوطئة للطلاب والمبتدئين وشرح الجزولية للعلماء والنحاة.

(1) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: مقدمة المحقق: 102- 103

(2) المرجع نفسه: 76

(3) المرجع نفسه: 333.

(4) المرجع نفسه: 290، 295، 323، 334، 335، 339.

(5) المرجع نفسه: 294.

مظاهر التيسير في كتاب التوطئة:

1. **اسم الكتاب:** اختار أبو علي الشلوبين لمصنفه هذا اسماً يعطي القارئ والمطلع عليه، أن هذا الرجل يرغب في التخفيف والتسهيل، فعنوان "التوطئة" يوحي لنا بأن هذا الكتاب ما هـو إلا مقدمة ومدخل للذي يريد دراسة علم النحو بالتفصيل، والمعلوم أن الذي يؤلف كتاباً أو يضع رسالة يصدرها بتوطئة أو مقدمة أو تمهيد يبين فيها أجزاء رسالته أو كتابه وكـذلك فعـل الشلوبين، فعلم النحو علم عظيم، لا يسعه كتاب أو مجلد وما الموسوعات النحوية التي ألفت إلا دليل على ذلك، فهو اختار اسم التوطئة ليوضح للدارسين أن هذا الكتاب ما هو إلا مدخل وتوطئة لعلم النحو العربي، فالذي يريد أن يتعلم النحو ليستقيم لسانه، ويحسن قولـه فهـذا الكتاب يكفيه، وأما الذي يريد التخصص فيه ليصبح عالماً ومتخصصاً فما هذا الكتـاب إلا توطئة ومدخلاً له، وعليه بعد ذلك البحث عن علم النحو في الكتب النحوية الضخمة كالكتاب والمقتضب والخصائص وارتشاف الضرب وغيرها من الكتب النحوية.

والحقيقة أن اختيار اسم الكتاب فن ليس من السهل اتقانه، ويؤلفون وقد اختار علمـاء النحو في الأندلس أسماء كتبهم وعناوينها بما يناسب محتواها العـام، فالزبيـدِي مـثلاً اختـار الواضح لأنه احتوى أبواب النحو بشكل واضح ومرتب كما مر، وابن عصفور اختار "الممتـع في التصريف" لعله يقرب الصرف إلى أذهان الطلاب ويحببه إلـيهم، فكـان يقـول: إن علـم الصرف ممتع، ولا صحة لما يقال عن صعوبته، وابن مالك الجياني اختار لكتابه المختصر اسماً مسهلاً لقواعد النحو وفوائده، مكملا لمقاصد ذلك العلم وأهدافه، يحقق الهدف المرجو دون تعقيد أو صعوبة.

2. **طريقة الاستشهاد بالشعر والقرآن والحديث والأمثال**

لقد ظهر في كتاب التوطئة الاستشهاد بأنواعه المعروفة، فاستشـهد بالشـعر العربـي، وبالآيات القرآنية، وبالأحاديث النبوية وبالأمثال المشهورة الفصيحة، ولكن هذا الاستشهاد لم يكن سبباً في تعقيد النحو مثلما حصل في كتب بعض النحاة، فاحتاج الشاهد إلى شرح وشرح كما في كتاب الجمل للزجاجي أو سيبويه بل جاء استشهاده دليلاً على ما ذهب إليه ليس إلا.

أ. الاستشهاد بالشعر العربي:

إن المطلع على كتاب التوطئة ربما يلحظ أن الشلوبين قد أكثر من الاستشهاد بالشعر العربي فهو قد استشهد بثمانية وتسعين بيتاً وعشر شطرات، وهذا العدد كبير نسبياً إذا أُخذ مجرداً دون النظر إلى قضية الاستشهاد الشعري التي أكثر العلماء والنحاة منها، فأنت إن ألقيت نظرة على كتاب سيبويه ترى عجباً لكثرة الاستشهاد الشعري فيه فالأعلم الشنتمري مثلاً حين شرح شواهد الكتاب بلغ مجموع ما شرحه ستين وألف بيت (1060)[1] والمعروف " أن الأندلسيين مولعون بالشعر العربي لسهولة حفظه وتنقله"[2].

والحقيقة أن أبا علي الشلوبين كان يتمتع بسعة محفوظه الشعري، حيث أن له أبياتاً في كتبه لم تدونها دواوين الشعراء، وليس أدل على هذا من أن بعض من حققوا مصنفات الشلوبين كانوا كثيراً ما يقولون: "لم نعثر على الشاهد"، وهذا يدلنا على أن الشلوبين كان مرجعاً في تلك الشواهد التي لم يسبق إليها[3].

ومع ذلك كله لم نر وفرة بالاستشهاد الشعري في كتابه التوطئة، فلو أخذت كتاب شرح شذور الذهب لابن هشام لوجدته يحتوي على مائتين وستين بيتاً شعرياً، وهذا يوحي لنا أن الرجل ما أكثر من الاستشهاد الشعري الذي يعده بعضهم سبباً في تعقيد النحو العربي.

إن الناظر لشواهد التوطئة وكيف تعامل معها الشلوبين يرى أن الرجل لم يكن هدفه من تلك الشواهد سوى التمثيل فقط، لذلك فقد رأيته يكتفي أحياناً بالشطر الذي يتضمن الشاهد[4] وكذلك كان يكتفي بجزء من الشطر ولا يلزم نفسه أن يسرد البيت كاملاً أو حتى الشطر الواحد[5] وكان الشلوبين لا يعتمد على الشاهد الشعري فقط من أجل توضيح المقصود بل نراه يأتي بالشاهد

(1) الشنتمري، الأعلم: **النكت في تفسير كتاب سيبويه**: مقدمة المحقق: 62
(2) حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 140
(3) ينظر حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 140
(4) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة:** 134، 135، 220، 146، 145، 140 وغيرها
(5) المرجع نفسه: 48

الشعري بعد أن يكون قد ضرب عدة أمثلة تركية سهلة[1]، وهذا الكلام معناه أن الشاوبين كان يهدف من خلال الاستشهاد الشعري إلى تقوية الرأي الذاهب إليه، وإلا فما الهدف من ذكر الشاهد الشعري بعد عدد من الشواهد التركيبية السهلة؟؟

وقد غاب الشاهد الشعري في كثير من صفحات الكتاب، كما هو الحال في غيابه من (ص 110 – 140) وكذلك نرى غيابه في كثير من الموضوعات الواردة مثل: باب البدل، وباب التوكيد، وباب العلم، وباب الظرف، وباب المبتدأ والخبر وغيرها من أبواب الكتاب وموضوعاته. وزيادة في التسهيل والتيسير في استخدام الشاهد الشعري نراه يرفض الشاهد الذي يخالف رأي الجمهور أو يجانب الصواب كما فعل في حديثه عن تأنيث الفعل وتذكيره مع جمع المذكر السالم[2]، وأحياناً كثيرة كان يرد الشاهد إلى الشذوذ أو الضرورة الشعرية ومنه مثلا قوله في الشاهد:

ولا أرض أبقل إبقالها [3]

وكان يطالب أحياناً بحذف الشذوذ وعدم الأخذ به وكذلك الضرورة الشعرية كما فعل في حديثه عن لغة " أكلوني البراغيث " وما جاء فيها من أشعار إذ يصرح بضرورة حذفها لأنه أفصح فيقول: "وهي لغة أكلوني البراغيث وحذفها أفصح لخروج الضمائر عن أصلها من الاسمية إلى الحرفية " [4].

وكان أحياناً يقول عن الشاهد الشعري يحفظ ولا يقاس عليه كما في حديثه عن فاعل نِعم وبئس فبعد أن استشهد بالبيت الآتي للشاعر كُثَير بن عبد ا النهشَلي حول مجيء فاعل نعم منكراً قال: "يحفظ ولا يقاس عليه"[5].

فنعم صاحب قومٍ لا سلاح لهم   وصاحب الركبِ عثمان بن عفانا

(1) الشاوبين، أبو علي: التوطئة: 147، 201 وغيرها

(2) المرجع نفسه: 156

(3) المرجع نفسه: 157، وينظر: 177، 178.

(4) المرجع نفسه: 158

(5) المرجع نفسه: 249

إن هذا الكلام ما هو إلا دليل على الرغبة المتأصلة في نفسه في أثناء تأليفه لهذا الكتاب وهي التسهيل والتيسير لذلك نراه قد ابتعد عن ذكر آراء العلماء وتخميناتهم في أثنـاء عرضـه للشاهد الشعري.

وإذا انتقلت إلى كتبه الأخرى تراه يكثر من الاستشهاد الشعري وخصوصا الأشعار التي لم يسبق إليها كما في الشرح الكبير حين استشهد بستة وثلاثين بيتاً لم يسبق إليها من قبل وهـي في غالبيتها تعضد أو تنفي أحكاماً خلافية مهمة إضافة إلى الأشعار الكثيرة الواردة في الكتـب النحوية[1] وهذا الكلام لم نره في التوطئة لسبب واحد هو الرغبة في التسهيل والتيسـير والبعـد عن متاهات الخلافات النحوية التي يسوقها الشاهد النحوي.

ب. الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف

أطلق مصطلح الحديث النبوي الشريف على القول الصادر عن رسول ا عليه السـلام أو أقوال الصحابة التي تحكي فعلاً من أفعاله عليه السلام، أو حالاً من أحوالـه. وهـذه الأقـوال المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين متى جاءت عن طريق المحدثين تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفـظ لغـوي، أو قاعـدة نحوية[2].

وقد اختلف العلماء في معنى الحديث النبوي فهو عند بعضهم – كما ظهر- يطلق على أقوال النبي صلى ا عليه وسلم الصحابة من بعده، في حين يرى بعضهم الآخر أنه لا يطلق إلا على أقوال الرسول فقط[3].

وعلى اختلاف الرأيين فإن القرن السابع الهجري (عصر الشلوبين) شهد خلافـاً حـول الاستشهاد بالحديث النبوي والذي عده بعضهم سمة أصلية من سمات النحاة الأندلسيين في هـذا

(1) حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 148

(2) حسين، محمد الخضر: **دراسات في العربية وتاريخها**: 166 – 167، ط2. دمشق. المكتب الإسـلامي ومكتبـة دار الفتح. 1960 م.

(3) ينظر الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 157.

وندا، محمد: **تيسير علوم الحديث:** 44. القاهرة. 1972م.

العصر[1]، وكان ابن الضائع أول من أثار هذه القضية ورفض الاستشهاد بالحديث النبوي[2]وقد جاء رفض ابن الضائع للاستشهاد بالحديث النبوي من خلال رده على ابن خروف حيث عد أن "تجويز الرواية بالمعنى هو السبب في ترك الأئمة كسيبويه وغيره من الاستشهاد علـى إثبـات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن، وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي عليه السلام لأنه أفصح العرب " [3]. وقد تبع ابن الضائع أبو حيان الذي رفض الاستشهاد بالحديث النبوي، ولعل السبب في ذلك ظاهر من خلال كلامهم وهو أن العلماء جوزوا رواية الحـديث بـالمعنى، وأن اللحن قد وقع في الحديث بسبب كثرة الرواة الأعاجم[4].

وكان في مقابل ذلك علماء أكثروا من الاستشهاد بالحديث وعلى رأسهم ابـن خـروف وأبـو القاسم الصفار والورقي وابن عصفور والسهيلي وابن مالك وغيرهم[5].

إذن فقد وقع نحاة الأندلس في خلافات كثيرة حول الحديث النبوي والاستشهاد به، وهذا الخلاف زاد في صعوبة النحو وتعقيده. ولكن ما هو رأي الشلوبين فـي الاستشـهاد بالحـديث النبوي في كتاب التوطئة الذين نحن بصدده؟

الحقيقة أن الشلوبين قد نأى بنفسه عن هذه الخلافات والتعقيدات التي صاحبت الاستشهاد بالحديث الشريف في كتاب التوطئة فهو لم يستشهد إلا بثلاثة أحاديث فقـط جـاء الأول فـي

---

(1) ينظر الهيتي، عبد القادر رحيم: خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري: 156

(2) المرجع نفسه: 161. والسهيلي، أبو القاسم: **نتائج الفكر في النحو**: 14، تحقيق محمـد إبـراهيم البنـا. مصـر. دار الاعتصام. 1984 م.

(3) السيوطي، جلال الدين: **الاقتراح في أصول النحو:** 58 وابن الضائع، علي بن محمد: **شرح الجمل** 56/1. دار الكتب. و ينظر الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 161. وحسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 127.

(4) حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 127 والحديثي، خديجة: **الشاهد وأصـول النحو في كتاب سيبويه**: 62، 63. مطبوعات جامعة الكويت رقم 37. 1394هـ/1974 م.

(5) ينظر للمزيد حول هؤلاء العلماء وما استشهدوا به: الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري:** 167 – 179.

صفحة 176، والثاني في صفحة 205 والثالث في صفحة 305. والحـديث الأول جـاء فـي معرض حديثه عن اتصال الضمير بأن وكأن، فأورد الحديث الشريف "كن أباً خثيمة فكأنه" [(1)].

والحديث الثاني جاء في معرض حديثه عن المبتدأ والخبر فأورد الحديث الذي رواه مالك فـي الموطأ. "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا ا [(2)]. والحديث الثالث جاء فـي حديثـه عن المؤنث الذي لا علاقة فيه مما لا فرج له أن يعرف أنه مؤنث بالإشارة إليه. والحديث هو: في كل ذات كبد رطهة أجراً [(3)]

إن اكتفاء الشلوبين بهذه الأحاديث الثلاثة فقط في كتاب التوطئة شيء غريب عليه، لأنه كان يكثر الاستشهاد بالحديث النبوي، لأنه وجد الطريق أمامه مشـرعة للاستشـهاد بالحـديث النبوي في كثير من مسائله[(4)]، بل حتى المانعين للاستشهاد مثل ابن الضائع وأبو حيان لم تَخْـلُ كتبهم من استشهادات بالحديث النبوي الشريف، فابن الضائع استشهد بالحـديث وصـحح رأي ذهب إليه بواسطة الحديث النبوي الشريف[(5)] والأمر نفسه مع أبي حيان الذي عارض الاستشهاد بالحديث ومع ذلك فقد دعم آراءه بالحديث النبوي[(6)].

ويمكن وضع تفسيراً لقلة استشهاد الشلوبين بالحديث النبوي في التوطئة فقط بينما نـراه يكثر منه في كتبه الأخرى، كشرح المفصل، وشرحا الجزولية، وهذا التفسير هو: أن هذا الكتاب ألف ليكون مختصراً وسهلاً بعيداً عن الخلافات والنزاعات وكان الاستشهاد بالحديث مصـدراً من مصادر تلك الخلافات[(7)] لذلك فلا عجب أن نرى الشلوبين قد ابتعد عن هذه الخلافات وردها

(1) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 176

(2) المرجع نفسه: 205

(3) المرجع نفسه: 305

(4) حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 128، 130، 139، والهيتي، عبـد القـادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 169.

وحسين، محمد الخضر: **دراسات في العربية وتاريخها:** 177

(5) ينظر ابن الضائع، علي بن محمد: **شرح الجمل:** 10/2

(6) ينظر أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: **منهج السالك إلى ألفية ابن مالك**: 411، 366. طبعة 1947

(7) لمعرفة المزيد حول القضايا التي خالف بها الشلوبين النحاة أو خالف النحاة بعضهم بالاستشـهاد بالحـديث ينظـر: حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 130-137

في كتابه هذا. وإلا فما هو التفسير لكثرة الاستشهاد بالحديث عنده في شرح المفصل وشـرحي الجزولية حتى أنه كان يخالف العلماء والنحاة في بعض القضايا ويدعم رأيه بالحديث كما فعـل حين خالف الزمخشري في حذف أداة النداء عما يمكن أن يوصف به[1]، في حين نـراه يبتعـد عنه في كتاب التوطئة؟ اعتقد أن السبب لذلك واضح وهو الرغبة في التسهيل والتيسير وليبعـد كتابه عن التعقيد ومصدر الخلاف كما قلنا.

ج. **الاستشهاد بالأمثال العربية:**

لم يكثر الشلوبين من الاستشهاد بالأمثال العربية فقد ورد في كتاب التوطئة تسعة أمثـال استشهد بها على قضايا نحوية، وهدف استشهاد الشلوبين بالأمثال العربية لم يخرج عن هـدف الاستشهاد الشعري، فهو يأتي بالمثل ليدلل على الرأي النحوي بعد أن يأتي بالأمثلـة التركيبيـة البسيطة[2] وأحياناً كان يوضح هذا المثل ويبين هدفه[3] وفي بعض الأحيان كان يذكر المثل دون تعليق عليه[4] وذلك ليبتعد عن الخوض في مسائل تخريجاته المختلفة أو الخلافات فيـه. وهـذا الأسلوب الذي اتبعه الشلوبين في تعامله مع الأمثال العربية،-على قلة ورودها فـي التوطئـة- أسهم في تخليص النحو من مشكلة من مشاكله ذلك لأن قضية الأمثال العربية والاستشهاد بهـا شكلت مصدر خلاف بين النحاة على اعتبار أن المثل ينتمـي إلـى عصـر الاحتجـاج أم لا. والشلوبين لم يكثر في التوطئة من مثل هذه القضايا لأن الهـدف مـن الكتـاب هـو التسـهيل والتيسير.

د. **الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته:**

إن الاستشهاد بالقرآن الكريم يعد مصدراً من المصادر التي اعتمد عليها النحاة في وضع القواعد النحوية، ونتيجة لتعدد القراءات القرآنية المتواترة الصحيحة السبع منها أو الشـاذ، أدى

(1) الشلوبين، أبو علي: **حواشي المفصل**: 140، تحقيق حماد الثمالي. (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية. 1982م.
(2) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 203
(3) المرجع نفسه: 203، 204
(4) المرجع نفسه: 271

هذا إلى إشعال نار الخلاف بين النحاة وخصوصا الكوفيين والبصريين، فقد أقام الكوفيون عليها أحكاماً نحوية، قابلهم فيها البصريون بالرفض، وذلك بتخريج القراءات وتأويلها[1] أما نحاة الأندلس، فقد اهتموا بالقرآن الكريم وقراءاته حتى الشاذ منها، فلم يؤثر عن أحد من نحاة الأندلس أنه رد إحدى القراءات القرآنية الشاذة أو توقف عن الأخذ بها، أو اعتبارها حجة يستند إليها في تأصيل قواعد نحوها وصرفها وأصواتها وقد استشهد عدد كبير من نحاة القرن السابع في الأندلس بالقراءات النحوية الشاذة[2] وكان أبو علي الشلوبين أحد هؤلاء العلماء الذين استشهدوا بالقرآن الكريم وقراءاته متبعاً في ذلك أستاذه السهيلي "الذي استشهد بالقراءات الثابتة، سواء أكانت من المتواتر أم الشاذ"[3].

والشلوبين في التوطئة أورد قرابة الثمانين شاهداً قرآنياً، ومع ذلك فهذه الشواهد القرآنية لم تخرج عن الهدف المرجو منها وهو تأصيل الحكم وتأييده، وليس من أجل المخالفة أو التعقيد، بل نحت استشهاداته إلى السهولة واليسر، ومن الأمثلة التي نرى فيها أن الشلوبين قد جعل من الشواهد القرآنية سبيلاً إلى التسهيل والتخفيف وليس التعقيد أو لإبراز القوة في الحجة والمنطق الأمثلة الآتية:

1. رفض الشلوبين أن تكون (في) الواردة في قوله تعالى "وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ"[4] بمعنى على إذ أنه عد ذلك لا فائدة منه، والصواب أن في على بابها ولا داعي للتقعر وتحويل الحرف إلى غير معناه[5] وهذا الرأي أيده فيه أبو حيان الذي مدحه وأثنى عليه[6].

---

(1) ينظر مكرم، عبد العال سالم: **أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية**: 55 – 63. ط2. الكويت. مؤسسة على الصباح. 1978م.

(2) الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 150

(3) ولد آباه، محمد المختار: **تاريخ النحو في المشرق والمغرب**: 244. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – 1417 هـ/1996م.

(4) سورة طه آية: 71

(5) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة:** 227

(6) حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 107

2. أكد الشلوبين على أن (إلى) الواردة في قوله تعـالى" مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ "[1] جـاءت على الأصل، ولم تخرج إلى معنى آخر[2] كان سبباً في إحداث الخلاف بين النحاة[3].

3. رفض الشلوبين في سبيل تيسيره للنحو وعدم الغوص في الخلافات النحوية، رفض إعراب الضمير الواقع في قوله تعالى " فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ "[4] إلا مفعولاً مطلقاً على سـبيل التخفيـف والوصول إلى الهدف بوضوح، وليس كما قال البعض: إن هذه الهاء هي هاء السكت وما يتبـع ذلك من اختلاف في القراءة يؤدي إلى اختلاف نحوي يرفض الشلوبين وجـوده فـي كتـاب التوطئة، ولا يرضى أن يورد أقوال العلماء في ذلك[5].

والأمثلة على رفض الشلوبين أن يكون الشاهد القرآني في كتاب التوطئة مصدراً للتعقيد والخلاف كثيرة، ويمكن تسجيل الملاحظات الآتية على استشهادات الشلوبين بالقرآن في كتـاب التوطئة، وأنه ما كان يرغب بتعقيد النحو من خلال الاستشهاد بالقرآن الكريم:

أ- **عدم شرح الآيات القرآنية أو التعليق عليها**: أسلوب واضح من أساليب تناول الشلوبين للآية القرآنية، فهو ما كان يشرح الآيات إطلاقاً بل يكتفي بذكر الآية موطن الشـاهد فقـط، ولا يبدي أي رأي حولها سواء كان للعلماء المؤيدين لرأيه أم المخالفين له، وذلك خوفاً من أن يحشو كتابه بآراء لا يرى فيها فائدة، بل هي تبعد الكتاب عن هدفه الأصلي وهـو التخفيـف وطـرح أبواب النحو بشكل مختصر ميسر ليسهل فهمه وحفظه، والكتاب كله تقريباً يتبع هذا الأسـلوب في تعامله مع الآية القرآنية[6] مع وجود استثناءات بسيطة جداً لم تكن كافية لتخل بسمة الكتـاب هذه[7].

---

(1) سورة الصف أية: 14

(2) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 227

(3) حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 108

(4) سورة الأنعام آية: 90

(5) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 176

(6) ينظر مثلاً الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 176، 138، 139، 142

(7) المرجع نفسه: 285 في شرحه للآية وفجرنا الأرض عيوناً

ب- **الاكتفاء بموطن الشاهد في الآية:** إن الشلوبين لم يكن يذكر الآية كاملة النص، بل كان يكتفي في الآية بالجزء المطلوب أو موطن الشاهد، وهذا واضح في معظم الآيات الواردة في الكتاب، وهو بهذا العمل يكون قد أبعد القارئ عن مشقة البحث عن الشاهد أو موطن هذا الشاهد، وزيادة في التسهيل على القارئ كان – في بعض الأحيان-يذكر كلمة واحدة أو كلمتين فقط في الآية ومنه مثلا كلامه عن الباء التي تكون زائدة في الفاعل فاستشهد بالآية الكريمة "كفى با " [1].

ج- **عدم ذكر آراء العلماء في الآية موطن الشاهد**: قلنا إن الشلوبين في كتاب التوطئة جعل الهدف منه هو التخفيف والتسهيل والإيجاز، لذلك لم يكن يرى أن التسهيل والتخفيف يتطلبان وجود الآراء المتعددة والمتنوعة في تخريج الشاهد القرآني أو الآية القرآنية، بل كان يذكر الآية دون ذكر لأي رأي مؤيد أو معارض، في حين أننا نراه يفعل ذلك في كتب أخرى لم يكن الهدف منها هو نفس الهدف من كتاب التوطئة، مثال ذلك ذكره لرأي الجزولي حول الآية القرآنية " لعلي أبلغ الأسباب فأطلع إلى إله موسى" [2] فالجزولي تبع البصريين في أن لعل أشربت معنى ليت أي جاءت للتمني وأن خبر لعل يكون مقروناً بأن وعلى هذا يكون المضارع (اطلع) منصوباً بأن وعد الشلوبين هذا الكلام خطأ، وذكر من الأدلة والحجج ما يدعم رأيه ويؤيد قوله [3] وقد ذكر الشلوبين هذه الآية في التوطئة ص 138 دون أن يذكر خلافات النحاة حولها أو حتى يذكر اسم عالم أو نحوي، واكتفى بالقول: " في من نصب ولا يحتاج أن يشرب لعل معنى ليت"[4].

د- **البعد عن القراءات الشاذة قدر الإمكان**: حرص الشلوبين على أن يختار القراءات المتواترة الصحيحة لتكون شاهداً على آرائه النحوية الواردة في الكتاب، لذلك تجنب الاستشهاد بالقراءات الشاذة إلا يسيراً، واستشهد ببعضها في كتبه الأخرى. مثال ذلك استشهاده بقراءة

(1) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 229، 334، 339، 305 وغيرها كثير.

(2) سورة غافر. آية 37.

(3) الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير**: 466. تحقيق تركي العتيبي. ط2. بيروت. مؤسسة الرسالة 1994م.

(4) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 138

واحدة على حذف ياء المتكلم المضافة إلى الاسم المنادى وهي الآية " قال رب احكم بـالحق "[1] حيث رفع رب وذلك على قراءة أبي جعفر وابن محيصن [2]، في حين أنه لم يذكر هذه الآية في التوطئة، وكذلك فعل مع الآية، " إن البقر تشابه علينا "[3] حين استدل بالآية على أن البقـر قـد تذكر أو تؤنث[4] حيث أن القراءة الشاذة هي "إن البقر تُشابه علينا" بضم الهاء في تشابه وهـي قراءة شاذة للحسن بن سعيد المطوعي والأعرج، ومحمد ذو الشامة، وابن مسعود، ويحيى بـن يعمر[5]. وهذه القراءة لم يذكرها في التوطئة تجنباً للخلاف.

والحقيقة أن حرص الشلوبين على تحري الصحيح المتواتر من القراءات لم يحل دون ورود بعض الآيات التي جاءت على قراءات شاذة وهي لا تكاد تصل إلى عدد أصابع اليد الواحـدة. مثلاً استشهاده بالآية "إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به ا فيغفر لمن يشاء ويعـذب من يشاء"[6] حيث وردت هذه الآية بقراءة ابن عباس والأعرج وأبي حيرة وأبي العالية وعاصم الجحدري[7] وفيها نصب كلمة فيغفر ويعذب، وهذه قراءة شـاذة. وكـذلك استشـهد بـالقراءتين الشاذتين "ما بعوضة"[8]برفع بعوضة وهي قراءة الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة، وقطـرب[9]، والقراءة الثانية " تماماً على الذي أحسن "[10] برفع أحسن وهي قراءة الحسن البصري ويحيـى بن يعمر والأعمش وابن أبي إسحاق[11].

تلك كانت القراءات القرآنية الشاذة التي وردت في كتاب التوطئة، وقد كان الشلوبين متشككاً في صحتها، لذلك فقد كان أميناً في عرضه لها، وحتى لا يوقع طلاب العلم في الخلافـات فقـد

(1) سورة الانبياء، أية: 112
(2) عمر، احمد مختار، وزميله: **معجم القراءات القرآنية**: 278/3. ط2. عالم الكتب. 1997م.
(3) سورة البقرة: آية 70
(4) الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير**: 937/3
(5) عمر، احمد مختار، وزميله: **معجم القراءات القرآنية**: 356/1
(6) سورة البقرة: آية 284
(7) عمر، أحمد مختار، وزميله: **معجم القراءات القرآنية** 1 /374
(8) سورة البقرة: آية 26
(9) عمر، أحمد مختار: **معجم القراءات القرآنية**: 183/1
(10) سورة الأنعام: آية 154
(11) عمر، أحمد مختار: **معجم القراءات القرآنية** 151/2

أوضح في أثناء حديثه عن هذه الآيات بأنها ليست صحيحة متواترة وأنها شاذة، فكـان يقـول: "وعليه قراءة من قرأ "ما بعوضة " رفعاً[1] وكذلك قال عن الآية الأخرى "مثله قراءة مـن قـرأ "تماماً على الذي أحسن" [2]، فكلامه "قراءة من قرأ" توحي لنا بأن هذه الآيـات ليسـت كبـاقي الآيات التي كان يذكرها دون أن يذكر هذه الجملة، وإنما جاء بهذه العبارة لتـوحي بـأن هـذه القراءة شاذة وليست متواترة.

هـ. **البعد عن التعليل والتقدير في الآيات القرآنية**: اجتهد الشلوبين في الابتعاد عن التعليل في أثناء معالجته للشاهد القرآني، ومنه على سبيل المثال لا الحصر ـ لأن الكتـاب ملـيء بذلك ـ رفضه تعليل الآية "فأطلع إلى إله موسى" في كتاب التوطئة[3]، في حين عللها فـي كتابه شرح المقدمة الجزولية الكبير، حيث رد كلام البصريين، وذكر ما يفنـد مـا ذهبـوا إليه[4]، وكذلك فعل مع الآية الكريمة "فيغفر لمن يشاء" حيث علل قبوله نصب كلمة فيغفـر على القراءة الشاذة في شرح الجزولية الكبير[5] ولم يضع في التوطئة أي تعليل أو تأويل بل اكتفى بذكرها شاهداً نحويا فقط[6].

وختام القول: إن الشلوبين قد نجح في تطويع الشاهد اللغوي من أجل خدمة هدفه السامي الذي من أجله صنف كتاب التوطئة وهو التسهيل والتيسير، فهو جعل من هذا الشاهد وسيلة لهذا الهدف، وبذلك يكون قد أخرج الشاهد اللغوي من صفة لازمته طويلاً وهي أنه سـبب رئـيس لتعقيد النحو، وجعله سبباً للتسهيل والتيسير، فالعيب إذاً في الأسلوب والاستخدام وليس في ورود الشاهد.

3. الترتيب والأسلوب في عرض الموضوعات مع سهولة اللغة: لقد اتبع الشلوبين في ترتيـب موضوعات كتابه طريقاً يناسب الهدف الذي من أجله وضع كتابه، وهو تعليم النحو للمبتـدئين

(1) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 166
(2) المرجع السابق: 166
(3) المرجع السابق: 176
(4) الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير**: 466
(5) المرجع السابق: 466
(6) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 139

والطلاب، فهو بدأه بأصل الكلام وما يتألف منه، وأتبعه بالمعرب والمبني، ومعظم أبواب النحو العربي. وقد راعى في ترتيب موضوعات هذا الكتاب التناسق بين تلك الموضوعات، فالأبواب المتصلة ببعضها جعلها تتبع بعضها مثل باب إن وأخواتها الذي اتبعه بباب فتح همزة إن وكسرها. وكذلك حين تحدث عن المصادر الثلاثية أتبعه بالمصدر الميمي، مشابها بذلك منهج الكتب المدرسية اليوم، وما إلى ذلك في ترتيب واضح في وضع الأبواب النحوية المختلفة.

أما أسلوب الشلوبين في طرق الموضوعات وتوضيحها فكان سهلاً واضحاً أقرب ما يكون إلى الأسلوب المتبع في الكتب المدرسية، فهو يضع عنواناً واضحاً لكل باب، ومن ثم نراه يقدم تعريفاً للموضوع المطروق، مدعماً ذلك بالأمثلة التركيبية الواضحة، وأحياناً يستشهد بالشواهد اللغوية المختلفة، ومن ثم يدخل إلى موضوعه بكل يسر وسهولة يناقش قضاياه وموضوعاته بطريقة سهلة موجزة، بعيدة عن اللغة النحوية الصعبة بل هي لغة مائلة إلى السهولة في استخدام الألفاظ، وتجنب اللفظ الحوشي الصعب، فلغة الكتاب سهلة لا تحتاج إلى شرح أو توضيح، حتى إن محقق الكتاب (يوسف أحمد المطوع) لم يجد عناء في فهم لغة الكتاب، ونحن كذلك-مع أن البعد الزمني بيننا يكاد يصل إلى حوالي ثمانية قرون -، لا نرى ونحن نقرأ الكتاب أية صعوبات لغوية أو حتى كلمات تحتاج إلى الشرح والتوضيح، ونتيجة لهذه السهولة في استخدام اللغة، فلم نسمع عن أحد شرح كتاب التوطئة أو حاول شرحه.

إن هذا الأسلوب الذي اتبعه الشلوبين في التوطئة، وهذه اللغة الميسرة السهلة التي صاغ بها كتابه، غابا عن شرحه للجزولية، فقد استخدم لغة نحوية قديمة، شابه فيها سيبويه، والمبرد، وابن جني، وغيرهم من النحاة، " فبدا أسلوبه ركيكا جافا في بعض الأحيان، مستغلقا حينا آخر "[1]. ومن الأمثلة على هذه اللغة الصعبة المستغلقة قوله مثلا: " وانفراد حرف في التنفيس بالفعل أن الذي وضع مشترك البنية، الدالة على الزمان، إنما هو الفعل، فإن الأفعال بالنسبة إلى الزمان ثلاثة أقسام: ماض بالوضع، ومستقبل، ومشترك بالوضع، فلما كان الذي وضع مشترك

(1) الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير**: 88. (دراسة المحقق)

البنية الدالة على الزمان إنما هو الفعل، وكان حرفا التنفيس إنما وضعا لتخليص المشترك البنية الدالة على الزمان. . . "[1].

إن المثال السابق يوضح مدى الصعوبة اللغوية التي وسمت كتاب الشلوبين " شرح الجزولية "، وفي مقابلها نرى السهولة والبساطة مع الجزالة في لغة التوطئة.

4. **الإكثار من الأمثلة التركيبية السهلة الواضحة:** ما أن يبدأ الدارس بقراءة الباب الأول من كتاب التوطئة حتى يلفت انتباهه كثرة الأمثلة التركيبية البسيطة، فكأن هذا الكتاب هو كتاب مدرسي لطلاب المرحلة المتوسطة، بل نجد أن أمثلة الكتب المدرسية اليوم فيها ما هو أصعب بكثير من الأمثلة التي كان يسوقها الشلوبين في كتابه، فزيد وعمرو حاضران بكل قوة في أمثلته، وأنت ترى هذا في كل باب من أبواب الكتاب، وقد جاءت هذه الأمثلة عادة قبل الاستشهاد بالآية القرآنية أو الشعر العربي. وكان الشلوبين يكتفي بكلمة واحدة في المثال أحياناً، ولا نرى ضرورة لنحيل القارئ إلى موطن هذه الأمثلة، فهي ماثلة في كل صفحة من الصفحات.

5. **الإيجاز:** هذه هي أهم المظاهر التي تدلنا على سهولة الكتاب وأسلوبه في طرق الموضوعات. فكتاب التوطئة جاء موجزاً إيجازاً غير مخل بالقواعد والأحكام، مع انه ذكر جل أبواب النحو، التي تحتاج إلى مجلدات ضخمة لتضمها، إلا أن التوطئة استوعبها بسهولة ويسر وقد ظهرت هذه السمة في الكتاب من خلال عدة قضايا أظهرها الشلوبين من أجل أن يبقى كتابه موجزاً سهلاً بعيداً عن التعقيد، وهذه الوسائل هي:

أ. حجم الكتاب: قلنا إن كتاب التوطئة يقع في ثلاثين صفحة ومائتين، وهذا الحجم صغير اجمالاً، ومع صغر هذا الحجم إلا أنه كان يضم أبواب النحو المختلفة، ولكن بطريقة سهلة وموجزة.

إن صغر حجم الكتاب من شأنه أن يعطي انطباعاً مفرحاً لطلاب علم النحو بأن هذا الكتاب مختصر ولا يحوي التعقيد والخلاف، على العكس من حجم الكتاب الكبير مثل موسوعة

(1)الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير**: 219

ارتشاف الضرب، أو الكتاب، أو غيرهما، التي يشكل حجمها مصدر فزع وخوف لطلاب العلـم والمبتدئين منهم بشكل خاص.

ب. **الإيجاز في طرق الموضوعات:** إن أسلوب الشلوبين في طرق موضوعات النحو المختلفـة كان موجزاً لذلك فأنت ترى أن معظم أبواب الكتاب لا تتجاوز صفحتين أو ثلاثا[1]، بل هنـاك بعض الموضوعات في الكتاب لا تتجاوز أسطراً قليلة مع أنها في كتب أخرى تبلـغ صـفحات كثيرة وطويلة. فالفاعل في كتاب التوطئة جاء في ثلاثة أسطر فقط في حين نراه فـي شـذور الذهب يقع في أربع وعشرين صفحة، وفي شرح الجزولية نراه يأخذ عشر صـفحات، وكـذلك باب التنازع الذي نراه يأخذ الصفحات الكثيرة في الكتب النحوية لا نراه يأخذ أكثر من غيره من الموضوعات [2]. والحقيقة أن إيجاز الشلوبين لموضوعاته ما جاء إلا ليخدم هدفاً واحداً فقط هو التسهيل والتيسير لأبواب النحو العربي، التي عقدها وأبعدها عن هدفها التطويل والمبالغة فـي ذكر أحكامها وقضاياها.

ج. حذف غير الضروري: اتبع الشلوبين هذا الأسلوب كثيراً في كتابه، فهو لم يضع في التوطئة غير المهم والمفيد وحذف من النحو ما يستغنى عنه ـ كما طلب ابن مضاء ـ فهو يناقش مـن الموضوع المطروق أهمه، ويبتعد عن كل شيء لا يراه يفيد الطلبة والناشئة، فحين ناقش بـاب الفاعل مثلاً لم يتطرق إطلاقاً إلى حذفه جوازاً أو وجوباً، ولم يتطرق إلـى تأنيـث الفعـل أو تذكيره، وغاب عن شرحه له تقديمه، وتأخيره، والكثير من الأحكام التي كان يراها سبباً رئيسـاً لإدخال النحو العربي في فلسفة وزيادة لا حاجة له بها[3]، أما حين تناول الفاعـل فـي شـرح الجزولية، فقد اتسم أسلوبه بالاستطراد والتطويل، فهو يفصل القضايا ويناقشها، ويطرق جميـع الاحتمالات، بدءا من تعريف الفاعل ومناقشة هذا التعريف، إلى مناقشة العلة في رفع الفاعـل، وذكر الأقوال المختلفة في هذا العلة، ومن ثم ترجيح الرأي الأقوى – حسـب رأيـه – وهـو "

(1) ينظر الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: "باب التوكيد، وباب البدل، وباب الحال، وباب القسم وباب اسم الفاعـل وبـاب الاستثناء وغيرها من معظم أبواب الكتاب"

(2) ينظر الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 208، 338، 334، 252، 259، 258، 248

(3) المرجع السابق: 154

اشتغال الفعل بالاسم وتفرغه له وبناؤه عليه "[1]. أما باب التنازع الذي يعد من أكثـر الأبـواب النحوية تعقيداً وصعوبة، لذلك طالب ابن مضاء بإلغائه من النحو، فقد أوجز الشلوبين القول فيه، ولم يورد من أحكامه إلا اليسير الذي يوصل إلى المعنى والهدف بعيداً عن الصعوبة والتعقيد[2]. وكذلك الأمر بالنسبة للمفعول له (لأجله)، فقد أسهب العلماء فيه وأطنبـوا فـي ذكـر مسـائله الضروري منها وغير الضروري، أما الشلوبين فلم يذكر في هذا الباب إلا ما هو مفيـد لطلبـة العلم. والمبعد لهم عن الصعوبة والتعقيد[3]. وفي هذا المجال فقد ابتعد الشـلوبين عـن الحشـو الزائد والكلام المسهب المطول واكتفى بشرح القاعدة مباشرة وبلغة بسـيطة مدعمـة بشـواهد بسيطة سهلة، وأمثلة تركيبية حياتية. وإذا أردت التفصيل في هذا الكلام لطال بي المقام، لـذلك اكتفيت بعدة أمثلة تدعم الرأي، وتقوي الحجة القائلة: إن هذا الكتاب لم يحـو إلا زبـدة النحـو وخلاصته لذلك حذف منه غير الضروري لطلاب النحو.

د. البعد عن الخلافات بين العلماء: ابتعد الشلوبين كثيراً عن ذكر مساجلات العلماء، وآرائهـم النحوية المختلفة في القضايا النحوية، فهو يأخذ الرأي دون أن ينسبه إلى أحد وقليلاً مـا كـان يذكر أكثر من رأي في المسألة، وكان سيبويه أكثر العلماء وروداً في كتابه، حيث كـان يـذكر رأيه دون أن يناقشه أو يذكر آراء من يعارضه أو يسانده من العلماء[4] وكذلك الأمر مع بقيـة العلماء الذين جاء ذكرهم في هذا الكتاب فكان يأتي برأي الواحد منهم مجرداً، ولا يـذكر مـن يخالف رأيه[5]، وما تعامل الشلوبين مع أعقد أبواب النحو "باب التنازع" إلا دليل واضح علـى بعده عن الآراء والمساجلات بين العلماء، فهذا الباب كما هو معلوم من أكثر أبواب النحو التـي أوقعت الخلاف بين النحاة[6]، ومع ذلك فقد ناقشه الشلوبين بحوالي صفحة لا غير لم يذكر فيهـا

(1) الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير**: 232 – 234. وينظر: الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير**: 85 – 86 (مقدمة المحقق). والصاغرجي، مأمون: **شرح المقدمة الجزولية**: 357. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. المجلد التاسع والستون.ج2. شوال 1414 هـ-نيسان 1994 م.

(2) الشلوبين، أبو علي**: التوطئة**: 252

(3) المرجع السابق: 310

(4) المرجع السابق: 124-125

(5) المرجع السابق: 112، 123، 133، 263

(6) ينظر في تحديد مفهوم "**التنازع**" والاختلاف حوله الآتي: أبو حيان الأندلسي: **تذكرة النحاة:** 337 تحقيق د. عفيـف، عبد الرحمن. بيروت. مؤسسة الرسالة. ط1. 1406هـ. 1986م. و الاشبيلي، ابن عصفور: **شـرح جمـل الزجـاجي**:

أي رأي سواء أكان مؤيداً لرأيه أم مخالفاً له، فجاء الكتـاب بعيـداً عـن مسـاجلات العلمـاء واختلافاتهم، وبذلك يكون الشلوبين قد ضيع الفرصة على الـذين يبحثـون عـن أراء العلمـاء وخلافاتهم في كتابه، لقلة ورود هذه الخلافات وتلك المساجلات فيه، فالتيسير يقتضي ذكر الرأي بعيداً عن تلك المساجلات والخلافات التي لا داعي لوجودها.

6. **البعد عن التأويل:** لقد ابتعد الشلوبين قدر الإمكان عن التأويل المتكلف البعيد، وذلـك فـي معظم مؤلفاته النحوية، والتوطئة بخاص، فهو القائل: "الأصل أن لا يلجأ إلى التأويـل بوجـود وجه لا يحتمل التأويل لأن عدم التأويل أولى"(1). وكان البعد عن التأويل واضـحاً فـي كتـاب التوطئة، وظهر ذلك جلياً في تعامله مع الشواهد النحوية المختلفة، حيث خالف عدداً من النحـاة في الحكم الذي يبني عليه(2)، فالشلوبين قد تعامل مع النصوص الشعرية والقرآنية بنـوع مـن التجرد وأخذ تلك النصوص على ظاهرها دون أن يتعب نفسه أو طلبته في تأويل المحذوفات أو تقديرها، ومن ذلك مثلاً رفضه لتأويل البصريين لنصب كلمة (فأطلع) الواردة في الآية القرآنية " لعلي أبلغ الأسباب......فأطلع إلى إله موسى"(3)، فهو رفض تأويل البصـريين القـائم علـى اشراب لعل معنى ليت وقال: "ولا يحتاج أن يشرب لعل معنى ليت"(4)، والأمثلة كثيرة جداً فـي تعامله مع الشواهد ورفض التأويل والتقدير(5)، فهو يكتفي بإيراد الشاهد دون أن يفصل فيـه أو يتعب عقله في تأويله وتخريجه لبعده عن هدفه المرجو وهو التسهيل والتخفيف على الطلبة.

7. **استخدام أسلوب الحوار:** بما أن الهدف من وضع كتاب التوطئة هو التعليم والتسهيل علـى الطلاب لذلك كان لزاماً على الشلوبين أن يتبع أسلوباً يشد الطلاب إلى علم النحو بعد ما نفـروا

613/1. تحقيق صاحب أبو جناح. القاهرة. 1971. والمبرد، محمد بن يزيد:**المقتضب:** 112/3 تحقيق محمد عبد الخـالق عضيمة. بيروت. عالم الكتب. 1963م. الزمخشري، جار ا عمر:**المفصل في صنعة الإعراب:** 38. تحقيق علـى أبـو ملحم. ط1. بيروت: دار ومكتبة الهلالى. 1993م الأنصاري، ابن هشام:**أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:** 186. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت، لبنان: دار الفكر.

(1) الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير:** 487

(2) حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية:** 166

(3) سورة غافر: آية 36، 37

(4) الشلوبين، أبو علي: **التوطئة:** 138

(5) ينظر الشلوبين، أبو علي: **التوطئة:** 271 في تعامله مع الشاهد " عسى الغوير أبؤسا " حيث ذكره مجرداً من التأويـل والتقدير مع أنه مؤول كثيراً في كتب النحاة

من لغة الكتب التراثية القديمة، فاختار أن يجعل كتابه قائماً على أسلوب الحوار وكأنه تعليم دون معلم. فهو في صفحات كتابه يتخيل من يسأله وهو يجيب ومن ذلك مثلاً استخدامه لمصطلحات الحوار مثل: " ألا ترى، و تقول في قولك، و ألحقتها، وفإن قلت "، وغيرها من الكلمات التـي توحي للقارئ بأنه جزء في الحوار وتلقي العلم وليس هذا العلم مفروضاً عليه[1].

وختاماً: إن كتاب التوطئة للشلوبين لا يعبر عن آراء صاحبه أو أسلوبه المتبع في التأليف، لأنه جاء مخالفاً لطريقة الشلوبين في التصنيف والتأليف، فشرحا الجزولية وحواشي المفصل تختلف عن هذا الكتاب في المنهج والطريقة واللغة، ومبعث ذلك هو أن هذا الكتاب كان موجهـاً لفئـة مقصودة بعينها هي فئة الطلاب الراغبين في التعليم واسم الكتاب خير دليل على ذلـك، وبنـاء على هذا الكلام فإن الباحثة إيمان عبد ا محمد حسنات من الأردن[2]، لم تعد كتـاب التوطئـة مصدراً رئيساً من مصادر دراسة أثر أبي علي الشلوبين في الدراسات النحوية، وأرائه النحوية واللغوية، لأن هذا الكتاب هو مختصر اجتهد فيه مؤلفه أن يبتعد عن ذكر الشاذ أو الخـلاف أو حتى التطويل في الشرح والإسهاب، واعتمدت بدرجة أولى على شرحي الجزولية وعلى كتـاب حواشي المفصل، لأنها رأت أن التوطئة مختصر لهما وألف لغاية تعليمية بحتة الهدف منه هـو التسهيل والتخفيف، وهي أحسنت في ذلك لأنها أخذت آراءه من منبعها الأول أو كما يقال مـن رأس المنبع، وليس من الكتاب المختصر الذي يكون قد حذف منه أجزاء ليحقق الهدف منه.

(1) ينظر الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**: 141، 223، 285، 282، 270، وغيرها.

(2) بعثت الأخت إيمان رسالتها لي بعد أن اتصلت بها هاتفياً فجزاها ا كل خير، وهي بعنوان " أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية ".

كتاب التسهيل(تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)لابن مالك الجيّاني

يعد كتاب التسهيل من أشهر كتب النحو في تاريخ النحو العربي، ومرد ذلك ما اشتمل عليه من علم شامل لموضوعات النحو، وبما أراده المؤلف منه، تسهيلاً لمادة النحو، وبخاصة أن المؤلف قد اطلع على كتب النحو السابقة مثل الكتاب، والإيضاح، والمفصل، ووجد فيها صعوبة في العرض لمادة النحو، وتقديمها، لذا وجد أنه لابد من وضع كتاب في النحو تتغير فيه النظرة إلى النحو، وإمكانية تدريسة وبخاصة أن ابن مالك مال إلى التدريس، فالمعروف عن كتاب التسهيل – حسب رأي ابن خلدون – أنه من الكتب النحوية المختصرة، التي استوعبت جميع ما نقل[1].

وقد وضع ابن مالك لكتابه مقدمة نلحظ من خلالها بعض المسائل المهمة منها:

أ. استخدام ابن مالك للمحسنات البديعية على الطريقة التي اتبعها المؤلفون السابقون في ذلك العصر.

ب. ميل ابن مالك للاختصار، فقد أشار بصورة سريعة إلى تسمية الكتاب، وموضوعه، ومميزاته، وأهميته للدارسين.

ج. يظهر مدى ثقته بنفسه، وأخذه بمبدأ الاجتهاد، وهذا يظهر واضحاً في كتابه من مخالفة ابن مالك لآراء من سبقوه، وتفرده-أحياناً-برأيه مع قدرة على الدفاع عن رأيه.

د. أوجز ابن مالك طريقته في التأليف للكتاب ومدى أهمية هذه الطريقة.

أما موضوع الكتاب فقد تحدث ابن مالك عن وضعه كتاباً في النحو والصرف، وقد بلغت أبواب الكتاب ثمانين باباً، تتضمن مائتين وأحد عشر فصلاً، على خلاف في نسخ التسهيل، منها خمسة أبواب ختم بها الكتاب للتصريف، ومخارج الحروف، والإمالة، والوقف، والهجاء، وبقية الأبواب في النحو[2].

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**: 1057.

(2) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 65 (مقدمة المحقق)

مظاهر التيسير في كتاب التسهيل:

كانت السمة الغالبة على ابن مالك ومؤلفاته وبخاصة التسهيل هي توخي السهولة، والتيسير في كل ما يتعلق بموضوع علم النحو العربي(1).

ولعل من أبرز مظاهر التسهيل والتيسير في كتاب التسهيل:

1. **اسم الكتاب:** اختار ابن مالك لكتابه -كما ورد في جميع ترجماته والمراجع التاريخية- "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد "(2).

ويتضح لنا من خلال التسمية أن الكتاب جاء لتسهيل موضوعه في أسلوب الطرح وكيفية معالجة القضايا النحوية وتقديمها للقارئ، بحيث تبتعد عن التعقيد المجافي لطباع الدارسين ولنفسية المتعلمين.

أما قوله تكميل المقاصد فقد نحا فيه توضيح ما أراده من التسمية، الاستغناء، والشمول، فقد قال ابن مالك في مقدمة الكتاب: "هذا كتاب في النحو، جعلته بعون ا مستوفياً لأصوله، مستولياً على أبوابه وفصوله، فسميته لذلك: (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، فهو جدير بأن يلبي دعوته الألباء ويتجنب منابذته النجباء، ويعترف العارفون برشد المغزى بتحصيله، وتأتلف قلوبهم على تقديمه وتفضيله فليثق متأمله ببلوغ أمله، وليتلق بالقبول ما يرد من قِبله"(3).

2. الترتيب في أبواب الكتاب وفصوله:

جاءت أبواب الكتاب متدرجة من باب شرح معنى الكلمة والكلام وما يتعلق بهما، وتلاهما باب إعراب الصحيح الآخر، ثم تلاه أعراب المعتل الأخر، فباب إعراب المثنى

(1) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، (مقدمة المحقق) تحقيق محمد كامل بركات. دار الكتب العربية: 44. 1967.

(2) المرجع السابق: 64.

(3) المرجع السابق: 1

والمجموع على حده، فباب كيفية التثنية وجمعي التصحيح، وبـاب المعرفـة والنكـرة، وبـاب المضمر وباب الاسم العلم. . . الخ.

ويعد ابن مالك في تقسيمه كتابه إلى أبواب، وتقسيم بعض الأبواب إلى فصول سباقاً إلى هذا الأسلوب من التأليف، فسيبويه قد قسم كتابه إلى أبواب، والزمخشري في مفصله قسم إلـى فصول، كما يلاحظ أن ابن مالك قد اجتهد وابتكر كثيراً من المسميات في أسماء أبوابه وفصوله وما زالت حتى اليوم على تسمية ابن مالك.

إن منهج ابن مالك في ترتيب أبواب كتابه وفصوله "منهج دراسي تعليمي، يعتمد أكثر ما يعتمد على المناسب والاستطراد وارتباط اللاحق بالسابق"[(1)].

3. لغة الكتاب:

امتازت لغة الكتاب بالإيجاز مع السهولة فهو يتناول الموضوع بأسلوب سهل ميسر دون مقدمات بل يطرق الموضوع مباشرة فتراه يقول في باب نعم وبئس: "وليسا باسمين فيليا عوامل الأسماء خلافا للفراء، بل هما فعلان لا يتصرفان للزومهما إنشاء المدح والذم على سبيل المبالغة وأصلهما فَعِلَ، وقد يردان هكذا، أو بسكون العين وفتح الفاء أو كسرها أو بكسرهما"[(2)].

ابتعد ابن مالك في كتابه التسهيل عن المحسنات البديعية، ومال إلى الأسلوب العلمي في طرح مواضيع الكتاب ومناقشة آرائه وأقواله، فتراه يقول في باب المفعول معه: "وهـو الاسـم التالي واوا تجهله بنفسه في المعنى كمجرور مع وفي اللفظ لمنصوب معتد بالهمزة، وانتصـابه بما عمل في السابق من فعل أو عامله عمله، لا بمضمر بعد الواو خلافاً للزجاج ولا بها خلافـاً للجرجاني، ولا بالخلاف، خلافا للكوفيين وقد تقع هذه الواو قبل ما لا يصح عطفه، خلافاً لابـن جني[(3)].

---

(1) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 44 (مقدمة المحقق)

(2) المرجع السابق: 126.

(3) المرجع السابق: 99.

كان ابن مالك في مقدمة الكتاب يجري على الطريقة الفاضلية[1] والمتمثلة في استخدام المحسنات البديعية من سجع وجناس وتورية فتراه يقول في مقدمته: "هذا كتاب في النحو، جعلته بعون ا مستوفياً لأصوله، مستولياً على أبوابه وفصوله، فسميته لذلك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". فهو جدير بأن يلبي دعوته الألباء، ويتجنب منابذته النجباء، ويعترف العارفون برشد المغرى بتحصيله، وتأتلف قلوبهم على تقديمه وتفضيله، فليثق متأمله ببلوغ أمله، وليتلق بالقبول ما يرد من قبله، وليكن لحسن الظن آلفا ولدواعي الاستبعاد مخالفاً[2].

أما أسلوب المؤلف في فصول الكتاب فقد ابتعد فيه عن المحسنات البديعية، ونأى به عن لغة العرب القديمة فتراه يستخدم لغة قريبة حتى من زماننا هذا، والفارق واضح بين أسلوبه هذا وأسلوبه في النظم، حيث استخدم لغة العرب الملتصقة بحياتهم قديماً، والدليل على ذلك ما نراه واضحاً في لغة الكتاب، وحين ينظم في مؤلفاته اللغوية، حيث ترى اللغة الصعبة التي تحتاج كل كلمة فيها إلى تفسير وتأويل وتوضيح، ومثال ذلك ما نظمه في "نظم الفرائد" حيث جاءت أبيات نظمه جد صعبه وكل كلمة في البيت الشعري تحتاج إلى توضيح[3]. في حين لا تجد هذا الكلام في لغة كتاب التسهيل فهي سهلة بسيطة واضحة تدخل في الموضوع دون مقدمات أو حشو.

4. الإيجاز والابتعاد عن الحشو:

سلك ابن مالك في كتابه التسهيل طريقاً ابتعد فيه عن الحشو الممل، فهو يبتعد عن الإسهاب في مسائل الخلاف وتدوينها وحشو كتابه بما له فائدة، وما ليس له فائدة، فهو لا يحصي مجلدات بقدر ما يقدم مادته في صورة مباشرة بعيدة عن الإطناب، ودون أي حشو ومثال ذلك قوله في باب أفعال المقاربة: " منها للشروع في الفعل: "طفق" و" طبق " و"جعل" و"أخذ " و"علق" و"أنشأ" و"وهب" و"قام" ولمقاربته: "هلهل" و"كاد" و"كرب" و"أوشك" و"ألم " و"أولى"، ولرجائه: "عسى" و"حرى" و"اخلولق "، وقد ترد "عسى" إشفاقا، ويلازمهن لفظ المضي،

(1) نسبة للقاضي الفاضل الذي كان يبدع في استخدام هذه المحسنات في خطبه ورسائله.

(2) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 1- 2

(3) ينظر الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 24- 25 (مقدمة المحقق)

إلاّ "كاد" و"أوشك" و"جعل". عملها في الأصل عمل كان لكن التزم كون خبرها مضارعا مجردا مع "هلهل"، وما قبلها. . . . "[1].

إن ابتعاد ابن مالك في كتابه التسهيل عن الإطناب والحشو الزائد جعـل منـه مـوجزاً صغيراً في حجمه عظيماً في فائدته وأسلوبه، فقد جاءت أبوابه في صفحات قليله مـوجزه فـي حين أن مثل هذه الأبواب في كتبه الأخرى أو حتى في شرحه للتسهيل جاءت بأضعاف كثيـرة عما جاءت عليه في التسهيل، فإذا أخذت مثلاً باب (نعم وبئس) لوجدته يأتي في صفحتين وربع تقريبا (126-128) حيث ذكر أحكام هذين الفعلين وأوجز فيها، في حين أنه ذكرها في شـرح التسهيل في حوالي السبع عشرة صفحة (338-354)، ضم فيها كل أحكامها بطريقـة موسـعة مفصلة تصلح أن تكون للعلماء والباحثين وليس للدارسين والطلاب الذين قدم لهم كتاب التسهيل موجزاً مختصراً سهلاً بعيداً عن التطويل والتفصيل.

إن هذا العمل – الاختصار في عرض المواد النحوية – قد وسم الكتاب بشكل واضـح فكثير من الموضوعات التي تحتاج إلى عشرات الصفحات أو جزها ابن مالك بصـفحات قليلـة ذكر فيها أهم الأحكام وأوجز فيها وابتعد عن الحشو الزائد وما لا فائدة منه[2].

5. الابتعاد عن مسائل الخلاف والآراء الشاذة:

كان لابن مالك منهج خاص به فيذكر مسائل الخلاف أحياناً ليدلي بدلوه، ويشارك فيهـا برأيه فيجتهد ليؤيد أو يخالف، وأحياناً يقف موقف الحياد من آراء المجتهدين والنحويين فمـثلاً نجده يتحدث عن نعم وبئس في كتابه التسهيل. "فاعل نعم وبئس في الغالب ظاهر معرف بالألف واللام أو مضاف إلى المعرف بهما مباشراً أو بواسطة، وقد يقوم مقام ذي الألف والـلام "مـا" معرفة تامة، وفاقا لسيبويه والكسائي لا موصولة خلافاً للفراء والفارسي. وليست بنكرة مميـزة،

(1) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 59.

(2) المرجع السابق: 75، 86، 99، 114و 129، 136، 142 وغيرها.

خلافا للزمخشري وللفارسي في أحد قوليه، ولا يؤكد فاعلهما توكيدا معنويا، وقد يوصف، خلافا لابن السراج والفارسي"[1].

وبذلك نجد ابن مالك يبدع لنفسه نهجاً بين النحاة فيذكر أحياناً رأي النحويين ولكـن لـه رأيه الخاص، ولا يغوص كثيراً في مسائل الخلاف بين النحويين فلا يسهب كثيـراً فـي ذكـر مسائل الخلاف والرد عليها وإنما اكتفى بذكر رأيه واجتهاده.

ومن سمات أسلوب ابن مالك ومنهجه فيما يخص الخلاف مع غيره من النحاة أنه كان لا يناقش أراء المخالفين له أو المؤيدين بل يكتفي بذكر أسمائهم فقط " وقد كان ابن مالـك شـديد الحرص على عرض أكبر قدر من علمه بالنحو في هذا الكتاب فيذكر فـي إيجـاز بـالغ آراء النحويين السابقين دون تعليق عليها أو مناقشتها، ولكنه لا يجد متسعا للأمثلة وذكر الشـواهد إلا ما ندر" [2]، فيقول مثلاً في فعلية نعم وبئس: "وليس باسـمين فيليـا عوامـل الأسـماء خلافـاً للفراء"[3].

وحتى إذا اتفق مع رأي من آراء النحاة فإنه لا يناقشه إطلاقاً بل يكتفي بذكره فقط ومنه مثلاً حديثه عن نائب الفاعل فيقول: "ولا تمنع نيابة المنصوب لسقوط الجار مع وجود المنصوب بنفس الفعل ولا نيابة غير المفعول به وهو موجود وفاقاً للأخفش والكوفيين[4].

هذه سمة واضحة من سمات كتاب ابن مالك، فهو قد أدرك أن الخلاف والغـوص فيـه ليس للطلبة وصغار الدارسين، لذلك تجنبه في التسهيل واكتفى بذكر من خالفه أو أيده، في حين أنه عندما شرح التسهيل أكثر من ذكر مسائل الخلاف وفصل الآراء في هذه المسائل فهو يناقش الرأي المؤيد أو المعارض بكل جزيئاته وتفصيلاته ويعلل سبب الذهاب إلى الرأي الذي قال بـه

---

(1) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 126، 127.

(2)عبادة، محمد إبراهيم: **النحو التعليمي في التراث العربي**: 34

(3) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 126

(4) المرجع السابق: 77 وينظر: 143، 197، 216 وغيرها.

الكسائي مثلاً ثم يناقش هذا الرأي ويبين سبب بطلانه أو سبب صحته ويؤيـده بـذكر الأمثلـة المؤيدة والشواهد المساندة(1).

ولعل ابتعاد ابن مالك عن مناقشة الآراء النحوية المختلفة في كتابه التسـهيل، واتخـاذه منهجاً سهلاً، يعود إلى ميله في أسلوبه إلى أسلوب المدرس، وهذا لـيس غريبـاً فهـو محـب للتدريس وعمل فيه لمدة طويلة، فجاء كتابه هذا خلاصة لآرائه التي راقت له، فهو ليس بصرياً ولا كوفياً ولا بغدادياً ولا مغربياً، فهو يخالف الكثير من العلماء إن رأى أن آراءهم بعيدة عـن الصواب أو فيها شيء من التعقيد والصعوبة(2). لذلك فقد جاءت آراء ابن مالك في التسهيل سهلة واضحة بعيدة عن الغرابة والشذوذ، فهو ما كان يهوى الخلاف مع النحاة أو الميل نحـو الآراء الشاذة بل كان يختار من الآراء أسهلها وأبعدها عن الشذوذ، ومنه مثلاً رأيه لحذف الألف مـن كلمة (الرحمن) و(ا) وغيرها من الكلمات فهو يعلل هذا الحذف بكثرة الاستعمال ليس إلاّ (3).

وقد حرص ابن مالك على توخي السهولة واليسر فيما يذهب إليه مـن آراء، واختيـار الرأي الأسهل من المذهب الأسهل وما اسم التسهيل إلا أوضح دليل على اتجاه ابن مالك وفيـه لذلك ابتعد عن الشاذ واتجه نحو السهل المعروف المتداول(4).

6. البعد عن الشواهد النحوية والاكتفاء بالأمثلة السهلة التركيبية:

ربما يكون ابن مالك قد أدرك كغيره من العلماء أن الشاهد النحوي القرآني أو الشعري أو غيره قد يزيد من صعوبة النحو، ويدخله في مناقشات وجدليات بسبب اختلاف النحاة حول الشاهد، أو بسبب اختلاف رواية الشاهد، لذلك فقد أبعد ابن مالك كتاب التسهيل عن الشـواهد الشـعرية أو القرآنية، ولم يذكر منها إلا القليل القليل، وحتى الشاهد القرآني الذي يذكره فكان يورده مجـرداً

(1) ينظر مثلاً: الجياني، ابن مالك: **شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 383 وما بعدها، و356 وما بعدها والكثير من مسائل الخلاف الواردة في شرح التسهيل.
(2) المرجع السابق: 68 (مقدمة المحقق)
(3) المرجع السابق: 336.
(4) المرجع السابق: 44 (مقدمة المحقق).

دون مناقشة أو تفصيل، بل يذكره دون توضيح لوجه الاستشهاد به ولوحظ أن ابن مالك كان لا يذكر من الآية إلا المطلوب فقط، وأحياناً كلمة واحدة فقط[1].

لقد كان هذا الشح في الاستشهاد القرآني في كتاب التسهيل[2]، يقابله وفرة في شرح التسهيل، وهذا يفسر لنا مدى الحرص الذي أولاه ابن مالك لكتابه التسهيل ليخرجه من دائرة الغوص في الخلاف النحوي، فهو كتاب ألف للتسهيل والتيسير ولا داعي للإكثار من الاستشهاد القرآني فيه، أما الشرح فلا بأس في ذلك[3].

أما الشواهد الشعرية فلم تكن حاضرة في التسهيل إلا أقل القليل إذ استشهد ابن مالك بثمانية شواهد شعرية فقط[4]، وهو في هذا مخالف لعادة العلماء في عصره الذين أكثروا من الشواهد الشعرية، بل حتى ابن مالك نفسه كان يسرف في الاستشهاد الشعري في كتبه ومؤلفاته، فشرح التسهيل فيه من الشواهد الشيء الكثير جداً، فحين ناقش أصل حبذا ذكر ما لا يقل عن خمسة أبيات شعرية ليوضح -فقط- أصلها[5].

وقد جاءت شواهد ابن مالك في التسهيل في معظمها لتدل على الشذوذ وعدم الاعتماد عليها، فهو مثلاً حين تحدث عن باب تعدى الفعل ولزومه ذكر شطراً من بين شعر وذكر أنه على وجه الشذوذ، وكذلك الأمر في الشاهد الوارد في حديثة عن باب إعراب الصحيح الآخر حيث رده إلى الضرورة[6].

وزيادة في التسهيل لدى ابن مالك في منهجه في التعامل مع الشواهد الشعرية ما كان يناقشها إطلاقاً بل يكتفي بذكرها مجردة، دون تفصيل.

---

(1) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 338، 145

(2) بلغ عدد الشواهد من الآيات احدى وثلاثون آية بين التصريح والإيماء. عبادة، محمد إبراهيم: **النحو التعليمي في التراث العربي**: 34 حاشية رقم 1.

(3) ينظر في معظم صفحات شرح التسهيل لرؤية كثرة الاستشهاد بالآية القرآنية.

(4) عبادة، محمد إبراهيم: **النحو التعليمي في التراث العربي**: 34 حاشية رقم 1.

(5) الجياني، ابن مالك: **شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 355- 357.

(6) المرجع السابق: 83، 9 على الترتيب.

أما الحديث الشريف فلم يكن حظه أوفر من حظ الشعر والقرآن في كتابة ابن مالك، فهو ذكر من الأحاديث ما لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، ولعل هذه القلة كان وراءها سبب واحد فقط، هو البعد عن الغوص في روايات الحديث، وإبعاد كتابه عن مواطن الخلاف حيث كان الاستشهاد بالحديث الشريف من القضايا الخلافية بين النحاة.

إن ابن مالك قد استغنى عن هذه الشواهد القرآنية أو الشعرية بالأمثلة السهلة الحياتية - على قلتها- مثل زيد وعمرو وغيرها[1]. وكان أحياناً يكتفي لتوضيح القاعدة النحوية بذكر كلمة واحدة فقط وليس بضرب مثال كامل، كل هذا من أجل التسهيل والخروج بكتابة بأفضل صورة وأحسن وجه لطلبة النحو، لذلك جاءت أمثلته سهلة لا تحتاج إلى طويل مشقة للفهم، ولا تحتاج كذلك إلى جدل وخلاف حولها كما هو الأمر مع الشواهد الأخرى من شعرية وقرآنية وغيرها.

(1) الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**: 71، 99.

الفصل الثالث

شرح الكتب النحوية المشرقية

الفصل الثالث

شرح الكتب النحوية المشرقية

أسلوب ثانٍ من الأساليب التي اتبعها علماء الأندلس من أجل تبسيط النحو، وتسهيله هو شرح الكتب النحوية الصعبة، المليئة بالتعقيد والتعليل والتأويل، وقد جاء هذا الشرح على قسمين اثنين:

أولاً: شرح الكتب المشرقية:

يعد هذا النوع من الشروحات الأشهر والأكثر تداولاً بين العلماء في الأندلس، وهو الذي أحدث أثراً كبيراً في تطور النحو العربي بالأندلس وتسهيله وتيسيره، وذلك لأنه لامس أشهر كتب النحو التي ألفت مثل كتاب سيبويه وكتاب الجمل وغيرهما.

ثانياً: شرح الكتب الأندلسية المعاصرة في بلادهم:

هذا النوع من الشروح وجد في بلاد الأندلس، ولكن بشكل أقل بكثير من النوع الأول من الشروحات، ونجد من العلماء من اهتم به، حيث شرح بعض الكتب النحوية التي ألفها النحاة في الأندلس، وكان من أشهر أعلام هذا النوع من الشروحات أبو علي الشلوبين الذي شرح الجزولية بشرحين، وشرح الشريشي للدرة الألفية.

شرح الكتب المشرقية

كانت الرحلة الأندلسية إلى بلاد المشرق من أهم العوامل التي ساعدت على نمو النحو العربي وتطوره في بلاد الأندلس، وكانت الثمرة العظيمة لتلك الرحلة، هي إدخال الكتب النحوية المشرقية إلى الأندلس، فدخل كتاب الكسائي أولاً على يد جودي بن عثمان، وتلاه العشرات من الكتب المشرقية، منها ما ذاع صيته وانتشر، وتلقفته أيدي العلماء تحفظه، وتشرحه، وتؤلف على منواله، ومنها ما عبثت به يد الحدثان فضاع واندثر، وكان من أشهر تلك الكتب التي وصلت الأندلس ولقيت من العلماء كل التقدير والإجلال، كتاب سيبويه "الكتاب" أو "قرآن النحو" كما

يحلو للبعض أن يسميه، وكتاب "الجمل" للزجاجي، وكتاب "الإيضاح" لأبـي علـي الفارسـي، وغيرها من الكتب المشرقية التي حظيت بالعناية والاهتمام والشرح والتفصيل. كل ذلك من أجل تسهيل حفظها، وتبسيط فهمها، وإدراك معانيها، أو حتى تصويب أخطائها، أو توضيح شواهدها، وتفسير هذه الشواهد واستخلاص القواعد النحوية منها، وما كان شرح العلماء الأندلسيين للكتب المشرقية للتسلية أو لإضاعة الوقت في شيء لا فائدة منه، بل كان هذا الشرح وذلك التوضـيح لتلك الكتب ذا قيمة عظيمة، وفائدة جليلة، فهم قد رأوا أن هذه الكتب غاية في الصعوبة والتعقيد، وأن لغتها بها من الصعوبة ما بها، وأن معانيها تحتاج إلى مجهود عظيم لتفهمها. فاللغـة التـي صيغ فيها النحو لا تناسب ناشئة الأندلس في النحو، وطلابهم فهم حديثو عهد بهذا العلم، لـذلك وقفوا عاجزين أمام لغة الكتب النحوية، القديمة المعقدة، وطريقتها الملتوية، وحتى وإن تفاوتـت تلك الكتب بعضها عن بعض، فالكتاب مثلاً ذو لغة علمية صعبة تخلو من الطـابع الأدبـي، أو اللغة الأدبية، في حين أن شرح ابن عقيل، والمفصل أخف تعقيداً من الكتاب، " لذلك كان لابـد للمتن من شرح يفك رموزه، ويوضح إبهامه، ويفصل مجمله، ويزيده بعض مسـائل، وللشـرح حاشية تزيل غموضه، وتتناول بالتخطئة أو التصويب بعض ما فيه، وتكمـل بعـض قواعـده، وللحاشية تقرير هو بمثابة حاشية الحاشية "[1].

إن اللغة النحوية يجب أن تتسم بالإيجاز والاختصار، فالمتون النحوية لا أحد يسـتطيع إنكار فضلها، وعظم شأنها في علم النحو، فهي مناسبة لأهل البصـرة والكوفـة، يـوم كـانوا متفرغين لها، ولفهمها وحفظها، وفك طلاسمها، فكانوا ملازمـين للعلمـاء الـذين وضـعوها، يرجعون إليهم، يسألونهم، ويناقشونهم، ولما انتقلت تلك اللغة إلى ما وراء البحـار، إلـى بـلاد الأندلس ظهرت صعوبتها وبدت خصائصها النحوية التي تعجز العقول عن فهمها، لـذلك كـان لابد لها من مشمر يزيل عنها غبار التعقيد والصاف، فانبرى عدد من العلمـاء لتلـك المتـون النحوية يشرحونها ويوضحون مشكلها. وكان من أشهر تلك المتون كتب ثلاثة ذكرناهـا قبـل قليل[2]. وسنبدأ بأول هذه الكتب وأشهر تلك المتون النحوية، ألاّ وهو كتاب سيبويه لنرى كيـف

---

(1) حسن، عباس: صريح الرأي في النحو العربي: 293. **مجلة رسالة الإسلام** 43 الصـادرة عـن المجمـع العـالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

(2) ينظر الصفحة السابقة

انكب عليه علماء الأندلس منذ الوهلة الأولى لدخوله بلادهم حتى خرجوا منها تاركين وراءهـم تراثاً عظيماً لعل ا   يوفر له من يعيده.

أولا: شرح كتاب سيبويه:

لاشك في أن كتاب سيبويه ما هو إلا حصيلة ما وصل إليه علم النحو في عصره، فهـو كما يقول ابن النديم: "لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به بعده"[1].

و يتابع كلامه عن هذا الكتاب وما ضمه في ثناياه، من دقائق علمية وقواعـد نحويـة: "قرأت بخط أبي العباس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعـون إنسـاناً مـنهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل"[2]، فكلام ابن النديم السابق يوضح أن كتاب سيبويه جمـع علم النحو من أبي الأسود الدؤلي إلى سيبويه ومن قبله أستاذه الخليل، فهو أفاد من جميع هؤلاء العلماء. فكان كتابه عصارة فكرهم، وخلاصة جهدهم، فالنحو قد بلغ تمامه على يـد سـيبويه، واستوت الدراسة النحوية على سوقها عنده، ومن جاء بعده لم يضف شيئاً.

إذاً فكتاب سيبويه ضم أبواب النحو وفروعه،، بلغة غاية في الصعوبة، والتعقيد وكـان لهذا الكتاب آثار واسعة في التأليف النحوي، فقد شرحه عدد كبير من العلماء. وشرح مشـكلاته ونكته وأبنيته وشواهده عدد أخر من العلماء المشهورين، أضف إلى ذلك مـن اختصـره مـن العلماء، أو حتى اختصر شرحه، واعترض عليه، ولم يكن هذا الجهد العظيم الذي لقيه الكتـاب مقتصراً على جهة دون أخرى، " فقد اهتم به علماء مشارقة، ومصريون ومغاربة وأندلسيون"[3].

وكانت تلك الشروحات لهذا الكتاب متفاوتة في عمقها الثقافي، أو حتـى فـي أهـدافها، فبعض العلماء قام بشرح شواهد الكتاب وحدد موطن الشاهد، ورد الشواهد إلى قائليها، كما فعل الأعلم الشنتمري في كتابه "تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب ". ومنهم شرح الكتـب جملة وتفصيلاً من ألفه إلى يائه، كما فعل ابن الباذش، ومنهم من أخذ جزئية من الكتاب فشرحها

(1) ابن النديم، أبو الفرج: **الفهرست**: 82.

(2) المرجع السابق: 82

(3) سيبويه، أبو بشر: **الكتاب**. تحقيق عبد السلام هارون. ط1. بيروت. دار الجيل: 37/1.

ووضحها كما فعل أحمد بن طاهر من محاولات لفك المعمى في كتاب سيبويه حيث ألف كتابـاً اسماه "الطرر" شمل المبهمات والغوامض التي شملها كتاب سيبويه، وقيل إنه لم يسبق إلى مثله، وكان عندما تختلف عليه مسألة من المسائل في أثناء تأليفه يبكي، ولا يدعها تفلت من يده حتـى يعود إليها بالإفصاح والإظهار حتى تم له ما يريد[1]. ويمكن رصد أشهر علماء الأندلس الـذين اهتموا بشرح كتاب سيبويه[2].

1. **الأعلم الشنتمري** (يوسف بن سليمان، ت. 476):

له على كتاب سيبويه شرح الشواهد، وله أيضا النكت في كتـاب سـيبويه وهمـا مطبوعـان ومتداولان.

2. **أبو القاسم الصفار** (ت630هـ) ذكر هذا الشرح عدد من العلماء [3]

3. **أبو علي الشلوبين (**أبو علي عمر بن محمـد الإشـبيلي، المعـروف بالشـلوبين الكبيـر (ت645هـ) ذكر هذا الشرح كل من القفطي إذ يقول عنه: " قيل إنه صـنف شـرحا لكتـاب سيبويه"[4]، وأكد وجود هذا الشرح السيوطي إذ يقول: "صنف تعليقا على كتاب سيبويه"[5].

4. **أبو بكر الخفاف (ت657هـ)**

أشار لشرحه السيوطي بقوله: "صنف شرح سيبويه"[6]

(1) ابن الآبار، تقي الدين ابن القاضي: **التكملة**: 352/2 رقم 1447،، تحقيق محسن غياض. النجف الأشـرف. بغـداد: مطبعة النعمان. 1974.

(2) ينظر لمعرفة المزيد من شراح الكتاب في الأندلس: سيبويه، أبو بشر: **الكتاب**: 37/1 وما بعدها. تحقيق عبد السلام هارون. ط1. بيروت: دار الجيل. وسيبويه، أبو بشر: **الكتاب**: 1 /23 وما بعدها. تعليق ووضع حواش وفهارس د. إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية. والحديثي، خديجة: **كتاب سيبويه وشروحه**: الفصل الثالث: 149 – 280. د. ط. د. ت. . وأبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 72-73

(3) ينظر تحت عنوان شرح الصفار على كتاب سيبويه في هذا الفصل: 93.

(4) القفطي، جمال الدين أبو الحسن: **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: 332/2

(5) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 225/2

(6) المرجع السابق: 473/1

5. **الشلوبين الصغير** (محمد بن علي الأنصاري، ت660هـ) ألف كتابـا فـي الآبيـات التـي استشهد بها سيبويه[1]. وقال عنه السيوطي: " شرح أبيات سيبويه شرحا مفيدا " [2]

6. **ابن عصفور** (ت669هـ) أشار إلى شرحه ابن عبد الملك، فقال: " شرح كتاب سيبويه"[3].

7. **ابن الضائع** (أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي، ت680هـ)

أشار لشرحه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة فقال: " له شرح جمع فيه بين شرحي السـيرافي وابن خروف بإختصار حسن على كتاب سيبويه " [4]

8. ابن أبي الربيع (أبو الحسين عبيد ا بن أحمد الإشبيلي، ت688هـ)

أشار إلى شرحه السيوطي بقوله: " إنه شرح كتاب سيبويه " [5]

9. **أبو حيان** (محمد بن يوسف الأندلسي، ت745هـ)

له ثلاثة كتب تدور حول كتاب سيبويه (شرح كتاب سيبويه، والتجريد لأحكام سيبويه، والأسفار الملخص من شرح الصفار[6])

10. ابن خروف (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الأندلسي الإشبيلي، ت745هـ)

له شرح بعنوان مفتح الأبواب في شرح غوامض الكتاب[7]

تلك كانت أشهر الشروحات والنكات والاستدراكات التي وضعها علمـاء الأنـدلس على كتاب سيبويه، التي استقيناها من أشهر المصادر التاريخية، ومن يدري فربما هناك

(1) الفيروز أبادي، مجد الدين: **البلغة في أئمة اللغة**: 242

(2) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 178/1

(3)ابن عبد الملك أبو عبد ا المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:** 414/5. بيروت: دار الثقافة 1964 م

(4) ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة: 5**/373.

(5) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 126/2

(6) الحديثي، خديجة: **أبو حيان النحوي**: 173. بغداد: منشورات مكتبة النهضة. 1966 م

(7)ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة:** 122/5.

شروحات أخرى غابت عن أعين مؤرخي التاريخ وكاتبي المصادر التاريخيـة، فكثـرة هذه الشروحات توحي لنا بالاهتمام العظيم الذي لقيه كتاب سيبويه في الأندلس.

1. : تحصيل عين الذهب (شرح شواهد سيبويه):

للأعلم الشنتمري (ت. 476هـ) [1]

يعد الأعلم الشنتمري من أعلام القرن الخامس الهجري في دراسة النحو العربي في بلاد الأندلس، وقد كان مع غيره من علماء النحو في الأندلس في سباق حـول خدمـة علـم النحـو وتقديمه للطلاب بأجمل صورة وأفضلها، وكان من السباقين في خدمة كتاب سيبويه الذي عده- هو وغيره-مصدر النحو الأول، وذلك من خلال شرحه وتبيين الخفي منه، فالمصادر التاريخية توضح لنا أن الأعلم أخذ كتاب سيبويه عن إبراهيم بن الإفليلي وأبي بكر بن أفلج ولقنـه إلـى تلاميذه: أبي الحسين بن أخضر وأبي بكر بن منذلة[2]، وبعد أن حفظ الأعلم كتاب سيبويه وخبره وتمرس عليه، رأى أن يؤلف عليه كتابين سلما لنا حتى اليوم، الكتاب الأول سماه "النكـت فـي تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه"، والكتاب الآخـر خصصـه لشرح شواهد الكتاب وسماه "تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب فـي علـم مجـازات العرب" وقد حاول الأعلم أن ينهج بهذين المؤلفين نحو السهولة واليسر والتخفيف.

مظاهر التسهيل في تحصيل عين الذهب للأعلم الشنتمري:

يمكن لنا من خلال دراسة كتاب الأعلم الذي شرح فيه شواهد كتاب سـيبويه أن نـرى بعض مظاهر التسهيل والتخفيف، والطرق التي اتبعها الأعلم من أجل تحقيق هدفه المتمثل فـي تقريب معاني الكتاب وتسهيل شواهده للدارسين وأبرز هذه المظاهر الآتي:

---

(1) هو إمام العربية أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري، الأندلسي النحوي. . . برع في اللغة والنحو والإشعار، وجلس للطلبة وتكاثروا عليه، وصنف التصانيف، أشهرها تحصيل عين الذهب (شرح شواهد سيبويه)، والنكت في تفسير كتاب سيبويه. عاش بضعا وستين سنة، ومات حزنا على أحد أصدقائه. ينظر للمزيد حوله ومصادر ترجمته، الذهبي، الحافظ بن شمس الدين: **العقد الثمين في تراجم النحويين**: 115.

(2) الإشبيلي، ابن خير: **فهرسة ما رواه عن شيوخه**: 471. بيروت 1962 م.

1. **اسم الكتاب:** لقد اختار الأعلم لكتابة هذا عنوانا طويلاً مسجوعاً هو "تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب" وهذا العنوان تكثر فيه أسماء اليواقيت والجواهر وهذه سنة متبعة عند علماء الأندلس، إذ إن كثيراً ما كانوا يختـارون لكتـبهم ومؤلفاتهم أسماء في هذا المعنى، ومنه مثلاً " قلائد العقيان " وهو التاج المحلي والذهب الخاص[1]. وهذا الفن في اختيار العنوان له فائدة عظيمة، لأن العنوان هو أول ما يلقـى القارئ قبل أن يشرع بقراءة الكتاب، فإذا استهواه العنوان فسيقبل على الكتـاب مرتـاح البال، خالي الفكر، وإذا نفر القارئ من العنوان نفر مـن الكتـاب كلـه، وقـد أدرك الأندلسيون ذلك فاختاروا لكتبهم ورسائلهم من العناوين أفضلها وأكثرها لفتـاً للنظـر[2] ومنهم الأعلم -رحمه ا -الذي اختار اسم كتابه ليكون مطابقاً لمعناه، وترجمته دالة على مغزاه[3].

2. **الدافع إلى تأليف الكتاب:** لقد وضع الأعلم لكتابه في شرح شواهد سيبويه مقدمة موجزة صرح فيها دافعه إلى التأليف والتصنيف لهذا الكتاب، وقد عبر فيها بكل صراحة عـن مرامه وهدفه المتمثل في تقريب المعاني وتسهيل الأبيات والشواهد، فهو يقول في هـذه المقدمة: "هذا كتاب أمر بتأليفه، وتلخيصه وتهذيبه وتخليصه المعتضد بـا المنصـور بفضل ا أبو عمرو عباد بن محمد. . . أمر أدام ا عزه وأعـز سـلطانه ونصـره باستخراج شواهد كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبـر – رحمـه ا — وتخليصها منه، وجمعها في كتاب يخصها ويفصلها عنه، مع تلخيص معانيها، وتقريـب مراميها، وتسهيل مطالعها، ومراقيها، وجلاء ما غمـض منهـا وخفـي مـن وجـوه الاستشهادات فيها، ليقرب على الطالب تناول جملتها، ويسهل عليه حصر عامتها[4].

(1) أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 238 حاشية رقم 4.

(2) مثلاً من أسماء كتبهم: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، وحرز الأماني ووجه التهاني، والحلل في شـرح أبيـات الجمل، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، والفصول اليانعة في محاسن شعراء المائة السابقة، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وغيرها الكثير من الكتب التي تفننوا في اختيار عناوينها.

(3) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 57. تحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سـلطان. ط2. بيـروت: مؤسسـة الرسالة. 1415هـ/1994م.

(4) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 57.

إن هذه المقدمة التي افتتح فيها الأعلم كتابه قد حددت الهدف من هذا الكتاب وهو جمـع شواهد الكتاب في كتاب منفصل، إضافة إلى تبيان معانيها، وتقريب مراميها، كل ذلك مـن أجل التيسير والتسهيل على طالب العلم حتى يستطيع حصرها، وبالتـالي يدرسـها جميعـاً ويسهل عليه حفظها وتناولها، فالهدف واضح وجلي والرغبة بينة سـاطعة نحـو التسـهيل والتخفيف على الطلاب.

إذاً فالمقدمة واضحة ويظهر فيها المؤلف منهجه، وفي المقابل نـرى السـيرافي وهـو صاحب أشهر شرح لكتاب سيبويه، حين شرح كتاب سيبويه لم يبدأ بمقدمـة أو تمهيـد أو توطئة بل نراه يدخل إلى شرحه مباشرة[1].

3. **المنهج الذي اتبعه الأعلم في شرحه**: قلنا إن هدف الأعلم كان التسهيل علـى الطـلاب والتخفيف عن كاهلهم، لذلك فقد اتبع الأعلم منهجاً واضحاً سار عليه، وكان هذا المـنهج يخدم هدفه، ويساعده على تحقيق مراده، وقد تمثل هذا المنهج الميسر المبسط في:

أ. **رد الشواهد الشعرية إلى بابها**: كان الأعلم وقبل أن يبدأ بشرح شواهد الباب كان يرد الشاهد إلى بابه، وذلك يسهل على القارئ معرفة الباب الذي ينتمي إليه الشاهد ومنه مـثلاً قوله: "وأنشد سيبويه في باب ترجمته: هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول لسـاعدة بن جؤَية الهذلي"[2] وهذا منهج عام سار عليه الأعلم في شرحه لشواهد الكتاب[3].

ب. **الالتزام بترتيب سيبويه:** لقد التزم الأعلم في شرحه بالترتيب الذي وضعه سيبويه في كتابه، فهو لم يخالفه إلى غيره، فهو يقول في هذا "وألفته على رتيبة وقوع الشـواهد فـي الكتاب"[4]. والتزامه هذا سهل على القارئ كثيراً، فالقارئ وهو يقرأ كتاب سـيبويه فتوقفـه شواهد الكتاب لا يجد عناء في العودة إلى شرح الأعلم ليجد الشاهد في بابه فيأخـذ شـرحه

(1) السامرائي، إبراهيم: **أبو سعيد السيرافي وكتاب سيبويه**: 34. مجلة كلية الآداب. جامعة بغـداد. التاسـع. نيسـان 1966م. وأبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 254.

(2) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 71.

(3) المرجع السابق: 58، 104، وغيرها كثير.

(4) المرجع السابق: 57.

ويفهم معناه، ويقرّب إلى نفسه مراده وهدفه، في حين أننا نجد السيرافي في شرحه لم يتبع ترتيب سيبويه بل خالف في ذلك ترتيب سيبويه فأحدث لدى القارئ تشتيتاً للذهن، وجعله يشعر بصعوبة في استخلاص الشاهد من الكتاب ومن ثم العودة إلى شرحه لدى السيرافي[1]. إضافة إلى ذلك فإن الأعلم قد التزم في ترجمته لأبواب كتاب سيبويه بالأسماء التي وضعها سيبويه عناوين لفصول كتابه، ليزيد الأمر سهولة على الدارس، في حين أن السيرافي لم يلتزم بذلك، بل استحدث عناوين جديدة، كان في بعضها شيء من اللبس على القارئ، فهو مثلاً يقول: " قال سيبويه في باب ما "، فالقارئ يقف حائراً أمام هذا الكلام خاصة وأن " ما " تأتي نافية، وتأتي زائدة وعاملة عمل ليس. . . فأي " ما " يقصد السيرافي؟؟ [2]

ج. **إيراد جميع الشواهد الداخلة في الباب وشروحها**: كان الأعلم في شرحه يجمع جميع شواهد الباب الواحد المتعلقة بالقضية النحوية الواحدة متتابعة متتالية، دون أن يذكر ترجمة الباب في كل واحد منها بل يكتفي بذكره أول مرة ثم يقول "وأنشد في الباب" وهذه الطريقة تعزز المعنى في ذهن الطالب المتلقي والقارئ الواعي، لأنه يجمع كل القضايا النحوية الواردة في ذلك الباب متتالية متتابعة، فيبقى القارئ في تسلسل للأفكار بعيدا عن التشتت أو توزيع الذهن، فهو لا ينتقل من قضية نحوية إلى أخرى إلا بعد أن يستوفي جميع شواهدها.

د. **إبراز موطن الشاهد**: حرص الأعلم على إبراز موطن الشاهد في البيت الشعري، وذلك حتى يقرب على القارئ ويسهل عليه استخراج القاعدة النحوية بسهولة ويسر، فالقارئ لا يحتاج كبير مشقة في استخلاص الحكم النحوي، لأنه يجده ماثلاً أمامه بعبارة استشهد به على. . . أو الشاهد فيه، أو الشاهد في[3]. وقد جاء إبراز موطن الشاهد عند الأعلم مختصراً سهلاً، ليس فيه إسهاب أو تطويل، فهو يؤدي الغرض التعليمي منه بأفضل الطرق

---

(1) ينظر أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 255.

(2) المرجع السابق: 255.

(3) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 195، 465 وكل صفحات الكتاب تقريباً.

وأيسرها، في حين أن السيرافي في شرحه كان أكثر إسـهاباً وتطـويلاً وشـرحا لمـوطن الشاهد[1].

وزيادة في التسهيل والتيسير فقد كان الأعلم يرد موطن الشاهد إلى الموطن الذي ذهب إليه سيبويه، وذلك لأنه يشرح شواهد كتابه، ولا يأخذ باختلافات النحاة حول موضع الشاهد في البيت، ومع ذلك فقد كان يذكر بعض آرائهم في الشاهد وموطن الاستشهاد ومنه علـى سبيل المثال الشاهد رقم (468) للأخطل: (البسيط)

أيام جملٍ خَليلاً لو يخافُ لها   صرماً لَخُولِطَ منه العقلُ والجسد

الشاهد فيه نصب " خليل " على الاختصاص والتعجب. . . أو قال بعض النحويين: إنما احـتج به لنصب الأيام على الاختصاص [2]. إن رد موطن الشاهد إلى الهدف الذي وضـعه سـيبويه، يخرج القارئ من فوضى الخلاف بين الأصل – كتاب سيبويه- والفرع وهو شـرح الشـواهد للأعلم، مما يسهل عليه مهمته المتمثلة في فهم النحو والقاعدة النحوية المشتمل عليها الشاهد.

هـ. **نسبة الأبيات إلى أصحابها وذكر مناسبة البيت وموضعه في القصيدة**: بعد أن يبرز موطن الشاهد في البيت، كان الأعلم ينسب الأبيات الشعرية التي استشهد بها سيبويه إلى قائليها وخاصة تلك الشواهد التي لم تُنسب في الكتاب، وقد بلغت الأبيات التي نسبها الأعلم واحداً وستين بيتاً[3]. ومن ذلك مثلاً قوله في الشاهد رقم 481 وأنشد في الباب ليزيد بن محزم[4]. وقد قـام الأسـتاذ رشيد بلحبيب-حين حقق كتاب النكت الذي شرح فيه الأعلم كتاب سـيبويه-بتفصـيل الأبيـات الواحد والستين التي نسبها الأعلم إلى أصحابها ولم تكن منسوبة في الكتاب عند سيبويه[5]. وقـد وضح الأعلم عمله هذا – رد الأبيات إلى أصحابها-في مقدمة كتابه حين قال: "وأسـندت كـل

(1) ينظر أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 254.
(2) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 327.
(3) الشنتمري، الأعلم: **النكت في تفسير كتاب سيبويه**: مقدمة المحقق: 62.
(4) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 334.
(5) الشنتمري، الأعلم: **النكت في تفسير كتاب سيبويه**: 62 وما بعدها، (مقدمة المحقق)

شاهد منها إلى بابه أولاً ثم إلى شاعره إن كان معلوماً آخراً[1]. وكان الأعلم بعد ذلك يشرع في ذكر مناسبة البيت – ليس بشكل مطرد- حيث كان يورد البيت الذي يلي الشاهد أو يسبقه وربما أكثر من ذلك[2]. أما ذكره للمناسبة التي قيل فيها البيت فكان يفعله في بعض الأحيـان ومنهـا شرحه للشاهد رقم (202) حيث يقول: وهذا البيت يروى للنعمان بن منذر قاله للربيع بن زيـاد العبسي، حين دخل عليه لبيد ابن ربيعة والربيع يؤاكله فقال: (الرجز)

مهلاً أَبيتَ اللّعن لا تَأكُل معه

إِن اِستَه مِن برصٍ ملَمعه

فأمسك النعمان عن الأكل، فقال الربيع: أبيت اللعن إن لبيداً كاذب فقال النعمان: (البسيط)

قَد قِيلَ ذَلك إِن حقّاً وإِن كذباً   فَما اِعتذارك من قَولٍ إِذا قِيلا [3].

ولا يخفى علينا أن هذه الطريقة فيها شيء من التسهيل والتقريب للمعنى الذي يريده الشاعر وبالتالي تساعد على فهم القاعدة النحوية. فأنت حين تعلم مناسبة البيت السابق الذي ذكره فأنـت حتماً ستقدر أن حقاً وكذباً نصبتا بفعل محذوف والتقدير إن كان الكلام حقاً وإن كان كذباً.

و. شرح المفردات الصعبة: لقد عد النحاة شواهد سيبويه الواردة في الكتاب أصلاً من أصـول اللغة والنحو، وذلك لأنها تعود إلى أشهر الشعراء والرجاز، فكانت مصدراً من مصـادر اللغـة والتراث اللغوي حتى اليوم، فهي "قد راجت بعده في كتب اللغة والنحو وتداولتها فيمـا بينهـا، وقلما وضع كتاب في النحو – ومهما كان حجمه- دون الاستعانة بها، وهذا نابع مـن أصـالتها ولأن صاحبها اهتم بتسجيلها من المصادر التي يثق بها"[4]، ولا يخفى على أحد أن هذه الشواهد كانت تحوي من المفردات أجزلها، ومن الكلمات أصعبها، لذلك فقد وجد الأعلم نفسه أمام لغـة صعبة ومبهمة على طلابه ووجد من الواجب عليه أن يشرح تلك المعاني، ويفسر تلك المفردات

---

(1) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 57.

(2) المرجع السابق: 77، 187، 200، 254، 386، 468.

(3) المرجع السابق: 182.

(4) ينظر أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 246.

ليسهل على طلاب النحو فهم معنى الشاهد وإزالة غموض مفرداته ومن ثم فهم المقصود بالشاهد وفهم القاعدة النحوية التي جاء الشاهد ليوضحها، وقد انتهج الأعلم هذا الأسـلوب فـي معظـم شواهد الكتاب حيث كان يفسر المعاني الصعبة ويشرحها شرحاً موجزاً يؤدي الغرض المرجـو ويساعد على تحقيق الهدف. وفي أحيان نراه يشرح البيت شرحاً أدبياً وافيـاً مسـتعينا بالبيـت السابق أو اللاحق له ليجلو المعنى ويوضح المراد، ومنه على سبيل المثال لا الحصر تعامله مع الشاهد رقم (29) لخداش بن زهير حين فصل معانية الصعبة، وجاء بدليل علـى ذلـك بيـت بعده[1]، ومثال شرحه للبيت شرحاً وافياً شرحه لبيت الأعشى رقم (7). (الكامل)

وأَخو الغوان متى يشأ يصرِمنَه   ويعن أعداء بعيد ودادِ

فقد علق الأعلم على البيت بالآتي: " وصف النساء بالغدر وقلة الوفاء والصبر، فيقول: من كان مشغوفاً بهن ومواصلاً لهن إذا تعرض لصرمهن سارعن إلى ذلك لتغير أخلاقهن وقلة وفـائهن، وأراد متى يشاء صرمهن يصرمنه فحذف". ثم نراه يفصل القول في معنى كلمة الغواني وسبب التسمية[2].

من خلال البيت السابق ومناقشة الأعلم له نرى جمعه للمناقشة اللغوية وبيان المعاني، والمناقشة النحوية حين ذكر المحذوف والتقدير، ورجح الرأي الأصح في ذلك، وهذا من شأنه أن يسـهل على الطلاب وييسر سبيلهم نحو فهم القاعدة، لأنه يناقش المعنى الذي يأتي عليه كل وجه، وبناء عليه يختار الأصوب والأسلم والموافق للقاعدة.

ز. **إعراب بعض الكلمات في الشاهد أو حتى الشاهد كاملاً:** اهتم الأعلم في شـرحه لشـواهد سيبويه بإعراب بعض الكلمات الواقعة في الشاهد الشعري وبخاصة تلك الكلمات التي قد يكـون فيها لبس على الطالب، أو تكون موضع خلاف بين النحاة، ومنه مثلاً إعرابه لكلمـة "وصـال" الواقعة في بيت المرار الفقعي: (الطويل)

---

(1) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 77.

(2) المرجع السابق: 62.

صددت فأطواتِ الصدود وقلّما وصالٌ على طول الصدودِ يدوم

أراد وقلما يدوم وصال، فقدم وأخر مضطراً لإقامة الوزن، والوصالُ على هذا التقدير فاعل مقدم، والفاعل لا يتقدم في الكلام إلا أن يبدأ به، وهو من موضوع الشيء في غير موضعه[1]. وبعد ذلك كان يأتي بالذي يؤيد رأيه في الإعراب فهو جاء بعد هذا الإعراب ببيت آخر للشاعرة الزباء بنت عمرو بن الظرب ناقش فيه القضية نفسها، وأعرب المطلوب الذي يؤيد رأيه.

ولم يكن الأعلم يكتفي بالكلمة أو الكلمتين من البيت بل نراه يزيد في التسهيل على الطالب حين يعرب له معظم كلمات الشاهد النحوي كما في قول الشاعر لبيد بن ربيعة: (الكامل)

فغَدت كِلا الفَرجين تَحسب أَنه مولى المخافَةِ خَلفُها وأَمامها

الشاهد فيه رفع (خلفُها وأمامها) اتساعاً ومجازاً، والمستعمل فيهما الظرف ورفعهما على البدل من (كلا)، والتقدير فغدت خلفُها وأمامها تحسبهما مولى المخافة، وكلاهما في موضع رفع الابتداء، وتحسب مع ما بعدها في موضع الخبر، والهاء من (أنه) عائدة على كلا، لأنه اسم واحد في معنى التثنية فحمل ضميره على لفظه. ومولى المخافة خبر لأن معناه موضع المخافة ومستقرها من قول الله عز وجل "مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ"[2] أي مستقركم الأولى بكم[3].

كان الأعلم يعرب المشكل من الشاهد الشعري وأحياناً أعرب معظمه أو كله، إعراباً واضحاً مع ذكر سبب الإعراب ليزيد الأمر سهولة ويسراً على القارئ، فهو يحاول – من خلال السبب- إقناع القارئ بالإعراب الذي ذهب إليه، مدعماً ذلك بالشواهد المؤيدة له كما فعل مع الشاهد السابق، وربما أورد الأعلم عدة أوجه للإعراب الواحد مثل تعامله مع قول الشاعر ابن صريم اليشكري: (الطويل)

(1) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 67.

(2) سورة الحديد: آية: 15.

(3) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 236.

فَيوماً تُوافينا بِوجهِ مقَسمٍ كأن ظَبيةٌ تَعطو إلى وارق السلَم

الشاهد فيه رفع (الظبية) على الخبر، وحذف الاسم مع تخفيف (كأن) والتقدير كأنها ظبيةٌ ويجوز نصب الظبية بـ (كأن) تشبيهاً بالفعل إذا حذف وعمل، نحو لم يك زيدٌ منطلقاً، والخبر محذوف لعلم السامع والتقدير كأن ظبيةً تعطو هذه المرأةُ ويجوز جر الظبية على تقرير كظبيـةٍ، و(أن) زائدة مؤكدة[1].

فهو ذكر في هذا الشاهد أوجه إعرابية مختلفة وترك أمام القارئ فرصـة الاختيـار لأسـهلها وأيسرها دون أن يجبره أو يؤيد له وجه على آخر، فهو يختار الأيسر والأسهل.

إن قيام الأعلم بإعراب الشواهد الشعرية – بعضها أوكلها- هو سمة تيسيرية واضحة تسهل على الطلاب، وتضع الشاهد أمامهم بأبسط صورة وأيسرها.

ح. التعليل والتقدير لما هو محذوف: اتخذ الأعلم التعليل والتقدير لما هو محذوف طريقـاً مـن أجل التسهيل والتوضيح، فهو كان يذكر التعليل أو الأسباب للإعراب ويسوق الحجة لـذلك إمـا بالشواهد الشعرية أو القرآنية أو الأمثلة التركيبية البسيطة، كما رأيت في بيتـي ابـن صـريح اليشكري ولبيد بن ربيعة، إذ علل أسباب الإعراب ليقنع القارئ، وكان هذا التعليل سهلاً ومفيـدا يساعد الطالب على فهم الإعراب، ولماذا أعرب كذلك، ولكن بطريقة سهلة موجزه، بعيدة عـن التعقيد والتفنن في هذا التعليل، بل جاءت تعليلاته في خدمة هدفه التعليمي التيسيري.

أما التقدير فهو كثير جداً في الكتاب، فالأعلم كان يقدر المحـذوف ليزيـد المعنـى وضـوحاً، والإعراب بياناً، ومنه مثلاً الشاهد الشعري للشاعر أبي زبيد: (البسيط)

إِن اِمرأً خَصني عمداً مودته على التَنائي لِعِندي غَير مكفورِ

الشاهد فيه إلغاء الظرف مع دخول لام التأكيد عليه، والتقدير لغير مكفورٍ عندي[2].

(1) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 285.

(2) المرجع السابق: 285.

فالتقدير الذي ساقه واضح وجلي وبين لا يزيد المعنى إلا وضوحاً، وبالتالي زيادة الإعراب سهولة ويسراً، وتخليصاً له من اجتهادات وافتراضات قد تأخذ من القارئ وقتاً ليس قليلاً وهـو يفكر بها، ويشغل عقله في سببها، فهو اختصر عليه وسهل طريقه، وبسط له القاعـدة والتقـدير والسبب بأسلوب سهل واضح وبلغة أدبية موجزة مختصرة سهلة، والأمثلة على تقديرات الأعلم البسيطة السهلة كثيرة في الكتاب[1].

ط. ضرب الأمثلة التركيبية السهلة: اتبع الأعلم هذا ألأسلوب في تدعيم أرائه، وتسهيلها وتبسيط الشواهد الشعرية، فهو بعد أن يوضح الشاهد الشعري وموطنه، يحس بأن الشاهد مـا زال فيـه بعض الصعوبة والغموض، فيضرب لذلك أمثلة تركيبية سهلة حتـى يسـهل الشـاهد ويزيـده توضيحاً وتفصيلاً، ومن الأمثلة على ذلك ما ضربه من أمثلة حين تعامل مـع الشـاهدين رقـم (68، 69) حيث يقول: وأدخل الفاء على الفعل الماضي لأنه دعاء، كما تقـول: إن أعطيتنـي فجزاك ا خيراً[2].

إن هذا الأسلوب المتبع وتلك الأمثلة السهلة تجعل من كتابه سهلاً ميسراً علـى طـلاب النحـو العربي والأمثلة عليها منتشرة بين ثنايا الكتاب وصفحاته[3].

ي. عدم ذكر الخلاف بين النحاة: أدرك الأعلم أن الخلافات النحوية كانت من أهم الأسباب التي عقدت النحو ونفرت الطلبة من هذا العلم، لذلك ابتعد عن ذكر الخلاف النحوي بين النحاة سواء أكانوا كوفيين أم بصريين، فكان يكتفي بالإشارة إلى الخلاف دون أن يناقشـه أو يـرجح رأيـاً لأحد[4]، ومن ذلك مثلاً تعامله مع شاهد طرفة بن العبد: (الطويل)

ألا أيهذا الزاجِري أحضر الوغى   وأن أشهد اللّذّاتِ هل أنتَ مخْلِدِي

(1) الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب**: 409، 234، 202، 105، 308، 285، وغيرها.

(2) المرجع السابق: 104.

(3) المرجع السابق: 285، 458 وغيرها.

(4) المرجع السابق: 34 المقدمة.

الشاهد في رفع أحضر لحذف الناصب وتعريه منه، والمعنى لأن أحضر الـوغى وقـد يجـوز النصب بإضمار أن ضرورة، وهو مذهب الكوفيين[1].

إن ابتعاد الأعلم عن ذكر أراء العلماء أو مناقشتها قد جعل كتابة سهلاً موجزاً بعيداً عن احتواء الغث من القول، ومع ذلك فقد شدت الأعلام نحو النحاة وذكر خلافاتهم نزعات بسـيطة فـأورد بعضاً يسيراً منها وبأسلوب سهل غير مطول[2].

2. شرح الصفار(ت630هـ) على كتاب سيبويه:

يعد الصفار أبو القاسم بن علي بن محمد البطَليوسِي من كبار علماء النحو العربي في الأنـدلس خلال القرن السابع الهجري، وهو قد صنف عدداً من المؤلفات النحوية ذات القيمـة والفائـدة، وسأقف عند شرحه لكتاب سيبويه الذي أطلق عليه اسم (شرح كتاب سيبويه للصفار)، وقد قـال عنه عدد من العلماء: إنه من أحسن الشروح وأفضلها[3]، وذكر هذا الشرح عدد من أئمة اللغـة الذين أرخوا للعلماء والنحاة نذكر منهم:

أ. الفيروز أبادي: قال عنه: "شرح كتاب سيبويه شرحاً حسناً يقال: إنه أحسن مـا وضـع عليه. . . ولم يكمله، بلغ إلى باب من أبواب التصغير"[4].

ب. حاجي خليفة قال عنه في حديثه عمن شرح كتـاب سـيبويه: "وشـرحه أبـو الفضـل البطَليوسِي قاسم بن علي المشهور بالصفار" [5].

ج. أبو حيان النحوي: ذكر أبو حيان أن للصفار كتاباً في شرح كتاب سيبويه[6].

(1) المرجع السابق : 424، وينظر كذلك 429.

(2) الشنتمري، الأعلم: **النكت في تفسير كتاب سيبويه**: 77 المقدمة.

(3) ينظر: الفيروز أبادي، مجد الدين: **البلغة في أئمة اللغة**: 188. طبعة دمشق 1972.

(4) الفيروز آبادي، مجد الدين: **البلغة في أئمة اللغة**: 188.

(5) خليفة، حاجي: **كشف الظنون**: 1428. طبعة طهران سنة 1957م

(6) الحديثي، خديجة: **كتاب سيبويه وشروحه:** 227.

د. ذكر الشوكاني في البدر الطالع أن لأبي حيان كتابا اسمه الأسفار الملخص من شرح الصفار، وهذا كتاب مختصر لشرح الصفار[1].

وقد فقد الكثير من هذا الشرح وضاع زيادة على أن الصفار في شرحه لكتاب سيبويه لم يصل به إلا إلى باب التصغير[2]. لذلك فالإحاطة بآرائه النحوية، ربما يبدو فيه شيء من الصعوبة.

منهج الصفار في شرحه:

لقد انتهج الصفار في شرحه لكتاب سيبويه طريقاً سهلة حققت الغرض المرجو منه وهو فهم مشكل كتاب سيبويه، وتبيان غوامضه، وتبسيط لغته ليسهل أخذ النحو عنه، وأبرز ملامح هذا الأسلوب هي:

أ. **الالتزام بما أورده سيبويه**: حرص الصفار على أن لا يخالف سيبويه في ترتيبه لأبوابه، فهو كان يتبع الترتيب ذاته، حتى لا يشتت ذهن القارئ أو يحصل مخالفة في أبواب الكتاب، فترى الباب باسم في الكتاب لسيبويه، وباسم آخر مختلف في شرح الصفار، لذلك فهو ابتعد عن ذلك وتبع سيبويه في تسمية أبواب كتابه.

ب. **شرح كلام سيبويه بعد ذكره له**: كان الصفار يأتي بكلام سيبويه ثم يشرح ألفاظه[3]، وقد حرص الصفار على ذلك حتى يسهل على الطالب والقارئ فهم القاعدة النحوية التي يتكلم عليها سيبويه، وذلك لأنهما جاءا متتاليين متتابعين كلام سيبويه أولاً وشرح الصفار ثانياً، وكان أيضاً يوضح غرض سيبويه من كلامه أو لسبب تسمية الباب، ومنه مثلاً ما جاء في أول شرحه: "بسم ا الرحمن الرحيم، صلى ا على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، قال سيبويه رحمه ا : هذا علم ما الكلم من العربية، فأول ما يسأل عنه في هذه الترجمة: لم أشار بهذا وليس ثم مشار إليه، وهذا إنما وضعت لأن يشار بها، وإنما يكون هذا الكلام بتقدير أنه قبل

---

(1) ينظر الشوكاني، **محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: 289/2. ط1. القاهرة. 1348هـ.
(2) ينظر الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 222-223.
(3) الحديثي، خديجة: **كتاب سيبويه وشروحه**: 227.

الباب، وإلا فإذا قدرت وضعها بعد الفراغ من الباب فلا سؤال، لأنه أشار حينئـذٍ للبـاب"[1]، وكان يتناول المسألة ويشبعها شرحاً وتفصيلاً حتى يسهل على القارئ ويزيل الغموض الـذي يكتنف نص سيبويه وعباراته، وكذلك كان يورد جميع الأوجه الجائزة ويوضح سبب الجـواز وكل هذا من أجل تخفيف أعباء النحو وتفصيل قواعده وبسطها بسهوله[2].

ج. **مخالفة سيبويه في بعض القضايا الصعبة**: كان الصفار في شرحه لكتاب سيبويه لا يجد حرجاً في مخالفة سيبويه إن رأى أن كلام سيبويه يعقد القاعدة ويزيد المسألة صعوبة وتعقيداً، ويعبر عن ذلك صراحة وبكل وضوح ومثال ذلك حين عارض سيبويه في حديثه المعقد عن قضـية التنازع في النحو، حيث جاءت عبارات سيبويه غاية في الصعوبة والتعقيد، وفيها من التأويل والاجتهاد الشيء الكثير، فهو عارضه بوضوح وأظهر عدم رضاه عن كلامه لأنه وجـده لا يناسب الطلبة والمتعلمين، فهو يقول: " فهذا الذي عمله سيبويه غير مرضي عندي"[3].

د. **عدم الأخذ بالرأي دون أن يكون له مؤيد من السماع**: رفض الصفار الأخذ بالرأي الذي اعتمده سيبويه في كتابه، دون دليل عليه من السماع، وفضل أن يكون اعتماده على المسموع المنقول من كلام العرب، فهو يقول "وهذه المسألة لا يجوز عندي إلا أن تسمع منهم"[4]. فالملاحظ أن الصفار رفض الرأي الذي كان من اجتهادات العلماء وتأويلاتهم، وهذا الاجتهاد والأخذ بالرأي أحدث في النحو صعوبة وزاده فلسفة وربطاً بالمنطق والاجتهاد، لذلك رأى الصفار أن الأولى بالأخذ هو السماع لأنه أسهل وأشد قرباً إلى النفس، وأكثر تحقيقاً للفائدة اللغوية النحوية بأسهل الطرق وأكثرها اختصاراً.

ه. **الاعتماد على أسلوب الحوار ومشاركة القارئ**: نهج الصفار نهج معظم علماء الأنـدلس فـي استعمال أسلوب الحوار ومشاركة القارئ في المناقشة النحوية وذلك خـلال شـرحه لكـلام سيبويه سواء أكان مؤيدا لسيبويه أم معارضاً له، فأنت ترى ضمائر المخاطب وكلمات الحوار

---

(1) المرجع السابق: 228، نقلاً عن شرح الصفار.

(2) ينظر الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 226.

(3) المرجع السابق: 225. نقلاً عن شرح الصفار ورقة 92.

(4) المرجع السابق: 225. نقلاً عن شرح الصفار ورقة 92.

ماثلة أمامك في معظم نصوص كتابه[1]، وهذه الكلمات والعبارات الخطابية مـن شـأنها أن تخاص القارئ من الملل الذي حتماً سيلحق به عند قراءة كتاب سيبويه وذلـك بسـبب لغتـه الجافة الصعبة، فجاء الصفار وغير في طبيعة اللغة وأسلوبها ليشد القارئ إليه مـن جديـد، ويلفت انتباهه إلى موضوع الكتاب وشرحه، فيكون ذلك سبباً في تقريب النحو العربـي إلـى أذهان الطلاب وشحذ أفكارهم لموضوع الكتاب لأن القارئ يحس وهو يسمع عبـارات مثـل (ألا ترى، قلت لأنك قلت، فحذفت وغيرها)، بأنه جزء من شرح هذا الكتاب وإبداء الرأي فيه.

إن استخدام أسلوب الحوار في الكتب التعليمية يعد من أنجع الطـرق، وأيسـرها لإيصـال المعلومة للطالب، وهذا أدركه الصفار قبل قرون عدة، وها نحن نسير علـى خطـاه فـي مناهجنا التعليمية، وبخاصة المخصصة للتعليم المفتوح، فكل الكتب التي تعدها جامعة القدس المفتوحة في وطننا تسير على الطريقة ذاتها، وتحاول جاهدة أن تُخاص النحو العربي مـن الجمود، والتلقين الذي أتقنته الكتب النحوية القديمة، لذلك فقد قامت فلسفة هذه الكتب علـى الحوار، وإشراك الطالب في الموضوع المطروق، من أجل الحفاظ على مـدارك الطالـب، وإبقائه مشدودا إلى هذه الكتب، وما فيها من معلومات وقواعد، وقد استخدمت هـذه الكتـب كلمات الحوار المعروفة، مثل: عزيزي الطالب، وضمائر المخاطب كالكاف، وأنت، والتاء، والفعل المضارع للخطاب (ترى، وتلاحظ، وتعرف) وغيرها.

ثانيا: شرح كتاب الجمل للزجاجي[2]:

كان كتاب الجمل للزجاجي من أكثر الكتب المشرقية التـي اسـترعت انتبـاه علمـاء الأندلس، وذلك لأنه كتاب سهل بسيط ألف لغايات تعليمية ولذلك جـاء بعيـداً عـن التعقيـدات

---

(1) الحديثي، خديجة: **كتاب سيبويه وشروحه**: 228-229، نقلاً عن شرح الصفار. ينظر الهيتي، عبد القـادر رحـيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 224، 225. نقلاً عن شرح الصفار ورقة 92.

(2) الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق من نهاوند، قدم بغداد وسمع من ابن السراج والأخفش، ولازم الزجـاج فنسب إليه، وسكن دمشق وتوفي فيها سنة 337هـ. وأشهر كتبه الجمل الذي كان له حظوة عند المغاربة تداني كتـاب سيبويه عند المشارقة.

الطنطاوي، محمد: **نشأة النحو**: 103، وضيف، شوقي:**المدارس النحوية**: 252

والتعليلات الفلسفية[1]. فكان هذا الكتاب يحتل المرتبة الثانية في الأهمية عند علماء النحو واللغة في الأندلس، لذلك أقبلوا على شرحه، وتوضيح شواهده وبيان الخلل فيه، حتى وصلت الدراسات والشروح على كتاب الجمل في المغرب والأندلس حوالي مائة وعشرين شرحا كـان معظمهـا للنسخة الكبرى من الجمل [2].

ويمكن لنا أن ندرج أسماء أشهر العلماء الذين شرحوا كتاب الجمل للزجاجي، وذلك من أجل توضيح غموضه، وإزالة إبهامه، وبيان مشكله، وتفسير شواهده، لعلهم بذلك يصلون إلـى هدفهم وغايتهم وهي تسهيل هذا الكتاب وتبسيطه على طلابهم ومؤيديهم، من أجل تحبيبهم بهـذا العلم الجديد وهو علم النحو الذي سيساعدهم فهمه على فهم كتاب ا وحـديث رسـوله عليـه السلام، ومن أشهر من شرح كتاب الجمل[3]:

1. **ابن سيده (علي بن إسماعيل ت458هـ)**[4]
2. **الأعلم الشنتمري (ت476هـ)** له شرح الجمل، وله شرح لأبيات الجمل[5]
3. **ابن السيد البطليوسي (ت512هـ)** له على كتاب الجمل كتابان أحدهما هـو "اصـلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل" والثاني هو "الحلل في شرح أبيات الجمل"[6]

(1) خليفة، عبد الكريم: **تيسير العربية بين القديم والحديث:** 45.

(2) مبارك، مازن: الزجاجي، **حياته وآثاره**: 26 ط 2. دمشق: دار الفكر. 1984.

(3) ينظر لمعرفة المزيد من شراح كتاب الجمل في الأندلس: الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 226 وما بعدها، وأبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 73-74 ومبارك، مازن: الزجاجي، حياته وآثاره: 26 وما بعدها.

(4) منه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقمها 1493، وقد أجرى الدكتور محمود العامودي من غزة دراسـة عليه في رسالته للدكتوراه.

(5) حققه الأستاذ محمد شعبان ضمن رسالته "الأعلم الشنتمري وأثره في النحو" والتي نال بها درجة الدكتوراة من الأزهر عام 1972م

(6) الكتابان محققان ومطبوعان. (الحلل في شرح أبيات الجمل) طبع بالقاهرة عام 1979م. بتحقيق الأستاذ مصطفى إمام وكذلك قام بتحقيقه ودراسته الأستاذ عبد ا الناصر، وطبع في دار علاء الدين باسم شرح أبيات الجمل. و كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل. تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي. بغداد: دار الرشيد. 1980م.

4. **ابن عصفور (ت669هـ)** له شرح على الجمل أخذ عنه السيوطي كثيرا [1]

5. **ابن الضائع (ت680هـ)** ذكر هذا الشرح السيوطي[2]

1. الحلل في شرح أبيات الجمل:

لابن السيد البطليوسي [3]

يعد أبو محمد بن عبد ا بن محمد البطليوسي من أشهر نحـاة الأنـدلس فـي القـرن الخامس الهجري (444-521هـ). وكان لهذا العلامة فضل في تيسير النحـو وتسـهيله علـى الناس هناك، وذلك من خلال العمل الذي قام به في مجال الدراسات النحوية في الأنـدلس، فقـد كان على علاقة مميزة مع كتاب الجمل للزجاجي، حيث أنه صنف عليه كتابين: أما أولهما فكان كتابه المشهور "إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل "، والآخر فكان بعنوان " شـرح أبيـات الجمل " كما سماه البعض[4]، أو " الحلل في شرح أبيات الجمل " كما سماه آخرون[5].

مظاهر التيسير في كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل:

بدأ ابن السيد البطليوسي كتابه هذا بمقدمة قصيرة حدد من خلالها غرضه مـن تـأليف الكتاب فقال: " لما فرغت من الكلام في (إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل) أردت أن أُتْبِـع

(1) حققه الأستاذ صاحب أبو جناح ونال به درجة الدكتوراة من جامعة القاهرة عام 1971

(2) موجود منه أجزاء في دار الكتب بالقاهرة

(3) العلامة أبو محمد عبد ا بن محمد بن السيد النحوي اللغوي، صاحب التصانيف، أشهرها كتاباه على جمل الزجاجي (إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل)، و(الحلل في شرح أبيات الجمل) الذي طبع بالقاهرة عام 1979م. بتحقيق الأسـتاذ مصطفى إمام وكذلك قام بتحقيقه ودراسته الأستاذ عبد ا الناصر، وطبع في دار علاء الدين باسم شرح أبيات الجمل. و له كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب. مات في رجب سنة إحدى وعشرين وخمس مائة. ينظر للمزيد حوله ومصادر ترجمته، الذهبي، الحافظ بن شمس الدين:**العقد الثمين في تراجم النحويين**: 119

(4) ينظر: الاشبيلي، ابن خير: **الفهرسة**: 345، والقفطي، جمال الدين أبو الحسن: إنباه الرواة على أنباه النحاة: 141/2.

(5) ينظر: ابن خلكان، شمس الدين: **وفيات الأعيان**: 282/2. تحقيق إحسـان عبـاس. بيـروت: دار الثقافـة. 1968 م والسيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة**: 56/2. و، الفيروز آبادي، مجد الدين: **البلغة في أئمة اللغـة**: 114 والحنبلـي، ابن عماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: 56/4. بيروت: دار الميسرة. 1979.

ذلك الكلام في إعراب أبياته ومعانيها، وما يحضرني من أسماء قائليها. وغرضي أن أصِل بكُل بيت منها ما يتصل به ليكون أبين لغرض قائله ومذهبه "[1].

من خلال هذه المقدمة يمكن ملاحظة الأسلوب الذي اتبعه ابن السيد في تيسيره وتسهيله، ولعل أبرز مظاهر هذا الأسلوب التيسيري تمثلت في:

1. تحديد الباب الذي فيه الشاهد الشعري:

حتى لا يقع قارئ كتاب الحلل في حيرة من أمره وهو يقرأ شواهد الجمل، فقد كان البطَليوسِـي يرد البيت النحوي إلى بابه الذي جاء فيه وقد اتبع في ذلك ترتيب كتاب الجمل نفسه، حتى يبعد القارئ عن الشذوذ أو المخالفة ما بين الأصل – كتاب الجمل – والفرع وهو كتابه.

2. توضيح جو النص الخاص بالبيت الشعري:

كان كتاب البطَليوسِي مصدراً لغوياً لكثير من أعلام الشعراء، فكان أول ما يفعل نسـبة البيت إلى قائله، ومن ثم كان يقوم بتحليل أسماء الشعراء من الناحية اللغوية والصرفية، وهو في هذا يشبه ما قام به ابن جني حين حلل أسماء شعراء الحماسة في كتابه " المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة "[2] ومثال ذلك مثلاً تعامله مع قائل البيت الشعري الآتي: (الطويل)

وهن وقوفٌ ينتَظِرن قَضاءه   بِضاحي عذاةٍ أَمره وهو ضامِز

هذا البيت للشماخ، واسمه معقِل بن ضِرار ويكْنَى: أبا سعيد. . وهـذه الأسـماء كلهـا منقولة وغير مرتجلة.

أما المعقِل فهو الحِصن ويكون أيضاً موضع الاعتقال، والضـرار مصـدر ضـاررت الرجل إذا أَضر كل واحد منكما بصاحبه، ويكون جمع ضرير وهو شاطئ البحـر والـوادي. .

---

(1) البطَليوسِي، ابن السيد: **الحلل في شرح أبيات الجمل**: 13 وما بعدها. تحقيق د. مصطفى إمام. القاهرة. 1979.

(2) ينظر: العامودي، محمود أحمد: **شروح الشواهد النحويـة**: 188. (رسالة دكتوراة غير منشورة). جامعة عين شمس. 1410هـ/1990م

والسعيد ذو السعد، والسعيد: الساقية الصغيرة، والشّماخ: الذي يشْمخ بأنفه على الناس، أي يتعظم عليهم ويتطاول[1].

وبعد ذلك كان يوضح مناسبة الشاهد الشعري والظروف التي قيل فيها ذلك الشاهد وكان يأتي ببعض الأبيات السابقة أو اللاحقة لهذا البيت ليزيل غموضه وإبهامه ومثال ذلك ما فعله مع شاهد عبد يغوث الحارثي وبيت الشماخ السابق، فهو حين ذكر بيت عبد يغوث الحـارثي الـذي يقول فيه: (الطويل)

فَيا راكِباً إما عرضتَ فَبلغَن   نَداماي مِن نَجران أَن لا تَلاقِيا

فهو ناقش اسم الشاعر وقبيلته ومناسبة البيت وذكر مطلع قصيدته التي جاء فيهـا هذا البيت[2] وإذا أخذت كتاب ابن هشام الذي شرح فيه كتاب الجمل للزجاجي لوجدته لا يعيـر هذه المسألة اهتماماً حيث كان نادراً ما يحاول نسبة البيت إلى صاحبه أو ذكر الجو الذي يحـيط بالبيت الشعري، وهذا ما جعل الكتاب يسير على وتيرة واحدة فيه نـوع مـن الملـل والسـأم للقارئ[3]، في حين أن عمل البطَليوسِي كان يهدف من خلاله إلى وضع قارئ الشاهد الشـعري في جو البيت وظروفه ليسهل عليه توضيح البيت وإدراك المغزى منه، وبالتالي فهم المراد مـن الشاهد.

لقد جاء كتاب الحلل جامعاً للأدب والتاريخ واللغة وغيرها، وهذا حقيقـة فيـه راحـة للقارئ، فالمعلوم أن علم النحو مادة جافة بعض الشيء، لذلك كان البطَليوسِـي حريصـاً علـى تسهيل هذا الجفاف، بذكره لطُرف من حياة الشاعر ومناسبة قصيدته، حتى يخرج القارئ من جو إلى آخر فيعود إلى النحو بعد قراءة لُطفٍ أدبية ولغوية وربما نكتاً أو نوادر تسـره وتفرحـه، فالأسلوب الشيق الذي اتبعه جعل القارئ لا يمل القراءة لكتابه وهذا كله لا نجده في شرح ابـن

(1) البطليوسي، ابن السيد: **شرح أبيات الجمل**: 11 وما بعدها. دراسة وتحقيق عبد ا الناصير. منشـورات دار عـلاء الدين.

(2) ينظر: البطليوسي، ابن السيد: **الحلل في شرح أبيات الجمل**: 187-188.

(3) ينظر: أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي في الأندلس**: 236.

هشام لكتاب الجمل، فهو قد جعل من كتابه موسوعة نحوية لا غير، حيث عرض مادته النحوية بطريقة تقليدية لا حياة فيها ولا تجديد، فالسمة النحوية هي الغالبة على كتابه، فلا تجـد عنـده اهتماما بنسبة الأبيات إلى أصحابها أو توضيح مناسبتها أو غير ذلك فيما يخص جـو الشـاهد الشعري الذي من شأنه تذليل مصاعب النحو وتخفيف أعبائه، وإزالة إبهامه[1].

3. تفسير المعاني الصعبة الواردة في الشاهد الشعري:

أدرك البطَلْيوسِي أهمية تفسير المعنى وتوضيحه في فهم القاعدة النحوية، وإزالة إبهـام الشاهد النحوي، لذلك كان قبل أن يبدأ بتفسير القاعدة النحوية المرجوة من الشاهد يفسر معانيه، ويزيل غموضها ولبسها، والشواهد في الكتاب حول هذه الظاهرة كثيرة، نذكر منها مثلاً قوله في بيت مزاحِم بن الحارث العقيلي: (الطويل)

غَدت مِن عليه بعدما تم ظِمؤها   تَصِل وعن قيضٍ ببيداء مِجهل

حيث أنه وضح معانية الصعبة فقال: " الزيزاء: الغليظ من الأرض، والمجهـل: القفـر الذي ليس فيه أعلام يهتدى بها[2].

إن تفسير بعض المعاني الصعبة لم تكن ذات أهمية في شرح ابن هشام للجمل فقد كـان يغفل هذا الأسلوب، ولم يكن يشرح تلك المفردات، وهذا ما جعل الشاهد الشعري فيه صعوبة في معناه قبل الوصول إلى الصعوبة النحوية التي ذللها ابن السيد البطَلْيوسِي عن طريـق شـرحه لمعنى البيت الشعري.

(1) المرجع السابق: 236.

(2) ينظر: البطَلْيوسِي، ابن السيد: **شرح أبيات الجمل**: 53-54. وينظر كـذلك: 79-80 و309، 61، 79، 159، 240، 301 وغيرها الكثير.

4. إعراب بعض الكلمات في الشاهد الشعري:

كان البطَليوسِي وبعد أن ينتهي من توضيح البيت لغوياً وصرفياً، وتحليـل اسـم قائلـه وبيان مناسبته يدخل إلى البيت مدخلا نحويا حيث يعرب بعض ألفاظه وجملـه ليزيـد الشـاهد سهوله ويسرا على القارئ، ومنه على سبيل المثال لا الحصر بيت إبراهيم بن هرمـة القُرشِـي الذي يقول فيه: (البسيط)

إِن سلَيمى-والله يكلَؤُها-   ضنت بِشَيءٍ ما كان يرزؤُها

وقوله: ما كان يرزؤها: جملة في موضع الصفة لشيء، كأنه قال: شيء غير رازٍ لهـا وخبر إن في قوله: "ضنّت".

وقوله: (وا يكلؤها): اعتراض بين اسم إن ووخبرها لا موضع لها من الإعراب(1).

وكان ابن السيد في بعض الأحيان يذكر قضايا نحوية خاصة ويناقشها مبدياً رأيه فيهـا ومنه مثلاً حديثه عن أداة التشبيه (كأن) ومتى تكون للتشبيه ومتى تكون للظّن(2).

وختاماً أقول: إن ابن السيد البطَليوسِي كان من النحاة الأندلسيين الذين حاولوا الخـروج بعلم النحو من صعوباته ومشكلاته، وحاول في شرحه لكتاب الجمل تحقيق هذا الهـدف، حيـث جاء كتابه "ذو منهج محدد، أوضح عنه في مقدمته والتزمه في شرحه"(3)، ولذلك كان هذا الكتاب تعليماً لطلاب المراحل العليا في الأندلس ممن يحاولون تنمية ثقافتهم اللغويـة والنحويـة، فهـو بتناوله لهذه الإشارات يغني الطالب عن الرجوع إلى عدة مؤلفات، وقد ضم هذا الكتاب بعـض الآراء النحوية المستحدثة الصائبة، وقد كانت هذه الآراء محط إعجاب عدد من العلمـاء مثـل السهيلي في نتائج الفكر، وابن هشام في مغني اللبيب، والبغدادي في خزانته(4).

(1) ينظر: البطليوسي، ابن السيد: **الحلل أبيات الجمل**: 346 وما بعدها.

(2) المرجع السابق: 25.

(3) العامودي، محمود أحمد: **شروح الشواهد النحوية**: 188.

(4) ينظر: أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 237.

والحقيقة أنه مما يؤخذ على ابن السيد البطليوسي في كتاب الحلل في إغفاله لذكر موطن الشاهد النحوي في البيت الشعري، ولعله أغفل هذه القضية لأنه رأى أن رد الأبيات إلى بابها – كما فعل- يكفي أو أنه يسد الحاجة، لذلك لا داعي لذكر موطن الشاهد النحوي، وربمـا يكـون البطليوسي قد أخطأ في إغفاله هذه القضية، وذلك لما لها من أهمية فـي تسـهيل علـم النحـو والتعامل مع الشاهد الشعري، ومع هذا كله فلا يمكن إنكار أو إغفال فضل هذا الكتاب وأهميتـه في مسيرة التسهيل التي خاض غمارها أشهر نحاة الأندلس.

2. شرح اللبلي[1] على كتاب الجمل:

علم من أعلام النحو العربي في القرن السابع الهجري، فقد شهدت مدينة لبلة مولده عام (623هـ)، فعرف باسمها، واسمه الأصلي هو أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف أبو الحجاج القرشي الفهري[2]، وقد وضع صاحبنا كتاباً في شرح الجمل للزجاجي سماه "وشي الحلـل فـي شرح أبيات الجمل" "ليكون لفظه مطابقاً لمعناه، مترجماً عن فحواه، وا سبحانه المسئول في أن يعصمني من الزلل ويهب لي التوفيق في القول والعمل"[3].

وقد افتتح اللبلي كتابه وشرحه هذا بمقدمة تناول فيها حمد ا والصـلاة علـى النبـي، وأتبعها بتفصيل حول أفضلية اللغة العربية عن غيرها من اللغات، ثم قام ببيان أسلوبه ومنهجـه في شرحه، ولماذا وضع هذا الشرح مع أن هناك كثير من الشروح حول كتاب الجمل فقـال: " فتصديت لشرح ما تضمنه من الأبيات وإيضاح ما فيها من المشكلات، فلم أدع بيتاً الا صـيرت شرحه جلياً وإعرابه ظاهرا بعد أن كان خفياً. . . ففيه من غامض الإعـراب وغرائـب اللغـة

(1) هو الإمام الحجة أحمد بن يوسف بن علي الفهري، المعروف باللبلي نسبة إلى بلبلة(بلدة غرب قرطبة) مكان ولادته، درس النحو واللغة والقرآن والحديث، إلا أنه اشتهر بالنحو دون غيره وصنف فيه كثيراً، أشـهرها: شـرح المفصـل للزمخشري، ووشي الحلل في شرح أبيات الجمل. توفي بتونس سنة 691 هـ. ينظر: الفيروز آبادي، مجـد الـدين: البلغة في أئمة اللغة: 35. والهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحـوي خـلال القـرن السـابع الهجري**: 260 لمعرفة المزيد حوله، ومصادر ترجمته.

(2) ينظر:، الفيروز آبادي، مجد الدين: **البلغة في أئمة اللغة**: 35، والمقري، أحمد: **نفح الطيب مـن غصـن الأنـدلس الرطيب**: 214/7.

(3) العامودي، محمود أحمد: **شروح الشواهد النحوية**: 120، (نقلاً عن مخطوط وشي الحلل في شرح أبيات الجمل).

والآداب ما لا يوجد منتظماً في كتاب، فكم من بيت فيه مجهول نسبته، وناقص أتممته، وإعراب غريب أوضحته، ومعنى مستغلق فتحته، ولفظ غريب بينته، وخبر طريف انتخبته، وإلى غيـر ذلك مما احتوى من إيضاح مشكل وتقيد مهمل معاً[1].

طرق تيسير النحو في شرح اللبلي:

ويمكن من خلال بعض النصوص وما كتب عن منهج اللبلي رصد الطـرق والوسـائل التي اتبعها من أجل تيسير النحو وتسهيله وذلك في كتابه وشرحه لأبيات الجمـل وأهـم هـذه الطرق:

1. ذكر الباب الذي وقع فيه الشاهد:

لا يخفى على أحد ما لهذا الجهد من تسهيل على الدارس، وتخفيف عليـه، فقـد كـان حريصاً على مثل هذا الأمر، فأول عمل كان يقوم به هو نسبة البيت الشعري إلى الباب الـذي ورد فيه في كتاب الجمل حتى يقال الجهد والوقت على القارئ، فما أن يفتح الكتاب حتى يـرى أن هذا الشاهد يدخل في باب كذا فلا يضيع وقته وهو يبحث عن بابه ويبـدأ بافتراضـات قـد تصيب وقد تُخطئ.

2. ذكر جو النص الخاص بالبيت الشعري:

يتفق اللبلي مع ابن السيد البطَليوسِي في هذا الأمر، حيث كان يذكر البيت وقائله وطرفاً من حياة قائله ربما اتبعه بمناسبته وذكر مكانة الشاعر في قومه وقبيلته، وأحياناً يـأتي بالبيـت السابق أو اللاحق أو أكثر من ذلك ومثال ذلك ما فعله في بيت طرفة: (الرمل)

ثُم زادوا أَنهم في قَومِهِم   غُفُرٌ ذَنبهم غَير فُخُر

(1) المرجع السابق: 119، (نقلاً عن مخطوط وشي الحلل في شرح أبيات الجمل).

قال: "هذا البيت لطرفة بن العبد بن سفيان بن مالك بن ضبيعة، وهو من بني قـيس". . . إلـى غير هذا من بيان لمكانته وشرح عن حياته وقصة موته بالإضافة إلى ذكره لبيتين سابقين لهـذا البيت[1].

إن هذا الأسلوب يخرج القارئ من الملل الذي قد يصيبه نتيجة الكلام النحـوي الجـاف ويكسبه همة ونشاطا وهو يقرأ الأدب والشعر والقصة إلى جانب النحو، وهو في هـذا أخـرج كتابه من دائرة الجمود والتقليد التي وسمت بها الكتب النحوية القديمة.

إن الحديث عن حياة الشاعر ونسبه ومكانته قد أغفله بعض من شرحوا الكتب اللغويـة والنحوية، فهذا الجرجاني علي بن محمد (ت814هـ) في شرحه لأبيات المفصل لـم يتعـرض لصاحب البيت أو شيء من سيرته، وكذلك لم يذكر مناسبة البيت أو حتى القصيدة التي جاء في سياقها البيت وابتعد كذلك عن ذكر لُطَف تاريخية حول البيت أو القصيدة ما جعل كتابه عبـارة عن كتاب ذي لغة نحوية محضة لا تلبث النفس إلا أن تمل مثل هذه الكتب، وهذا الأسلوب الذي ليس فيه تنوع يبعث في نفس القارئ شيئاً من السرور والإقبال على القراءة لأنه يكون جامعـاً للآداب واللغة والنحو وأحياناً بعض النوادر[2].

3. شرح معاني المفردات وذكر المعنى الإجمالي للبيت وذكر موطن الشاهد:

من أجل التسهيل على القارئ في فهم معنى البيت الشعري وبالتالي فهم المطلوب مـن الشاهد كان اللبلي يقدم شرحاً لبعض المعاني التي يرى أنه قد يصعب على القارئ فهمها وبعدها يقدم المعنى الإجمالي للبيت الشعري قبل أن يبدأ في مناقشة البيت من الناحية النحويـة، ومثـال ذلك ما فعله مع بيت أبي عبيد البكري، الذي يقول فيه: (الرجز).

يا ابنَةَ عما لا تَلومي واهجعي

(1) العامودي، محمود أحمد: شروح الشواهد النحوية: 122-123، (نقلاً عن مخطوط وشي الحلـل فـي شـرح أبيـات الجمل).

(2) المرجع السابق: 146.

اللغة: ألفاظ البيت بينه والهجوع على ما ذكره الأعلم وغيره النوم بالليل خاصة[1]. وبعـد ذلـك وضح المعنى الإجمالي للبيت الذي قبله[2]

بعد أن قدم اللبلي شرحاً للمعنى الإجمالي رأيته يذكر وجه الشاهد في البيت، زيـادة فـي التيسير على الطلبة والمريدين، فقال بعد أن روى بيت أبي النجم السابق: "الإعراب: الشاهد في البيت إبدال الألف من الياء في قوله: يا ابنة عما كراهة لاجتماع الكسـرة واليـاء مـع كثـرة الاستعمال[3].

أما المناقشة النحوية للبيت، فكانت ظاهرة عنده، حيث إنه يروي البيت الشعري برواياته المختلفة – إن وجدت -، ويناقش البيت نحويا في كل رواية ومثال ذلك بيت المهلهل: (الخفيف)

ضربت صدرها إِلَيّ وقالت   يا عدِياً لَقَد وقَتك الأواقي

حيث ناقش فيه مجيء (عديا)منادى منونا منصوبا للضرورة الشعرية – مع أن حقه البناء على الضم كونه علما-أم هو منادى مبني على الضم المقدر، ثم ذكر رواية البيت الأخرى، فقال: " وقد روي بيت مهلهل على غير ما أنشدناه، وهو:

ضربت نَحرها إِلَيّ وقالت   يا امرأَ القيسِ حان وقتُ الفراقِ

فلا يكون فيه شاهد على هذه الرواية، لأن امرأ القيس منادى مضاف وهو منصوب" [4]

4. السير على ترتيب الزجاجي:

لقد قام اللبلي بشرح جميع أبيات الجمل، وسار في شرحه على الترتيب نفسه الذي سار عليه الزجاجي، ليبقى الاتحاد قائماً ما بين الأصل (الجمل)، والفرع (الشرح)، وكان أحيانـاً إذا رأى أن في البيت الشعري قضية تتطلب الشرح بشيء من التفصيل، وفيها نوع من التشعب فإنه

(1) العامودي، محمود أحمد: **شروح الشواهد النحوية**: 121، (نقلاً عن مخطوط وشي الحلال في شرح أبيات الجمل.)
(2) المرجع السابق: 119، (نقلاً عن مخطوط وشي الحلال في شرح أبيات الجمل.)
(3) المرجع السابق: 121، (نقلاً عن مخطوط وشي الحلال في شرح أبيات الجمل.)
(4) المرجع السابق: 124. (نقلاً عن مخطوط وشي الحلال في شرح أبيات الجمل).

يذكر المختصر في مكانه، ويسهب ويطيل في المكان الآخر، كما فعل مع البيت السابق، حيـث ذكر موطن الشاهد من البيت، ورأى أن التفصيل فيه قد يحدث لبسـاً وخلطـاً بـين الأبـواب والمواضيع المتتالية، فقال عبارة تدل على حرصه على الترتيب والفصل بين الموضوعات التي قد تلبس القارئ إذا جمع بينها فقال: "وسنستوفى الكلام إن شاء تعالى في الباب الذي يليـه لأن هذا البيت أحق بالباب الثاني الذي يليه"(1).

إن هذا المنهج الذي سار عليه اللبلي لم يكن كل العلماء يطيقون السير عليه، بـل كـان كثير من العلماء يخالفونه، فالعالم عفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي (ت704هـ) لم يسر فـي شرحه لأبيات سيبويه على نفس الترتيب الذي جاء في الكتاب أو حتى على نظام القافية بل كان متأثراً إلى حد بعيد بأسلوب السيرافي وترتيبه لهذه الأبيات وكان هذا الأسلوب مصدر صـعوبة ومشقة على طالب العلم إذا أراد البحث عن شاهد معين في شرحهما(2).

ثالثا: شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي(3):

لم يكن كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي بأقل حظاً من كتاب سيبويه أو الجمل فقد نال هذا الكتاب في الأندلس شهرة واسعة – وإن قلت عن الكتابين السابقين -، حيث وجد لـه مـن علماء الأندلس من يأخذه بالدراسة والتحليل كما حصل مع كتاب سيبويه وكتاب الجمـل، وقـد أطلعتنا المصادر التاريخية على عدد ليس بالقليل من العلماء الذين اهتموا بشرح كتاب الإيضاح وإن كان معظم هذه الشروح قد اندثر وضاع ما بقي منه سوى الاسم الوارد في مصادر التراث القديم فقط، ولعل من أشهر من شرح كتاب الإيضاح من العلماء الأندلسيين الآتية أسماؤهم(4):

(1) ينظر: العامودي، محمود أحمد: **شروح الشواهد النحوية**: 121، (نقلاً عن مخطوط وشي الحلل فـي شـرح أبيـات الجمل).

(2) المرجع السابق: 127.

(3) هو الحسن بن أحمد عبد الغفار الفارسي، ولد بفارس 288هـ وتوفي سنة 377هـ، وهو أستاذ ابن جني من أشهر مصنفاته الإيضاح. ضيف، شوقي: **المدارس النحوية**: 255.

(4) ينظر لمعرفة المزيد من شراح كتاب الإيضاح في الأندلس: الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 232 وما بعدها، وأبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 74

1. **الزهري (محمد بن أحمد بن سليمان ت617هـ)** أشار إلى شرحه السيوطي [1]

2. **أبو الحجاج ابن معزوز القيسي (ت625هـ)**

أشار لشرحه عدد من العلماء [2]

3. **الشلوبين (ت645هـ)**

أشار الشلوبين نفسه إلى أنه قد شرح كتاب الإيضاح وذلك في شرح الجزولية[3]

4. **ابن الحاج (651هـ)**

أشار لشرحه عدد من العلماء [4]

5. **ابن أبي الربيع (ت688هـ)**

هذا هو الشرح الوحيد من شروح الإيضاح السابقة الموجود منه جزء في دار الكتب المصرية [5] أما بقية الشروح فلم يبق منها إلا الاسم فقط، وقد أشار إلى هذا الشرح السيوطي [6]

تلك كانت بعض مجهودات علماء الأندلس في شرح الكتب النحوية المشرقية المختلفة، التي طبع شرحها بسمة واضحة ومميزة لعلماء الأندلس وقتئذٍ، وهي سمة التيسير والتسهيل، والميل إلى الأسلوب التعليمي، فهم ما ألفوا شيئاً أو شرحوا شيئاً من كتب النحو إلا وكان التسهيل والتيسير السمة الغالبة على مؤلفاتهم، مع اختلاف بسيط في لغة تلك الشروح، التي كانوا يتسابقون ليجعلوها لغة سهلة بسيطة خالية من التعقيد، ذلك الاختلاف في اللغة ما هو إلا نتيجة

(1)السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 50/1

(2) المرجع السابق: 362/2

(3) ينظر: الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 233

(4) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 359/1. والفيروز أبادي، مجد الدين: **البلغة في أئمة اللغة**: 31.

(5) ينظر: الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 234

(6)السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 204/2

للفئة المستهدفة من الطلاب، فبعضهم ألف أو شرح من أجل صغار الطلاب فجاءت اللغة أسهل بكثير من لغة تلك الكتب التي ألفت أو شرحت لتكون مادة تعليمية لكبـار الطـلاب أو طـلاب الدراسات العليا – إن جاز لنا التعبير- ومع ذلك فكانت لغة تلك الشروحات سهلة واضحة بعيـدة عن التعقيد أو الفلسفة النحوية التي عقدت النحو[1].

(1) أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 78.

الفصل الرابع

الثورة على العلل النحوية ورفض نظرية العامل

الفصل الرابع

الثورة على العلل النحوية ورفض نظرية العامل

أسلوب ثالث اتبعه علماء النحو في الأندلس من أجل تيسير النحو العربـي، وتبسـيطه وتذليل قواعده للطلبة والمريدين، تمثل هذه المرة بثورة عنيفة شنها بعض علماء الأندلس الـذين كان هدفهم التسهيل والتيسير على الطلبة، تمثل في رفض العلل النحوية لأنها-بحسب رأيهـم - هي السبب الأساس في تعقيد النحو، وجعله صعباً على الطلبة ومداركهم، لـذلك رأوا ضـرورة التخاص من هذا السبب حتى يعود النحو إلى هدفه الذي وجد من أجله، وهو فهم القرآن الكـريم وحفظه، وفهم حياة الرسول صلى ا عليه وسلم وسيرته، فثار علماء النحو ضد هـذا السـبب وأعلنوا عليه حرباً عشواء، اختلفت حدتها من عالم لآخر، فأبو حيان ثار بطريقة أقل عنفاً مـن ابن مضاء القرطبي، الذي ثار ثورة عظيمة لتحطيم كل قيود النحو وأغلاله، المتمثلة في العلـل النحوية الثواني منها والثوالث، ونظرية العامل وغيرها.

بدايات العلة النحوية:

إن الحديث عن بداية العلة النحوية يعود إلى عصر النحو الأول، حيث ذكـرت بعـض المصادر التراثية(1)، أن عبد ا بن أبي إسحاق الحضرمي هو أول من نهج العلل "أي أن النحو قبل ذلك كان عاماً مبهماً يفتقر إلى تعليل الأحكام"(2) وقصته مع الفرزدق مشهورة حـين هجـاه لأنه اعترض عليه وطلب منه تعليلاً لما يقول(3).

وقد سار على نهج ابن أبي إسحاق عدد من تلامذته منهم: أبو عمر بن العلاء الذي كان يطلب التعليل حين يسمع كلاماً يشكل عليه فهمه(4). وكذلك الأمر بالنسبة لعيسى بن عمر الـذي

---

(1) ينظر الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: (ترجمة عبد ا بن أبي إسحاق الحضرمي).

(2) عبابنة، جعفر نايف: **مكانة الخليـل بـن أحمـد فـي النحـو العربـي**: 85 ط1. دار الفكـر للنشـر والتوزيـع. 1404هـ/1984م.

(3) تنظر القصة في: ابن الأنبا ري، عبد الرحمن بن محمد: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**: 20. تحقيـق محمـد أبـو الفضل إبراهيم. مطبعة المدني. 1967.

(4) ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد: **نزهة الالباء**: 29.

كان يضع تعليلاً لما يسمعه، ولم يستطع أن يدركه جيداً، وكانت تلك التعليلات بسيطة في مجملها تدور حول العامل والمعنى المقصود من القول المعلل، حتى جاء الخليل، ورأى أن كلام العرب هذا لم يكن ليوضع دون علل أو تعليل، فأطلق لعقله العنان في التفكير في العلة القائمة خلف هذا القول أو ذاك المعنى، ويبدو ذلك جلياً في رده على سؤال من معاصريه، "أعن العرب أخذت هذه العلل أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللتُ أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه. فإن أكن أصبت العلة، فهو الذي التمست، وإن لم تكن هناك علة له (أخرى)، فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق، أو البراهين الواضحة، والحجج اللائحة. فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، وبسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني الدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو، هو أليق مما ذكرته بالمعلول، فليأت بها"[1].

وقد جاءت تعليلات الخليل مدعمة بالأمثلة، قصداً إلى التوضيح، وتمكيناً للعلة كما فعل حيث قاس المنادى على أسماء الإشارة وقاس النكرة على أسماء الإشارة والأسماء الموصولة. وكانت معظم تلك العلل تدور حول العامل أو العوامل التي ترفع أو تنصب أو تجزم[2]، وبعد أن نضجت العلة على يد الخليل وأصبحت أداة ووسيلة مهمة لتعليم النحو وفهمه، وجدت تلك العلة أنصارها وعاشقيها من العلماء، وكان من أشهرهم تلميذ الخليل النجيب سيبويه، الذي أشبع كتابه تعليلاً وقياساً[3]، فكان هذا الكتاب محط إعجاب لكل العلماء الذين يحبون العلة ويرغبون فيها،

---

(1) الزجاجي، أبو القاسم: **الإيضاح في علل النحو**: 66. تحقيق مازن المبارك. القاهرة. مطبعة المدني. 1959.

(2)عبابنة، جعفر نايف: **مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي**: 90-91.

(3) ينظر الحديثي، خديجة: **دراسات في كتاب سيبويه**: 202 – 211. الكويت: وكالة المطبوعات.

حتى وصل الأمر بالبعض منهم أن يدافع عن العلة، ويرد على من ينتقدها متهماً إياه بالعجز عن فهمها أو إدراكها[1].

وأضحى التعليل من موضوعات الخلاف في العصور المتأخرة، ففي حين أنكره بعض النحاة، ولاسيما نحاة المغرب والأندلس الذين كان للمذهب الظاهري في الفقه أثر واضح على مذهبهم النحوي، كابن مضاء القرطبي وأبي حيان النحوي، عمق نحاة المشرق بشكل خاص الاتجاه التعليلي، هذا ابن يعيش النحوي يشرح للقارئ سبب انقسام الضمير إلى متصل ومنفصل: "والقياس فيها أن تكون كلها متصلة لأنها أوجز لفظاً وأبلغ في التعريف، وإنما أتي بالمنفصل لاختلاف مواقع الأسماء التي تضمر، فبعضها يكون مبتدأ، نحو "زيد قائم" فإذا كنيت عنه قلت: هو قائم، أو أنت قائم إن كان مخاطباً لأن الابتداء ليس له لفظ يتصل به الضمير، لذاك وجب أن يكون ضميره منفصلاً. "[2] ويعلل حركة تاء الرفع بأن "التاء هنا(جلستُ) اسم قد بلغ الغاية في القلة فلم يكن بد من تقويته بالبناء على حركة لتكون الحركة فيه كحرف ثانٍ. "[3]

ويمضي ابن يعيش على هذا النحو الرائع من التعليل، ومخاطبة العقل مفسراً سبب اختلاف حركات التاء، وسبب اقتصار المخاطب المثنى على ضمير واحد، في حين أن للجمع ضميرين.

بل إن الفراء، وهو المؤسس العملي لمدرسة الكوفة والمتوفى عام 207هـ أي بعد وفاة سيبويه بربع قرن، يحتج لسقوط نون الوقاية في (أن) و(كأن) و(لعلّ) "بأنها بعدت عن الفعل، إذ ليست على لفظه، فضعف لزوم النون لها، و(ليت) على لفظ الفعل، فقوي فيها إثبات النون، ألا ترى أن أولها مفتوح وثانيها حرف علة ساكن وثالثها مفتوح، فهو كقام وباع. "[4]

لقد شكل هذا الاهتمام بالعلة النحوية والتعليل لكلام ا ، وكلام العرب، مصدراً أساسياً من مصادر الصعوبة والتعقيد في النحو العربي، وهذا الكلام لم يرق لعلماء النحو الأندلسي أو

(1) ينظر ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**: 184/1 وما بعدها. تحقيق محمد علي النجار. مطبعة دار الكتب. 1955م.

(2) ابن يعيش، يعيش بن علي: **شرح المفصل**: 85/3، بيروت. عالم الكتب.

(3) المرجع السابق: 86/3

(4) المرجع السابق: 91/3

حتى للفقهاء منهم، فأعلنوا عليها – العلل-ثورة بلا هوادة. وكان من أشـهرهم، ابـن مضـاء القرطبي الذي ألف كتاباً كاملاً أسماه "الرد على النحاة "، أي الرد علـيهم فـي تقـديس العلـة والعوامل، وبيان فساد هذا الرأي عندهم.

نظرية ابن مضاء من أجل التيسير:

أحمد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بابن مضاء القرطبي، هذا هو الاسـم الحقيقـي لشخصية عربية مسلمة أندلسية، ثارت على تقاليد الآباء والأجداد، فكانت تلك الشخصـية ممـن درسوا كتاب سيبويه على ابن الرماك (541هـ)[1] في بلاد الأندلس ثم رحل إلى المغرب ليعين قاضياً في مراكش في فترة النشوة والقوة لدولة الموحدين، فكان فقيهاً ظاهريـاً تابعـاً لأسـتاذه وإمامه ابن حزم الأندلسي، وهذا الفقه والتفقه لم يكونا إلا سبباً من أسباب توجه ابن مضاء نحو النحو وعلوم اللغة العربية. وكان تأثير الفقه الظاهري واضحاً عليه، لذلك فقد ثار علـى نحـاة المشرق في فقههم ونحوهم ودعاهم إلى منهج جديد في الفقه والنحو، ولكن ثورته علـى النحـو كانت أعنف وأكثر وضوحاً خصوصاً إذا عرفنا أن كتاب الرد على النحاة هـو الكتـاب الـذي وصل إلينا كاملاً بعد أن حققه ونشره المرحوم شوقي ضيف الذي يرى أن عصر الـرد علـى النحاة كان عصر الثورة على المشرق وأوضاعه في الفقه وفروعه. حيث كانت دولة الموحدين التي كان ابن مضاء قاضي قضاتها تتزعم هذه الثورة، وتأمر بحرق كتب المذاهب الأربعة، لترد فقه المشرق على المشرق، وتابع ابن مضاء ليرد به نحو المشرق على المشرق[2].

فعندما قام المهدي بن تومرت بدعوته الشهيرة التي انتهت إلى تأسـيس دولـة الموحـدين فـي المغرب والأندلس، والتي وظف فيها جانبا من ظاهرية ابن حزم، خصوصا منها رفض القيـاس في الفقه، كان من الطبيعي أن تعود هذه الدولة بعد استقرار أمرها إلى الأصول الفكريـة التـي قامت عليها الدعوة المؤسسة لها، وفي مقدمة ذلك الأخذ بالظاهر في العقيدة والشريعة.

---

(1) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الأموي الاشبيلي، المتوفي سنة 541هـ. ينظر السيوطي، جلال الدين: **بغيـة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 86/2.

(2) ينظر القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 16 – 17 (مقدمة المحقق).

أسس ثورة ابن مضاء في تيسير النحو:

يمكن توضح الأسس التي قامت عليها ثورة ابن مضاء وأثر هذه الثـورة فـي تسـهيل النحـو العربي.

أولا: إلغاء نظرية العامل:

ما إن يفتح القارئ كتاب الرد على النحاة في صفحته الأولى إلا ويجـد الثـورة علـى نظرية العامل النحوي، باعتباره من القضايا التي يستغني النحو عنها، حيث يقول ابن مضـاء: " قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا علـى الخطأ فيه، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي، وعبروا عنه بعبارات توهم في قولنـا (ضـرب زيـد عمرا) أن الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمرو إنما أحدثه ضرب. ألا ترى أن سيبويه – رحمه ا – قال في صدر كتابه: وإنما ذكرت ثمانية مجار، لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يبنى عليه الحـرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه. فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب، وذلك بـين الفاسد"(1).

فابن مضاء يرى أن هذه العوامل يجب أن نستغنى عنها، إن أردنا للنحو اليسر والسهولة، واعد تلك العوامل خطأً ويجب العودة عنها، سواء أكانت عوامل معنوية أم لفظية، لذلك يجب هدم هذه المقولة وتخليص النحو العربي منها، لأن العامل في رأيه هو للمتكلم نفسه "وأما فـي الحقيقـة ومحصول الحديث. فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم، إنما هو للمتكلم نفسـه لا لشـيء غيره"(2).

(1) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 76-77

(2) المرجع السابق: 77

وبين ابن مضاء أن هذه العوامل لا يقبل بها عقل أو شرع، ولا يرضى أحد من العقلاء هذه العوامل أو تلك المعاني التي وضعها النحاة. "لأنها لا تستند على حق ولا على واقـع ومـا العامل " وما هذا الذي يقوله النحويون في مثل (ضرب زيد عمراً)، إذ يزعمون أن ضرب عمل الرفع في زيد والنصب في عمرا، وإن النحاة ليبالغون في ذلك حتى لنراهم يذهبون إن علامات الإعراب هي آثار حقيقية للعوامل، ثم هم على ما هو معروف يطيلون بعد ذلك في بيان شروط هذه العوامل، وبيان أنواعها، ومتى تحذف ؟ ومتى تذكر؟ وإنهم ليتورطون في أثناء ذلـك فـي مشاكل كثيرة لا طائل تحتها ولا مبرر لها " [(1)].

وحتى لا يتعرض ابن مضاء إلى هجوم من نحاة المشرق ومناصري العامل النحوي، فقد أوضح أنه قد سبِق بهذه الفكرة من قبل عالم من أكبر علماء المشرق في النحو العربي وهو العالم أبـو الفتح بن جني وغيره حيث يقول في خصائصه: "وإنما قال النحويون: عامـل لفظـي وعامـل معنوي ليدرك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه، كمررت بزيد، وليت عمـراً قـائم وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعلم من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره، وإنما قالوا: لفظي ومعنـوي لمـا ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ أو باشتمال المعنى على اللفظ وهذا واضح " [(2)] وقد ساق ابن مضاء دليلاً على فساد نظرية العامل، وأنها سبب رئيس في صعوبة النحو العربي، هذا الدليل هو باب التنازع، حيث أدت بهم نظرية العامل إلى رفض بعض أساليب العرب، ويضعون مكانها أساليب أخرى تسولها لهم فكرة العامل[(3)].

---

(1) ضيف، شوقي: **كتاب الرد على النحاة**: 61. مجلة كلية الآداب. جامعة فؤاد الأول. الثامن. المجلد الثاني. ديسـمبر، 1946م.

(2) المرجع السابق: 77. ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص** 1/109-110

(3) المرجع السابق: 32، مقدمة المحقق.

وقد انطلق ابن مضاء في نظرية هدم العامل النحوي من مبدأ واحد هو مبـدأ التيسـير والتسهيل[1] وذلك لأن هذه النظرية لا تهدم النحو العربي بل تسهله وتيسره، فنظريـة العامـل تغذي الجدل الكثير بين النحويين، ذاك الذي لا يكون منه طائل سوى التعب ومضـيعة الوقـت، وكذلك فهي تأتي بأساليب وصيغ لا تقبلها العربية وترفض أساليب أخرى موجودة في العربيـة، وهي لا تساعد على الفهم السليم والصحيح للغة العربية، والحركات الإعرابية ومعانيها والهدف منها، لذلك لا بد من التخلص منها لأن وجودها فيه صعوبة النحو، وبعد عن مـراده الأصـلي، وهو فهم المعنى المقصود بالطريقة السليمة الصحيحة التي لا تؤدي إلى إخلال في المعنى، فهذه النظرية تكثر من التأويل وتعدد احتمالات التوجيه[2] فهذا التأويل قد يكون قريباً أو بعيداً وأحياناً تحمل اللفظة على أوجه الإعراب المختلفة حسـب دورات العامـل فيهـا، فالبيـت الشـعري المشهورللفرزدق: (البسيط)

ما أنتَ بالحكمِ الترضى حكومتُه ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل[3]

أوضح مدى فساد قضية العامل، لأن دخول اللام على الفعل المضارع لا يجوز وهو خطأ، لكن النحاة ونظراً لرأيهم المسبق واعتبار هذا البيت من عصر الاحتجاج لم يستطيعوا تخطئة الشاعر بل خرجوه على الشذوذ تارة، وعلى الضرورة القبيحة أخرى [4]، والبعض اعتبر اللام موصولة بمعنى الذي، فهل الأسهل هذه التخريجات التي لا تستند إلى تحليل منطقي معقول، أم أن نقـول للخطأ خطأ، حتى ولو صدر من شاعر يحتج بشعره، فالبعيد عن الخطأ هـو- فقـط-القـرآن الكريم، والحديث الصحيح الوارد في الصحيحين. وابن مضاء لا يرضى لأحد أن يقف في وجه دعوته، ونظريته بضرورة التخلص من العامل، حتى ولو كان إجماع العلماء عليها، لأنه ومـن منطلق مذهبه الظاهري في الفقه لا يعترف بالإجماع الفقهي، ومثله النحوي فهو يقـول مـدعماً

(1) خليل، عبد النعيم عبد السلام: **التجديد النحوي عند شوقي ضيف**: 22. مجلة علوم اللغة. المجلد الخـامس. الثـاني. القاهرة. دار غريب للطباعة. 2002م. وأبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 283

(2) أبو كته، محمود: **نظرية العامل النحوي بين التأييد والنقد**: مجلد 69/6. مجلة جامعة بيت لحم، آب 1987،

(3) الأنصاري، ابن هشام، **شرح شذور الذهب**: 30. إشراف مكتب البحوث والدراسات. بيـروت. لبنـان: دار الفكـر. 1414هـ/1994 م.

(4) المرجع السابق: 31

رأيه برأي ابن جني: "إجماع النحويين ليس بحجة على من خالفهم، وقد قال كبير مـن حـذاقهم ومقدم في الصناعة من مقدميهم وهو أبو الفتح بن جني في خصائصه: "اعلم أن إجمـاع أهـل البلدين (البصرة والكوفة) إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يـده أن لا يخـالف المنصـوص والمقيس على المنصوص، فإذا لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه"[1].

ثانياً: الاعتراض على تقدير العوامل المحذوفة:

هذا الأساس الثاني الذي انتهجه ابن مضاء من أجل تيسير النحو العربي وتسهيله، فهـو يعترض وبشدة على تقدير العوامل المحذوفة (الضمائر المستترة فـي المشـتقات والأفعـال أو متعلقات المجرورات أو حتى تقدير المحذوف) وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام[2]

وقد كان اعتراضه عليها بوصفها دليلا على فساد نظرية العامل، واتخذ ابـن مضـاء القـرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، مصدراً أساسياً فـي رده علـى التقـدير للعوامل المحذوفة، حيث إن الرسول عليه السلام يقول: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقـد أخطأ"[3]، فأنت عندما تقرر أن هناك محذوفاً في القرآن الكريم فقد خالفت ووقعت في الحـرام، فمن بنى الزيادة في القرآن بلفظ أو معنى على ظن باطل قد تبين بطلانه، فقد قال فـي القـرآن بغير علم. . . ومما يدل على أنه حرام الإجماع وعلى أنه لا يزاد في القرآن لفظ غير المجمـع على إثباته. وزيادة المعنى كزيادة اللفظ بل هي أحرى لأن المعاني هي المقصـودة، والألفـاظ دلالات عليها ومن أجلها "[4] فابن مضاء في نظرته إلى التيسير يرفض كـل تلـك التقـديرات والمحذوفات، ويقف إلى جانب النص اللغوي، فالتقدير في نظره نوع من التخيل والظن لا يستند إلى أي دليل، وهنا يبرز التأثر بالمذهب الظاهري الذي يرفض الزيادة في الـنص دون دليـل، فالزيادة حرام ولا يقبله أهل الظاهر[5] ومن المضمرات التي قدرها النحويـون ورفضـها ابـن

(1) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 82، ابن جني، أو الفتح عثمان: **الخصائص**: 189/1 وما بعدها.

(2) تنظر هذه الأقسام في القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 131 وما بعدها

(3) رواه الترمذي.

(4) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 82.

(5) السرطاوي، معاذ: **ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية**: 131. ط1. عمان. دار مجدلاوي للنشر والتوزيـع. 1408 هـ/1988.

مضاء نضرب الآتي لنرى أيها أسهل على الطالب أهي التقديرات والتأويلات والمضـمرات أم الأخذ بالظاهر والبعد عن هذه المضمرات؟؟.

أ. إضمار فعل متعد بعد حرف النداء:

فالنحاة يقولون: إن الجملة "يا عبد ا " فيها فعل محذوف تقديره أدعو أو أنادي في حين أن ابن مضاء يرى أنه لا داعي لهذا التقدير لأنه سيؤدي إلى تغير المعنى وتحويله من أسـلوب الإنشاء إلى أسلوب الخبر(1) والأسهل لنا أن نعرب دون تقدير أو تأويل.

ب. اضمار أن بعد الفاء أو الواو:

فالنحاة يرون أن الفعل المضارع بعد هذه الحروف منصوب بأن مضمرة، فـي حـين أن ابـن مضاء ينتقد ذلك ويرفضه لأنه فيه نقصا في المعنى واختلال في المراد "ألا ترى أنك إذا قلـت: "ما تأتينا فتحدثنا " كان لها معنيان: أحدهما (ما تأتينا فكيف تحدثنا) أي أن الحديث لا يكـون إلا مع الإتيان، وإذا لم يكن الإتيان لم يكن الحديث. . .، والوجه الآخر (ما تأتينا محـدثاً) أي أنـك تأتي ولا تحدث وهم يقدرون الوجهين (ما يكون منك إتيان فحديث) وهذا اللفظ لا يعطي معنـى من هذين المعنيين"(2) ".

ولسنا نحن المتأخرين زمنا من عانى أقوال النحاة تلك بل إن ثمة من حيره ذلك فـي زمـانهم فأحدهم راعه نصب المضارع تقديرا بعد واو المعية أو فاء السببية واعتبار النحـاة لـذلك انـه بسبب "أن " المحذوفة وقد كاد الرجل أن يمسه الجنون من ذلك القول فكتب إلى نحوى من نحاة البصرة المعاصرين له، وهو أبو عثمان بكر المازني يشكو ما لقيه من عنت فـي فهـم النحـو ومرادات النحاة. . . يقول: (المتقارب)

(1) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 79 – 80.

(2) المرجع السابق: 81.

تفكرتُ في النحو حتى مللْـتُ   وأتعبــتُ نَفْســي لــه والبــدن
وأتعبــت بكــراً وأصــحابه   بطول المسائل فـي كـل فـن
فكنــتُ بظــاهرِهِ عالــماً   وكنــتُ بباطِنِــهِ ذا فِطَــن
خــلا أن بابــاً عليــهِ العفــا   ء للفاءِ يـا ليتَـه لـم يكـن
ولا ـواو بـابٌ إلـى جنـبِهِ   من المقـتِ أحسـبه قـد لُعِـن
إذا قلـتُ هـاتوا لمـاذا يقـا   لُ لســتَ بآتيــك أو تـأتين
أجيبوا لما قِيـلَ هـذا كـذا   على النصبِ قِيلَ لإضمارِ "أنْ"
فقد كدتُ يا بكر من طول ما   أفكر في أمـر "أن" أن أُجـن

فالمضارع المقترن بفاء السببية أو واو المعية إذاً ليس منصوبا بهما، وأن كانتا ظاهرتين بل هو منصوب بـ "أن" المضمرة، وفى ذلك تعسف بين يأباه حس النحوي العـالم بـالنحو كصـاحب الأبيات، وكابن مضاء الذي وردت تلك الأبيات في كتابه الذي بين أيدينا[(1)] حيث يعكف صاحبه على التدليل على فساد رأى النحاة في هذه القضية، وفى غيرها من التقديرات والتأويلات.

ج. تقدير متعلقات المجرورات:

يرى النحاة أن شبه الجملة من الجار والمجرور لا تأتي خبرا أو صفة أوحالاً أو صلة، بل هي متعلقات بمحذوفات، فمثلاً زيد في الدار أو رأيت الذي في داره، أو مررت برجل مـن قريش، فيزعم النحويون أن قولنا في الدار متعلق بمحذوف تقديره (زيد مستقر في الدار) لأنهـم قيدوا أنفسهم بقاعدة نحوية لا يجب الخروج عنها، وهي أن حروف الجر إذا لـم تكـن زائـدة ودخلت على تلك الأسماء فلا بد لها من عامل يعمل فيها إما أن يكون ظاهراً كقولنا (زيد قـائم في الدار) أو مضمراً كقولنا (زيد في الدار).

وابن مضاء يرى أن هذه التقديرات من شأنها أن تضيف صعوبة إلى النحـو العربـي وتدريسه، لذلك لا بد من التخاص منها والابتعاد عن التقدير، بل واعتبار الجار والمجرور فـي

(1)القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 33

محل رفع الخبر، أو نصب الحال، وما إلى ذلك لأن هذا أسهل وأيسر وأعم للفائدة، لأنه لا حاجة لزيادة أو تقدير فإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعى هذا الإضمار[1].

د. تقدير الضمائر المستترة في المشتقات

عارض ابن مضاء تقدير الضمير المستتر في المشتقات، وخالف النحاة في ذلك، فمثلاً (زيد ضارب عمراً) فكلمة ضارب وضعت لمعنيين هما: لتدل على الضرب، ولتدل على الفاعل غير المصرح به، وهو يرى أنه لا داعي لتقدير زيد ضارب هو عمراً، لأن ضارب يدل على الفاعل غير المصرح به، وزيد يدل على اسمه (اسم هذا الفاعل) "فيا ليت شعري ما الداعي إلى تقدير زائد لو ظهر لكان فضلا "[2].

هـ. تقدير الضمائر المستترة في الأفعال

وكذلك رفض ابن مضاء فكرة استتار الفاعل مع الأفعال في قولنا (زيد قام)، لأنه حسب رأيه، لا داعي لهذا الاستتار سوى قول النحويين: " الفاعل لا يتقدم ولا بد للفعل من فاعل، فالفعل يدل على الفاعل دلالة لفظية، ونحن نعلم أن الفاعل من صيغة الفعل ولفظه فيعلم فاعله غائب مذكر، وأعلم فاعله أنا "[3] وما إلى ذلك فما الداعي إلى التقدير والتأويل أليس الهدف من الفعل هو معرفة الحدث والفاعل، فإذا كان الفاعل معلوماً ومعروفاً فما الداعي إلى التعقيد والتأويل.

ثالثا: إلغاء العلل النحوية

وأساس ثالث نادى به ابن مضاء من أجل ترسيخ نظريته الداعية إلى تيسير النحو العربي، تمثل هذه المرة في الدعوة الصريحة الواضحة إلى إلغاء العلل النحوية، وخاصة تلك

(1) ينظر القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 87.

(2) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 88، وعيد، محمد: **أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث**: 204. القاهرة: عالم الكتب.

(3) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 92، عيد، محمد: **أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث**: 206.

العلل الموسومة بالثواني والثوالث، فابن مضاء قسم العلل إلى قسمين: الأول مقبول ولا بأس به وهو العلة الأولى، والقسم الأخر مرفوض ويجب التخلص منه وهو العلل الثـواني والثوالـث، ولعل ابن مضاء في دعوته هذه كان منطلقا من مذهبه الظاهري الذي يقدس الـنص اللغـوي، ويقف أمامه، ولا يدعو إلى تجاوزه، لذلك فهم ينفون السببية في النصوص جميعها[1].

لقد كان المذهب الظاهري يدعو إلى التخلص من العلل الفقهية للنصوص وكذلك الأمر بالنسبة للنحو، فابن حزم يصف تلك العلل بالفساد الذي يجب التخلص منه"ونحـن إن شـاء ا موردون مشاغب أصحاب العلل... وحل شغبهم الفاسد"[2] لقد أراد ابن مضاء أن يريح الناس من عبث طويل للنحاة، وذلك عن طريق إلغاء العلل النحوية، والعلل الشرعية[3] فهـو يـدعو إلـى الأخذ بالعلة الأولى فقط وأما غيرها فهو باطل لا يفيد معرفته ولا يضر جهلـه، لـذلك نـادى بصراحة بضرورة " أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث، وذلك مثل سؤال السـائل عـن زيد في قولنا (قام زيد) لم رفع الفاعل ؟ فيقال: لأنه فاعل وكل فاعل مرفوع فيقول ولـم رفـع الفاعل؟؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر[4].

إن ابن مضاء يرضى بالعلة الأولى لرفع الفاعل، وهي أنه فاعل ويرفض تعليل رفـع هذا الفاعل، ويحيل هذا الرفع إلى كلام العرب فقط، ويرى أنه لا داعي لمعرفة تلك الدواعي أو تلك العلة التي تقف خلف رفع الفاعل أو نصب المفعول، لأن معرفتها وجهلها سيان، "فلا يزيدنا ذلك علما بأن الفاعل مرفوع، ولو جهلنا ذلك لم يضرنا جهله، إذ قد صح عندنا رفع الفاعل الذي هو مطلوبنا، باستقراء المتواتر، الذي يوقع العلم. [5]

لقد عاب ابن مضاء على النحاة الأخذ بالعلل النحوية والإسـراف بهـا، حتـى وصـل ببعضهم الولع بها. فهو يقول: "وكان الأعلم-رحمه ا -على بصره بالنحو مولعاً بهـذه العلـل

(1) السرطاوي، معاذ: **ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية**: 114.

(2) المرجع السابق: 114.

(3) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: المقدمة: 35.

(4) المرجع السابق: 130.

(5) المرجع السابق: 131.

الثواني، ويرى أنه إذا استنبط منها شيئاً فقد ظفر بطائل، وكذلك كان صاحبنا الفقيه أبو القاسم السهيلي على شاكلته -رحمه ا -يولع بها ويخترعها، ويعتقد ذلك كمالاً في الصنعة وبصراً بها"[1].

وضرب مثالاً على فساد علل النحاة وأنها لا تؤدي الا إلى تعقيد النحو، وجعله يدور في متاهات لا حاجة له بها، ومنها مثلاً العلة التي ساقها المبرد من " أن نون ضمير جماعة المؤنث إنما حرك لأن ما قبله ساكناً، نحو (ضربن، ويضربن) وقال فيما قبلها: إنه أسكن لئلا تجتمع أربع حركات. لأن الفعل والفاعل كالشيء الواحد، فجعل سكون الحرف الذي قبل النون من أجل حركة النون، وجعل حركة النون من أجل سكون ما قبلها، فجعل العلة معلولة بما هي علة له، وهذا بين الفساد، ولولا الإطالة لأوردت منه كثيراً " [2].

ولا يخفى على دارس النحو العربي، والباحث في أصوله أن هذه الدعوة إلى إلغاء العلل الثواني والثوالث من النحو العربي، والاكتفاء بالعلة التعليمية الأولى، يساعد وبشكل كبير جداً في تسهيل النحو وتيسيره، وتخليصه من الصعوبة التي لحقت به، بعد أن تأثر بالمذاهب الفلسفية[3] أو مذاهب أهل الكلام الذين يرون في العلل وذكر الأسباب أساس العلم، وكذلك إن هذه العلة تسوق إلى علة لا فائدة منها، وما علة المبرد السابقة حول النون إلا مثالاً بيناً على فساد العلل التي يجب التخلص منها لتخفيف هذا النحو والعودة به إلى الطريق القويم المستقيم.

رابعاً: الدعوة إلى إلغاء القياس.

كانت هذه الدعوة من الركائز الأساسية في نظرية ابن مضاء من أجل تيسير النحو العربي والخروج به من بعض تعقيداته، وتقوم هذه الركيزة في تيسير النحو على رفض قياس عامل لعامل آخر في العمل، " فالشيء لا يقاس على الشيء إلا إذا كان حكمه مجهولاً والشيء

(1) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 137

(2) المرجع السابق: 137

(3) ينظر العابد، فضل: **الفكر الظاهري وأثره في النحو العربي**: 41. (رسالة ماجستير مخطوطة) جامعة الأزهر. غزة. 2002م

المقيس عليه معلوم الحكم وكانت العلة الموجبة للحكم في الأصل موجودة في الفرع"[1]، والسبب في ذلك " والعرب أمة حكيمة، فكيف تشبه شيئاً بشيء وتحكم عليه بحكمه، وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع"[2]، وضرب مثالاً على فساد القياس في النحو هو إعراب الفعل المضارع حيث يذهب النحاة إلى أنه أُعرب لشبهه الاسم، أو بمعنى أدق أنه قيس على الاسم فالاسم أصل في الإعراب والفعل فرع[3].

والنزاع والاضطراب في القياس لا جدوى منه في رأي ابن مضاء، " وأساس عدم الجدوى لديه يرتبط باحترامه لنصوص اللغة وقد وضح ذلك في أمرين: الأول: ليس هذا من اللغة الفصيحة التي يحتاجها الناس، فحاجة الناس إلى معرفة اللغة لا تفتقر لهذا الاضطراب والنزاع. أما الثاني: إنه مظنون مستغنى عنه، والظن ليس نصاً من نصوص اللغة، ومن أهم ما يترتب عليه اضطراب الأقيسة"[4].

إن الدعوة إلى إلغاء القياس هي بالتالي دعوة مبطنة لإلغاء العلل مرة أخرى، وهذه الدعوة من شأنها أن تسهم بجزء ليس باليسير في تيسير النحو العربي وتسهيله.

خامساً: الدعوة إلى إلغاء التمارين غير العملية:

دعوة أخرى من أجل التيسير والتسهيل في مجال النحو العربي، تمثلت في دعواه إلى إلغاء كل التمارين غير العملية التي أثقلت النحو بعلل، وأقيسة لا طائل تحتها سوى الجهد والخلاف والتعب، لذلك يرى ابن مضاء أنه إذا أردنا أن نسهل نحونا العربي ونعيده إلى مجده الأول وإلى هدفه الأول، فيجب أن نخلصه من هذه التمارين التي ضرب لها مثلاً من قول النحاة "ابن من البيع على مثال فُعل فيقول قائل (بوع) أصله بيع فيبدل من الياء واواً لانضمام ما قبلها، لأن النطق بها ثقيل"[5]. وقد ساق ابن مضاء حجج النحويين في هذه القضية، وأوضح فسادها.

---

(1) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 134.

(2) المرجع السابق: 134.

(3) المرجع السابق: 39 (مقدمة المحقق شوقي ضيف) وينظر نفسه: 135.

(4) عيد، محمد: **أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث**: 101.

(5) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 138.

"وأنها لا حاجة لنا بها سوى التمرين فيما لا فائدة فيه، فأي فائدة نفيدها من صيغة (بوع أو بيع) التي لم تأتِ عن العرب، والتي لسنا في حاجة إلى استعمالها؟ وإن ابن مضاء ليقول: إن النـاس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة، فكيف بهذا المظنون المستغنى عنه"[(1)].

ومن هذا المنطلق دعا ابن مضاء إلى إلغاء التنازع والاشتغال وتخليص النحـو منهمـا فقـول النحاة: (أعلمت وأعلمني زيد عمراً منطلقاً) على التعليق بالثاني، وعلى التعليق بالأول وأعلمـت وأعلمنيه إياه زيداً عمراً منطلقاً[(2)]، وما إلى ذلك من الأمثلة التي قال عنها: "إنها لا تجوز لأنه لم يأت لها نظير في كلام العرب. وقياسها على الأفعال الدالة على مفعول به واحد قياس بعيد، لما فيه من الإشكال بكثرة الضمائر والتأخير والتقديم"[(3)].

إن دعوة ابن مضاء القرطبي إلى تخليص النحو من التمارين غير العملية تعـد ركيـزة أساسية من ركائز نظريته الداعية إلى تخفيف النحو وتسهيله على الناس، حتى يستطيعوا حفظه وحفظ اللغة الفصيحة وهذه الدعوة تسهم في هذا التسهيل المنشود الذي طالب به ابـن مضـاء وسخر كل مجهوداته من أجله ومن أجل تحقيقه في ميدان النحو كما هـو فـي ميـدان الفقـه الإسلامي.

سادساً: الدعوة إلى إلغاء كل ما لا يفيد نطقاً:

ختم ابن مضاء القرطبي نظريته الداعية إلى تسهيل النحو وتيسيره بدعوة عامـة جليـه تمثلت في وجوب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقا كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول، وسائر ما اختلفوا فيه مما لا يفيد نطقا، وعلى الجملة كل اختلاف فيما لا يفيـد نطقاً[(4)].

(1) القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: المقدمة: 44.
(2) المرجع السابق: 98.
(3) المرجع السابق: 99.
(4) المرجع السابق: 141.

تلك كانت خاتمة دعوة ابن مضاء أجملها في سطور معدودة، دعا فيها إلى حـذف كـل زائد، والإبقاء على المفيد المحقق للغرض المرجو وهو تعلم النحو وحفظه وتطبيقه، ونحن نشعر اليوم وبعد أن مضت قرون عدة على دعوة ابن مضاء وكأنه يتحدث بلسـان طلابنـا، فحملتـه الشعواء التي شنها على نحاة المشرق وما ذهبوا إليه من إيغال في القضايا النحوية والصـرفية حتى آل مآل لغتنا إلى لغات عدة كلغة أكلوني البراغيث ولغة بني الحارث وهذيل.

كانت تلك الحملة حافزاً لعدد ليس بالقليل من علماء اللغة الذين ساروا علـى الطريـق ذاتها، ودعوا إلى تخليص النحو مما لا يفيد، ومن أشهرهم الدكتور إبراهيم مصطفى في كتابـه إحياء النحو، وشوقي ضيف محقق كتاب الرد إلى النحاة، الذي دعا إلى تصنيف جديـد للنحـو العربي، ومهدي المخزومي الذي رفض العلل والعمل بها، وغيرهم الكثير الذين شـاركوا ابـن مضاء هم تعقيد النحو والتخلص من كل ما لا يفيد نطقاً(1).

لقد تأثر عدد من العلماء المحدثين والقدماء بابن مضاء، فمنهم من دعا بدعواه وبحديثـه بكل وضوح وصراحة، ومنهم من دعا بشكل مبطن خفي، وسنعرض الآن لعدد من علماء النحو في الأندلس الذين دعوا إلى ما دعا إليه ابن مضاء سواء أكانوا متأثرين به أم أنهم ثائرون مثلـه لم يرق لهم تحول النحو العربي إلى ألغاز ولعب رياضية أو قياسات عقلية ولعل مـن أشـهر هؤلاء أبو حيان الأندلسي.

رأي ابن السيد البطليوسي (ت 521هـ):

كان ابن السيد من أشهر نحاة الأندلس في القرن السادس، ومن أكثرهم إنتاجا، واغزرهم تأليفـا، وقد صرح ابن السيد عن موقفه من اقحام النحاة للمنطق في مجالات علم النحو، وذلك لان هـذا الإقحام يجر على النحو ويلات التعليل والجدل والنقاش، لذلك فقد أعلن عليهم هجوما ورفـض إدخال المباحث المنطقية في النحو، فقال: "فقلت له أنت تريد أن تدخل صـناعة المنطـق فـي صناعة النحو، وصناعة النحو تستعمل فيها مجازات ومسامحات لا يستعملها أهـل المنطـق. .

(1) ينظر: السرطاوي، معاذ: **ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية**: 139 وما بعدها.

وصناعة النحو ينبغي البعد بها عن صناعة الفلسفة، والوقوف بها عند كـلام العـرب المـأثور عنهم..." [1]

وقد ظهر موقف ابن السيد من كثرة التعليل، وفساد هذا التعليل، من خلال أبيات شـعرية، أجاب عنها حول لفظة لا بأس حيث بين فساد هذه العلل، وما ينتج عنها من خلاف أمل الطالب، وأبعده عن مقصده، فقال: (الطويل)[2]

وقَـد أكْثَـروا فِيـهِ المقَـالَ وشـتتُوا إلـى أن أَملـوا النـاظِرين وأبرمـوا
وأكثـر مـا قَـالوه مـا فِيـهِ طَائِـلٌ لِقَارئـــهِ إلا الكـــلام المنَمـــنَم

رأي ابن الطراوة (ت528هـ):

لقد عرف عن ابن الطراوة أنه تفرد بآراء خالف فيها جمهور النحاة[3] حيث إنه كان يعد المعنى هو الأساس في لسان العرب، فهو الذي يحكم في الجملة وإذا عرف الإنسان المعنى فـلا داعي للغوص في متاهات الإعراب وهذا ما نقله عنه ابن أبي الربيع إذ يقول: " إذا فهم المعنـى فارفع ما شئت، وانصب ما شئت"[4] فهذا الكلام دليل واضح على تحلل ابن الطراوة من بعـض قيود العلة النحوية ونظرية العامل فهو يعتقد أن الإنسان إذا استطاع أن يميز الصحيح من الخطأ في الكلام فقد نحا سمت العرب في كلامهم، فاللغة عنده موافقة لما سمع عن العـرب وليسـت ابتداعا وتجديدا واختراع قياس وجملا لم تسمع من قبل[5].

ومن الأمثلة التي دعا إليها ابن الطراوة في ترك التعليل والقياس قضية المضارعة بـين الاسم والفعل المضارع، حيث أنكر ما قاله النحاة حول هذه القضية وعده باطلا فقـال: "إن مـا

(1) داود، عبير محمود شريف: **دور شروح الألفية في تيسير النحو العربي**: 38. والخبر عن مخطوط "المسائل والأجوبة " لابن السيد البطليوسي. حققه محمد سعيد الحافظ وهو غير مطبوع.

(2) السيوطي، جلال الدين: **الأشباه والنظائر**: 121/3. تحقيق طه عبد الرؤف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية 1975.

(3) الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 197.

(4) ابن أبي الربيع، أبو الحسين عبيد ا بن أحمد: **البسيط في شرح الجمل**: 1 /262. بيروت: دار الغـرب الإسـلامي. 1986م.

(5) ينظر الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 197.

فاض فيه النحويون من المضارعة بين أسماء الفاعلين والأفعال، ووجوب العمـل والإعـراب باطل لا وجه له".[1] وفي باب الممنوع من الصرف كانت الدعوة أوضح وأكثر تبيانا، حيث إنه طعن على النحاة في علل الممنوع من الصرف وبين فساد رأيهم فيما ذهبوا إليه من تعليل فقال: "زعموا أن وزن الفعل العلة والتأنيث والصفة، وهذه (أرملة) مصروفه وقد اجتمع فيهـا ثـلاث علل مما يمنع الصرف، وزعموا أن التعريف علة، لأن المعرفة بعد النكرة قد صار ثانيا من هذه الجهة، ولم يحتجوا من التعريف إلا بالاسم العلم، وقد بينا وبينوا أن تعريفه قبل تنكيره فلا يصير ثانيا من هذه الجهة"[2] إن كلام ابن الطراوة السابق واضح جلي في طعنه على النحاة في العلل، فضربه الأمثلة قد بين سبب فساد عللهم وأقيستهم ويرى الـدكتور حسـن الملـخ أن آراء ابـن الطراوة لو وصلت إلينا كاملة، لكانت دليلا على ثورته على جوانب من نظرية التعليل والعامـل والقياس فقد دعا-ابن الطراوة-إلى تخليص النحو من آثار المنطق "فهو كثير الخلاف لما عليـه النحاة وقد صنف كتاباً في الرد على سيبويه وعلى الفارسي وعلى الزجاجي، ورد الناس عليـه، ورموه عن قوس واحدة "[3].

وقد أخذ ابن مضاء فكرة رفض العامل والثورة عليه من أستاذه غيـر المباشـر ابـن الطراوة الذي هو أستاذ السهيلي الذي أخذ عنه ابن مضاء "وعرف عن ابن الطراوة الجرأة فـي آرائه النحوية ومحاربته للتقليد والجمود، وقد تكون هذه العلاقة ذات أثر كبير في تفكيـر ابـن مضاء النحوي وما جاء به من جديد في هذا الميدان"[4].

(1) ابن الطراوة، سليمان بن محمد الأندلسي: **رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح**: 49. تحقيق حـاتم صالح الضامن ط2. بيروت: عالم الكتب. 1996م.

(2) ابن الطراوة، سليمان بن محمد الأندلسي: **رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح**: 97.

(3) ينظر الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 199،
والسيوطي، جلال الدين: **الأشباه والنظائر في النحو**: 24/5. تحقيق عبد العال سالم مكرم. بيروت: مؤسسـة الرسـالة. 1985م

(4) السرطاوي، معاذ: **ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية**: 46.

رأي أبي القاسم السهيلي (ت581هـ):

استمد السهيلي نظرته إلى التعليل من خلال آراء أستاذه ابن الطراوة[1]. فالسهيلي قد هاجم نوعاً من العلة النحوية هجوماً عنيفاً وضيق دائرة التعليل، حيث إنه اشترط في العلة الطرد والعكس فقال: "العلة الصحيحة هي المطردة المنعكسة التي يوجد بها الحكم بوجودها ويفقد بفقدانها " وقد ساق على ذلك دليلاً شرعياً حول علة الإسكار في الخمر[2].

لقد كان لآراء السهيلي في قضية التعليل دورها في تخليص النحو من بعض العلل مما ساعد على تسهيله وتيسيره على الطلبة، وإن كانت تلك الآراء نظرية في بعضها فلا أحد ينكر تأثيرها على النحو، وخصوصا أنها جاءت شديدة اللهجة، فهو يبين بوضوح أن تلك العلل فاسدة ويجب تخليص النحو منها، فالسهيلي اقترب نظرياً -على الأقل- من موقف ابن مضاء القرطبي الداعي إلى التخلص من العلل الثواني والثوالث رغبة في التيسير والتسهيل[3]، وقد ظهر ذلك في معرض حديثه عن العلل في باب الممنوع من الصرف إذ يقول "وهذا الباب لو قصر على السماع ولم يعللوه بأكثر من النقل عن العرب لانتفع بنقلهم، ولم يكثر الحشو في كلامهم، ولما تضاحك أهل العلوم من فساد تعليلهم حتى ضربوا المثل بهم فقالوا: (أضعف من حجة نحوي). وتعليلهم لهذا الباب يشتمل على ضروب من التحكم وأنواع من التناقض وفساد في العلل. لأن العلة الصحيحة هي المطردة المنعكسة التي يوجد الحكم بوجودها، ويفقد بفقدانها"[4].

ويلحظ من كلام السهيلي السابق رفضه للعلل الفاسدة التي تسبب أنواع التناقض ويجب الاستغناء عنها لأنها سبب في تعقيد النحو على الطلبة.

إن كلام السهيلي السابق له ماله في مجال تسهيل النحو وتخفيفه وإن كان صاحبه لم يلتزم به بشكل كامل حيث إنه "أولى اهتماماً كبيراً للعلل، ولم يقتصر على الثوالث بل واصل تساؤلاته التعليلية إلى أن وصلت إلى السوادس"[5]، ولعل السهيلي في تقصية للعلل النحوية عملياً بعد أن

(1) السيوطي، جلال الدين: **الأشباه والنظائر في النحو**: 24/5. .

(2) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد ا الأندلسي: **أمالي السهيلي**: 20، تحقيق محمد إبراهيم البنا. ط5. القاهرة.

(3) حسنات، إيمان عبد ا : **أبوعلي الشاوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 185.

(4) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد ا الأندلسي: **أمالي السهيلي**: 19- 20.

(5) ولد أباه، محمد مختار: **تاريخ النحو في المشرق والمغرب**: 251.

رفضها نظرياً كان منطلقاً من مبدأ يعد هذه العلل التي ساقها من باب أنها علل لطيفة، وهي من أسرار هذه اللغة الشريفة[1] لذلك فهي تخدم النحو ولا تعقده أو تصعبه لأنها لطيفة سهلة حسب رأيه.

رأي ابن خروف (ت659هـ)[2]:

ذكر الإمام جلال الدين السيوطي في بغية الوعاة أن ابن خروف ألف كتاباً يرد به على ابن مضاء حين ثار الأخير على نحو المشارقة في كتابه الذي لم يصلنا وهو " تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان "، فألف ابن خروف كتابه المسمى " تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسهو"[3]، فكلام السيوطي السابق إذا أخذ مجرداً فهو يوحي لنا أن ابن خروف كان من المناصرين للعلل النحوية والتعليل النحوي، والحقيقة ربما تبدو غير ذلك، فالمعروف أن ابن خروف كان متأثراً بالمذهب الظاهري الذي ساد الأندلس حينذاك[4]، ولذلك رفض العلل الثواني والثوالث، وأخذ بالعلة الأولى التي لا بد للمتكلم منها، والتي لا تتعارض مع العقل والمنطق السهل[5] أما رده على ابن مضاء فنابع من فكرته حول كتاب ابن مضاء وخوفه على النحو العربي الذي كان يراه في خطر نتيجة ثورة ابن مضاء القرطبي، حيث ظنه ينادي بالقضاء على النحو وتخليصه من محتواه العام[6]. وكذلك عارض فكرة ابن مضاء في قضية العامل النحوي لذلك نراه يبتكر عوامل جديدة غير التي عرفها النحاة[7] ومن ذلك أجازته أن يكون العامل في

---

(1) السهيلي، عبد الرحمن بن محمد الأندلسي: **نتائج الفكر في النحو**: المقدمة.

(2) هو علي بن محمد بن علي الحضرمي الاشبيلي المعروف بابن الضائع، ولد في قرطبة سنة 513 هـ. كان مقرئا مجودا حافظا للقراءات، له في الفقه يد وفي الحديث، ولكنه اشتهر بعلم النحو، أخذ النحو عن أشهر علماء الأندلس، وله مصنفات عدة منها: تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، وشرح على جمل الزجاجي، وشرح على الإيضاح. مات في اشبيلية سنة 609 هـ. ينظر للمزيد حوله، ومصادر ترجمته: الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 265-266.

(3) السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 323/1

(4) الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 191

(5)حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشاوبين وأثره في الدراسات النحوية**: 8. وينظر السيد، أمين: **الاتجاهات النحوية في الأندلس**:522.

(6)الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 191.

(7)و أبو صالح، وائل: **تطور الدرس النحوي بالأندلس**: 280.

الظرف أو الجار والمجرور الواقع خبراً للمبتدأ هو المبتدأ نفسه[1] وعلى الرغم من ابتكار ابـن خروف لعوامل جديدة في النحو إلا أنه كان يرى ضرورة التخلص من المناقشات والجدل الذي لا طائل تحته، ولا فائدة منه، سوى أنه يضيف إلى النحو تعقيداً فوق تعقيد، وهذا ما رفضه ابن خروف ودعا إلى تسهيل النحو على الطلبة من خلال التخلص من تلك المناقشات وذلك الجدال، فهو يورد مناقشة بين الفارسي والزجاجي ثم نراه يعلق على هذه المناقشة، وهذا أسـلوب متبـع عنده، فهو إن رأى شيئاً من تلك المناقشات أوردها في كتبه وعلق عليها[2] وقد أورد ابن خروف تلك المناقشة في كتابه (تنقيح الألباب) فيقول: "وطيء تقول: أفعوا في الوقـف والوصـل، أبـو علي: سمعت أبا إسحاق ينكر أفعى من الوصل بالياء، وقال: لأنه رجوع إلى ما فروا منه، وذلك أنهم قلبوها في الوصل ألفا فرار من الياء. . . ويمضي في ذكر هذه القصة الخلافية التي سببها هو التعليل إلى أن يعلق عليها بالقول: " قلت وهذه جعجعة ولا طحن فيا ليت شعري متى كانت الياء في أفعى ونظائرها عند هؤلاء ألفا ثم ردوها ياء أفي النوم أم في اليقظة؟ وهم لم ينطقوا بها في الوصل والوقف إلا بالياء، ولم يقبلوها وإنما فعلوا ما فعلوا في الوقـف لمكـان الاسـتراحة وقطع النفس فقصدوا البيان في بعض والتخفيف في بعض وما ذكره لا معنى له "[3]. وما كـلام ابن خروف وتعليقه على تلك المناقشة ووصفها بأنها جعجعة إلا دليل بين لا يقبل الشك أو اللبس بأنه كان لا يرضى بالعلل الثواني والثوالث، وتعليقه بقوله: أفي النوم أم في اليقظة؟ يوحي لنـا بالسخرية من كلام السابقين وإقحامهم للتعليل، وبالتالي الجر نحو الخلاف، ورفضه لهذا التعليـل وما ينجم عنه من خلاف بين النحاة، جاء من باب رغبته في التسهيل والتيسير على الطلبة فـي تعلم علم النحو فهو يريد تهذيب النحو العربي من تلك المناقشات والجدل النظري الـذي يعقـد النحو العربي أمام المتعلمين ويدخلهم في متاهات لا تتطلبها معرفتهم لذاك العلم[4].

(1)السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع، **شرح جمع الجوامع في علم العربية**: 98/1.

(2)السيد، أمين: **الاتجاهات النحوية في الأندلس**: 373.

(3)ابن خروف، علي بن محمد: **تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب**: 138. المكتبة التيمورية.

(4) ينظر الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 190 – 191.

رأي ابن الضائع(ت680هـ)[1]:

يعد ابن الضائع من كبار نحاة القرن السابع الهجري الذين لا يرضون العلل النحوية حين تكون سبباً في الخلافات والتقديرات التي لا تفيد، وهو يريد لعلم النحو اليسر والسهولة بعيداً عن هذه الخلافات وتلك التقديرات التي تدخل متعلم النحو في متاهات ومسائل فرضية لا حاجة له بها.

وقد أورد ابن الضائع رأيه في تلك العلل والمناقشات والتقديرات في كتابه الذي شرح فيه كتاب الجمل للزجاجي فكان يورد أحياناً تلك الخلافات والآراء الكثيرة في المسألة الواحدة ثم يعلق عليها ويبين رأيه بكل وضوح فيها، وسنذكر لذلك مثالين لتلك التعليلات والخلافات التي أوردها ونرى بعد ذلك رأيه فيها.

أول تلك الأمثلة جاء في تعريف الإعراب والخلافات التي وردت في ذلك: " الإعراب صوت في آخر الكلمة يوجبه العامل فأيمن ا صوت الضمة في آخره الذي أوجبه الابتداء هو الإعراب، وقد رد الأستاذ أبو علي الشلوبين هذا الرسم على ابن طلحة بأنه قد لا يكون صوتاً ألا ترى أن الجزم في الأفعال المعتلة وفي الأمثلة الخمسة[2] حذف الصوت وكذلك السكون حذف صوت الحركة وأيضاً فالإعراب المقدر ليس بصوت فأصلحه الأستاذ فقال: حكم في آخر الكلمة يوجبه العامل قال: فالحكم يعم هذه كلها[3]، وقد أورد ابن الضائع عدداً من آراء العلماء في مسألة الإعراب ووضح الخلافات والتعليلات والأدلة التي ساقها العلماء، وختم كلامه عنها بقول يبين بوضح رفضه لهذه التعليلات وتلك الخلافات فقال: وهذا هذيان والكلام فيه خروج عن

---

(1) هو علي بن محمد بن يوسف الإشبيلي، المعروف بابن الضائع. ولد في اشبيلية، ودرس العربية والمنطق والفقه، الا أنه اشتهر بالنحو، وكان إماما في العربية وعلومها، صنف الكثير من المصنفات، أشهرها تعليق على كتاب سيبويه وشرح له، وشرح على جمل الزجاجي، وشرح على إيضاح الفارسي. توفي في غرناطة سنة 680 هـ. الفيروز أبادي، مجد الدين: **البلغة في أئمة اللغة**: 169. والهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 264 لمعرفة المزيد حوله، ومعرفة مصادر ترجمته.

(2) الأمثال الخمسة: الأفعال الخمسة.

(3) ابن الضائع، علي بن محمد: **شرح جمل الزجاجي**: 199/1.

التعليم[1]، فكلام ابن الضائع السابق يوضح لنا أن النحو يجب أن يخلو من تلك التعليلات والخلافات التي لا تسهم في تيسير النحو على المتعلم، فهو يريد أن يبقى النحو للمتعلمين الذين يرغبون فيه ولكنهم رغبوا عنه بسبب تلك التعليلات والخلافات التي هي هذيان ولا فائدة منها.

أما المثال الآخر الذي يوضح أن ابن الضائع كان رافضاً للتعليل، والتعمق في مسائل النحو فهو ما جاء في كتابه (شرح جمل الزجاجي) حين علق على ما ذكره ابن عصفور من أن المصدر يذكر والفعل لا يذكر " قال ابن عصفور: ... إن المصدر يذكر وإن كان جنساً بالنظر إلى شخصه وترك أصول الوضع ومدلول الفعل جنس فلا يذكر، وزعم: أن تذكير ضرب بالنظر إلى أنه يراد به المرة"[2].

وكما هو حاله في مثل هذه القضية فقد ذكر صنوف التعليلات التي أوردها العلماء، وعرج على خلافاتهم حول هذه المسألة، وختم حديثه عن هذه التعليلات وتلك الخلافات بقوله "وهذا تعمق وشيء لا يحتاج إليه"[3].

إذا ومن خلال هذين المثالين نلحظ أن ابن الضائع كان يقبل التعليل الذي يكون لحكمة ويرفض ذلك التعليل الذي يكون بعيداً عن إدراك المتعلمين وفهم الدارسين وهو سبب في افتراضات وقضايا خلافية، فالنحو العربي في غنى عنها، لذلك لا عجب أن وصفه بالهذيان مرة، وبالخروج عن التعليم مرة ثانية، وبأنه تعمق لا فائدة منه مرة ثالثة.

رأي أبي حيان الأندلسي (ت745هـ):

هو محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين أبو حيان الغرناطي، كان واسع الثقافة والاطلاع يكتب بلغات متعددة: كالفارسية، والتركية، والحبشية، وغير ذلك. وخير مثال ما قيل فيه قول المقري: "وأما النحو فهو إمام الناس كلهم فيه، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في

(1) ابن الضائع، علي بن محمد: **شرح جمل الزجاجي**: 199/1.
(2) المرجع السابق: 179/1.
(3) المرجع السابق: 179/1.

حياته، وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم " [1] كـان أبـو حيان مالكياً ثم أصبح ظاهرياً وبعدها تشفع بمصر[2] ومع ذلك فهو يصرح بأنه من المحـال أن يعود عن المذهب الظاهر من علق بذهنه[3]، فالمذهب الظاهري وآراء إمامه ابن حزم لا تـزال عالقة في ذهنه ويرفض الاستغناء عنها، ومن تلك الآراء رأيه في النحـو العربـي وتعليلاتـه وعوامله وغير ذلك.

لم يدع أبو حيان النحوي إلى ما دعا إليه ابن مضاء من إلغاء العامل في النحو، ولكنـه صب دعوته على ضرورة ترك الخلافات الناشئة عن هذه النظريـة، ونبـذها والابتعـاد عـن التعليلات غير المفيدة[4]، كما أنه رفض القياس وطرح له بديلاً هو السماع والنقل المأثور الذي هو أجدى لهم وأنفع لذلك فهو يقول: " والنحويون مولعون بكثرة التعليل، ولو كـانوا يضـعون مكان التعاليل أحكاماً نحوية مستندة للسماع الصحيح لكان أجدى وأنفع، وكثيراً ما نطالع أوراقـا في تعليل الحكم الواحد، ومعارضات ومناقشات ورد بعضهم على بعض في ذلـك، وتنقيحـات على زعمهم في الحدود، خصوصاً ما صنعه متأخرو المشارقة على مقدمة ابن الحاجب فنسـأم من ذلك ولا يحصل في أيدينا شيء من العلم " [5]. فالتعليل لا يجدي شيئاً مقابل السـماع الـذي يحقق العلم ويحصل الفائدة المرجوة، لذلك نراه ينفر من تعليلات نحاة المشرق وإسرافهم في هذه التعليلات.

لقد تأثر أبو حيان برأي الظاهريين حين عدوا السؤال عن سبب شيء وضع في الإسـلام بأنـه حرام[6] فهو عد اللغة العربية من الوضعيات التي لا تميل إلى تعليل أو إتيـان سـبب فـي أي ظاهرة منها، فقال عن علم العربية: " إنه من باب الوضعيات العربية ففي الحقيقة لا يحتاج فيـه

---

(1) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**: 295/3

(2) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: 185/4 – 186، دار الجيـل، بيروت/ينظر أمين، أحمد: **ظهر الإسلام**: 94/3، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط6، 1982م.

(3) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: 186.

(4) أبو كتة، محمود: **اثر المذهب الظاهري في منهج أبي حيان الأندلسي**: 39. مجلة جامعة بيت لحم المجلد الثالث. آب 1984م. والحديثي، خديجة: **دراسات في كتاب سيبويه**: 182 – 183.

(5)أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: **منهج السالك إلى ألفية ابن مالك**: 230.

(6)ابن حزم، أبو محمد علي: **الإحكام في أصول الأحكام**: 92/1 – 114.

إلى تعليل كما لا يحتاج في علم اللغة إلى تعليل، فلا يقال لم جاء هذا التركيب في قولـك "زيـد قائم" هكذا، كما لا يقال لم يقال للعين بالطرف، . . . ؟ فهذا كله تعليل يسخر العاقل منه ويهـزأ من حاكيه فضلا عن مستنبطه، فهل هذا كله إلا من الوضعيات، والوضعيات لا تعلل "[1].

ولكي يعزز أبو حيان موقفه من أن الوضعيات لا تعلل، نراه يقوم بمقارنه بين اللغـة العربيـة وغيرها من اللغات مثل الفارسية والحبشية فهو يقول: " ولقد اطلعت على جملـة مـن الألسـن كلسان الفرس ولسان الحبش وغيرهم وصنفت فيها كتبا في لغتها ونحوها وتصريفها واسـتفدت منها غرائب وعلمت باستقرائها أن الأحكام التي اشتملت عليها لا تحتاج إلى تعليل أصلا"[2] وقد ساق مثالا على ذلك حول حروف المضارعة ووجودها في اللغات المذكورة فيقول: "وكما جعلت العرب حروف المضارعة في هذا الفعل جعلت التّـرك (راء) سـاكنة تليهـا علامـة المـتكلم والمخاطب ولا علامة للغائب، فيقولون (كلدي) بمعنى: جاء، فإذا أردت معنـى يجـيء قلـت: (كلر). . . وجعلت الفرس علامة لذلك (ميما) مكسورة ممالة فيقولون: (خودر) بمعنى أكل فاذا أردت يأكل قلت: (ميخورد). . . ووافقت الحبشة العرب في حروف المضارعة: فالياء للغائـب مطلقا غير المؤنثة، فتقول: (محط) بمعنى ضرب فإذا أردت معنى يضرب قلت (يمحط)، والتاء للمخاطب مطلقاً وللغائبة، فتقول: (أنا تمحط) أي أنت تضرب، (وهند تمحط)، والهمزة للمـتكلم وحده، فتقول: (إياه أمحط)، أي أنا أضرب والنون للمتكلم ومعه غيره فتقول: (أنيا نمحـط) أي نحن نضرب.

فأنت ترى توافق اللسان الحبشي للسان العربي في حروف المضارعة، إلا أنهـا فـي اللسـان الحبشي مكسورة كما مثلنا. وإذا تقرر الخلاف في الألسن من حروف المضارعة وفي غيرهـا أيضا، فكيف يمكن أن علة في اختصاص كل لسان بهذا الحرف الذي وضع للمضـارعة فيـه، وهل ذلك إلا فضول من القول لا يحتاج إليه، وتَخَرصٌ على اللغات لا يعول عليه".[3]

---

(1) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف **الأندلسي: منهج السالك إلى ألفية بن مالك**: 230.

(2) أبو كتة، محمود: **أثر المذهب الظاهري في منهج أبي حيان الأندلسي**: 40 (نقلا عن منهج السالك).

(3)أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **منهج السالك إلى ألفية بن مالك**: 271

وفي حديثه عن المضمرات واختلاف العلماء في ذلك يقول: "وهذه التعاليل لا يحتاج إلى إليها لأنها تعليل وضعيات، والوضعيات لا تعال " [(1)]، ومن مظاهر رفض أبي حيـان للتعليـل النحوي ما أبداه من تعجب حين قدم مصر فوجد أن كثير من أهلها قد اشتغل بالفلسفة والمنطق، وأن أهل الأندلس لم يكونوا يتجاسرون (يجرؤون)على التصريح بلفظ المنطق بل كانوا يسـمونه "المفعل" خفية[(2)].

ولم يكن أبو حيان وحده من رفض تلك التعليلات المنطقية في النحو، بل كـان بعـض شيوخه من أهل المغرب يحذرون من الأخذ بعلل النحو الممزوجة بالفلسفة والمنطق، وبخاصـة تعليلات الرماني، والوراق، اللذين أسرفا في الأخذ بالعلل المستوحاة من علم المنطـق[(3)] فهـو يقول نقلاً عن شيوخه في المغرب: "إياكم وتعاليل الرماني والوراق ونظرائهمـا، وكثيـراً مـا شحنت الكتب بالأقيسة الشبيهة، والعلل القاصرة، وهي التي لا يعجز عن إبداء مثلها من له أدنى نظر في الحالة الراهنة، ولا يحتاج في ذلك إلى إمعان فكر، ولا إكدار بصيرة، ولا حث قريحة، ولذلك قال بعض الأدباء: (السريع)

ترنو بطرفٍ فاترٍ فاترٍ　　　أضعفُ من حجةِ نَحوي[(4)]

ومن سبل أبي حيان لتيسير النحو العربي والمنطوية تحت رفضه لعلة النحو رفضـه لخلافـات النحاة، التي كان يرى فيها سببا من أسباب صعوبة النحو العربي، وإدخاله في متاهات لا حاجة له بها، فهو يقول عن اختلاف النحاة في أصل إعراب الاسم والفعل المضارع: " ليس فيه كبيـر

(1)السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع، **شرح جمع الجوامع في علم العربية**: 56/1. بيـروت. لبنـان: دار المعرفـة للطباعة والنشر.

(2) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**: 149-150 بيروت: دار الفكر.

(3) الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 205 و60- 61 عمان: دار الشروق، 2000م.

(4)الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 205 (نقـلا عـن خديجـة الحـديثي: المدارس النحوية: 419-420).

وأبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **منهج السالك إلى ألفية بن مالك**: 230.

منفعة"[1] وهو يقول أيضا عن هذا الموضوع: "لأنه خلاف في علة وأما الحكم فهو أن الإعراب دخل في المضارع كما دخل في الاسم"[2] وقد وصف الخلاف في أصل المشتقات بأنه غير ذي منفعة ولا جدوى فيه.[3] وذكر أيضا خلاف النحاة في ناصب المستثنى وبين " أنـه لا يجـدي كبيرة فائدة، وهو كالخلاف في رافع المبتدأ والخبر، ورافع الفاعل وناصـب المفعـول وإنمـا الخلاف الذي يجدي هو فيما أدى إلى حكم لفظي أو معنى كلامي"[4]. وكان أبو حيان يـؤمن أن العوامل وبحثها لا يحقق فائدة علمية كبيرة، ورفض كذلك في سبيل تيسير النحـو الاحتمـالات الإعرابية[5]. ومن الخلافات التي رفضها أبو حيان وعلق عليها، لأنها عديمـة الفائـدة رفضـه الخلاف في أصل الإعراب أهو في الاسم أم في الفعل[6].

أما موقف أبي حيان من قائد الثورة على العلل النحوية، وزعيم مدرسة التسـهيل، ابـن مضاء القرطبي فيظهر لنا مدى تأثره بمذهب الظاهر الذي قام على أساس التسهيل والتخفيف في النحو والفقه على السواء. فأبو حيان قد أعجب بابن مضاء وأشاد بما دعا إليـه مـن ضـرورة التخلص من العلل والتعليل فهو يقول: "لقد اطلعت على جملة من الألسن، كلسان الترك ولسـان الفرس ولسان الحبش وغيرهم، وصنفت فيها كتبا في لغتها ونحوها وتصريفها واسـتفدت منهـا غرائب، وعلمت باستقرائها أن الأحكام التي اشتملت عليها لا تحتاج إلى تعليل أصلاً، وأن كـل تركيب كلي يحتاج فيه إلى نص من السماع، وأنها لا يدخلها شيء من الأقيسة، وإنما يقال مـن ذلك ما قاله أهل ذلك اللسان. ولم أر أحدا من المتقدمين نبه على إطراح هذه التعاليل إلا قاضـي الجماعة الإمام أبا جعفر أحمد بن مضاء صاحب كتاب (المشرق في النحو) فإنه طعـن علـى المعللين بالعلل السخيفة ورد عليهم ما شحنوا به كتبهم من ذلك. وكان ابن مضاء مـن مقرئـي

---

(1) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **ارتشاف الضرب من لسان العرب**: 413/1 – 414. تحقيق مصطفى أحمد النماس. ط1. القاهرة. 1984.

(2) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **التذيل والتكميل في شرح التسهيل**: 126/1. تحقيق حسن هنـداوي. ط1. دمشق: دار العلم. 1997م.

(3)الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 207 (نقلا عن همع الهوامع للسيوطي).

(4)أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **ارتشاف الضرب من لسان العرب**: 300/2.

(5)الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 208.

(6) ينظر: الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 195 – 196.

كتاب سيبويه والمعتنين بطريقته، وكان من آخر من ختمت بهم المائة السادسة من علماء هـذه الملة رحمه ا [1].

ونختم كلامنا عن التعليل عند أبي حيان، بأنه نفر من التعليل النحوي وحاول أن يخفـف من تغلغله إلى النحو في جوانب لا فائدة مرجوة منها، فهو أخذ من المذهب الظاهري ما يتمشى مع منهجه ورغبته في تيسير النحو وتسهيله[2] وما اختصاره لكتاب " التذييل والتكميل في شرح التسهيل " إلا دليلاً على رغبة في نفسه من أجل التيسير والتسهيل، فجاء كتابه ارتشاف الضرب جامعاً لأحكام التذييل والتكميل، عارية إلا في النادر من التدليل والتعليل[3] وكذلك موقفـه مـن التعليل كان مبنياً في الأصل على رغبته في التسهيل والتيسير لطلاب عصره وأهل زمانه.

دعوة مبطنة إلى ترك العلل الثواني والثوالث

رأيت في الصفحات السابقة أن عدداً من العلماء رفضوا العلة النحوية الجدلية والفلسفية رفضاً صريحاً واضحاً، وكان أكثرهم صراحة ابن مضاء وتبعه ابن خروف، وابـن الضـائع، وأبو حيان الذين نصوا على ضرورة التخلي عن تلك العلل النحوية الثـواني والثوالـث منهـا، فجاءت دعوتهم عنيفة أحياناً وبالحكمة أحياناً أخرى ولم يكن هؤلاء العلماء وحدهم من دعا إلـى التخلص من العلل الثواني والثوالث، والاكتفاء بالعلة الأولى التعليمية بل تبعهم علماء ثاروا على العلة النحوية بطريقة مبطنة، وكان من أشهر هؤلاء النحاة أبو بكر الزبيدي الـذي ألـف كتابـاً تعليمياً هو كتاب "الواضح في العربية "وكذلك أبوعلي الشلوبين الذي ألف كتاباً أسماه التوطئـة، فهذان العالمان لم تكن دعوتهما صريحة إلى نبذ التعليل والتخلص منه ومن خلافاته، بل جـاءت دعوتهم مبطنة في ثنايا كتبهم، فهما قد رفضا العلة النحوية، وبخاصة الثواني والثوالـث دون أن يصرحا بذلك، فقد جاء كتاب الواضح في العربية خالياً من العلل الثواني والثوالث[4] ومع ذلـك فهو لم يخل من العلل الأولى أو التي اسماها العلماء العلل التعليمية "لأنها تهدف إلـى إيضـاح

(1) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **منهج السالك إلى ألفية بن مالك**: 230-231

(2) الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 209

(3) الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 198

(4) العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 203.

الحكم ولا تقتصر لذاتها أو رغبة في إظهار مقدرة على استنباطها، كمـا كـان شـأن النحـاة المشارقة في عصره"(1) فعلل الزبيدي كانت تشبه علل الخليل أي أنهـا بعيـدة عـن الصـبغة الفلسفية.

لقد جاء كتاب الزبيدي ثائراً على العلة بعدم استخدامها وعدم الاعتـراف بهـا، وكـأن الزبيدي يريد لتلك العلل أن تموت وتندثر في كتب السابقين لأنها لا تفيد النحو العربـي بشـيء سوى التعقيد والخلافات، فأنت إن أهملت شيئاً تكون رافضاً له، ولا ترغب فيه فكيف إن كـان هذا الشيء منتشراً بين العلماء والناس، فعدم استخدامك له وإهماله يعني أنك ترفضه ولا ترضى به، وهذا ما فعله الزبيدي حيث لم يستخدم التعليل والعلل الثواني والثوالث، فبدا رفضـه قويـاً مبطناً بأسلوب حكيم خال من الهجوم على الموروث القديم.

أما أبو علي الشلوبين فقد جاءت دعوته مبطنة في كتابه "التوطئة" حيث جانب استخدام هذه العلل أو التوسع فيها واكتفى قدر الإمكان بالتعليل البسيط المقبول، فهو كالزبيدي أهملهـا لعـل هـذا الإهمال يخفف من صعوبة النحو، ويقلل من مشاكله.

ألحظ مما سبق ذكره حول آراء بعض العلماء الأندلسيين أنهم انتقدوا العلة النحوية" متأثرين في ذلك بالمناخ المعادي للفلسفة والنظر العقلي إلى ما وراء الظاهرة أيا كانت"(2) ويبدو أن علمـاء الأندلس حين رفضوا العلل الثواني والثوالث في النحو العربي كان يدفعهم لذلك سـبب واضـح وجلي يتمثل في محاولتهم لتيسير النحو العربي(3) وتهذيبه لذلك دعوا إلى ترك العلل وما ينـتج عنها من خلافات وقياسات لا تجدي شيئا حتى يكون النحو في متناول دارسية خاليا من العلـل والتعليل.

كما أن علماء الأندلس كانوا متأثرين إلى حد بعيد بالمذهب الفقهي السائد في بلادهم وهو المذهب الظاهري الذي نادى بالأخذ بظاهر النص وترك التعليل، لذلك فهم وجدوا فيه محاولـة

---

(1)العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 203.

(2) الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: 209.

(3) الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 198.

جادة لخلق شخصية مستقلة للنحو في بلاد الأندلس مماثلة -إن لم تفق- شخصيته المستقلة في المشرق العربي[1].

وختام القول في هذا المقام أطرح تساؤلا لا بد منه وأحاول أن أجيب عنه، وهو: **لماذا لم تنجح دعوة ابن مضاء القرطبي وغيره من العلماء الذين دعوا إلى ترك التعليل وتسهيل النحو؟؟ ولماذا بقيت هذه الدعوة صرخة في واد؟؟**

إن الإجابة عن هذا السؤال تتلخص في النقاط الآتية:

1. **إن دعوة علماء الأندلس إلى ترك التعليل كانت دعوة عملية عند بعضهم ونظرية عند بعضهم الآخر:** فابن مضاء والزبيدي وغيرهما، كانت دعوتهم عملية قولا وتطبيقا، حيث جانبا التعليل والعلل الفلسفية والمنطقية، وكانت دعوة نظرية فقط عند آخرين مثل دعوة السهيلي، وابن الطراوة اللذين دعوا بصراحة إلى ترك التعليل ومع ذلك فقد أخذا به، ومع ذلك فهذا لا ينقص من دور علماء الأندلس في تخليص النحو العربي من بعض علله فالدعوة النظرية قد تؤتي أكلها بشكل واضح وبين حتى ولو لم يفعل بها صاحبها، فكم من سامع هو أوعى ممن بلغه ونصحه. فنصيحة العلماء الأندلسيين إلى ترك التعليل لا يمكن إغفالها أو الانتقاص من أثرها، وليس أدل على ذلك من هذا الصدى الذي أحدثته هذه الدعوة عند العلماء المحدثين، فظهر من نادى بتطبيق رأي ابن مضاء وإعادة تشكيل النحو من جديد[2]، ومنهم من دعا إلى عدم الخلط بين مسائل النحو، ومسائل علوم أخرى كالفلسفة والمنطق والفقه بما تحوي من قياسات ومصطلحات وتوجيهات[3]، ومنهم من رأى في نظرية العامل منطلقاً للتقعيد والتأويل والتعليل وبخاصة في

---

(1) الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 198.

(2) ينظر القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**: 46 وما بعدها، المقدمة للمحقق شوقي ضيف.

(3) ينظر: الراوي، طه: **نظرات في اللغة والنحو**: 43. بيروت. ط1: منشورات المكتبة الأهلية. 1992م. الجواري، أحمد عبد الستار: نحو التيسير - **دراسة ونقد منهجي**: 60. مطبعة المجمع العلمي العراقي. 1984م.
المخزومي، مهدي: في النحو العربي، **نقد وتوجيه**: 14. ط2. بيروت: دار الرائد العربي. 1986م.

الكتب المدرسية. [1]وغيرها من الدعوات التي تنادي أن خلصوا النحو من أيدي النحـاة ومـن الكتب النحوية العقيمة في الأسلوب [2]

2. **تقديس النحو المشرقي القديم وعدم المقدرة على تجديده أو تغييره:** لقد وجد ابـن مضـاء وغيره ممن نادوا بالتجديد في النحو العربي أمامهم كماً هائلا مـن الآراء النحويـة المشـرقية القديمة والمقدسة في نظر الأندلسيين، لذلك فتغييرها ربما يكون صعبا، بل حتى الثورة عليها قد يخالطه الكفر والشرك والردة، لان واضعيها كانوا من كبار النحاة، أمثال سـيبويه الـذي عـد الأندلسيون كتابه "قرآنا" وابن جني، والمبرد وغيرهم من فحول النحو العربي، الذين لا يجـرؤ أحد على التعرض لهم، أو النيل من آرائهم أو انتقاصها، فهم من أرسى قواعد النحـو وسـنّوا سننه، وأوجبوا أحكامه وفرائضه.

3. **عدم فهم المقصود من تلك الدعوات وخاصة دعوة ابن مضاء**: لم يكن بعض العلماء يعـي هذه الدعوة بشكل سليم، أو حتى يدرك المغزى منها، ما أوجد تناقضا وتعارضا بين العلماء فـي بلاد الأندلس، وبخاصة أن ابن مضاء لم يضع للنحو بديلاً عن الذي طالب بهدمه وتخليص النحو منه، فهذا ابن خروف لم يفهم دعوة ابن مضاء حين ثار على العامل، وظنه يريد هـدم النحـو العربي كما هدم الفقه من قبل فألف كتابا يرد عليه حين أعلن ثورته، وان كان ابن خروف قـد وافق ابن مضاء في بعض آرائه.

4. **شخصية ابن مضاء نفسه:** كانت شخصية ابن مضاء المتعصبة للفكـر الظـاهري وغيـر الراضية عن وجود أي مذهب غير الظاهري في الأندلس من الأسباب التي تقـف وراء فشـل الدعوة وعدم ذيوعها وانتشارها، فابن مضاء كان قاضيا في دولة الموحدين، وبالتالي فهو مـن

(1) ينظر: مصطفى، إبراهيم: **إحياء النحو**: 22-42. ط3. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. 1992م. المخزومي، مهدي: **في النحو العربي، نقد وتوجيه**: 15. والسامرائي، إبراهيم: **النحو العربي نقد وبناء**: 61، 195. بغداد: دار الصـادق. 1968م. وعمر، أحمد مختار: **البحث اللغوي عند العرب**: 104. و الخولي، أمين: **مناهج التجديد في النحو والبلاغـة والتفسير والأدب**: 41. ط1. دار المعرفة. 1961م.

(2) للمزيد حول هذه الدعوات ينظر: داود، عبير محمود شريف: **دور شروح الألفية في تيسير النحو العربي**: 42 ومـا بعدها. والعابد، فضل: **الفكر الظاهري وأثره في النحو العربي**: 90 وما بعدها. والحديثي، خديجة: **دراسات في كتـاب سيبويه**: 184 وما بعدها

أصدر الأوامر بالأخذ بالظاهر وترك غيره، مما أوجد لدى الناس شكا فيه وفي دعوته، لأنه يريد فرضها بالقوة، وليس بالحجة والمنطق. (1)

5. **انتهاء الفكر الظاهري في الأندلس وموت ابن مضاء:** كان المذهب الظاهري مذهب ثورة ورفض لكل قديم في النحو والفقه، فهو قد مس بعض المقدسات لدى الناس، لذلك فقد تعرض لنقمة الناس والدولة بعد زوال دولة الموحدين المدافعة عنه وناشرته في بلاد الأندلس، فأحرقت كتب ابن حزم إمام هذا المذهب، وتعرض أنصاره للمضايقات، وضاعت كتب رجاله وأئمته، وبخاصة كتب ابن مضاء، وذلك بعد موته قبل أن يكمل مشواره الثوري فهو قد وضع ثلاثة مصنفات لم يصل منها غير واحد هو " الرد على النحاة "(2).

6. **خروج المسلمين من الأندلس وضياع كتبهم هناك:** خرج المسلمون من بلاد الأندلس، تاركين وراءهم أجمل البقاع، وأفضل البلاد، خرجوا منهزمين على يد الصليب الكافر، فاستولى الفرنجة على كل ممتلكاتهم وأقاموا لهم ما عرف بالتاريخ بـ " محاكم التفتيش "، وقد دمر الفرنجة كل عربي مسلم، وكانت الكتب والمخطوطات العربية من أهم الأشياء التي عبثت بها أيديهم وخربوها وأحرقوها، فضاعت كتب ابن مضاء وغيره، ويرى الدكتور محمد عيد أن ضياع كتب ابن مضاء وغيره من علماء المذهب الظاهري يعود إلى استيلاء الروم على المرية في عهد الموحدين، حيث أشاعوا الخراب والدمار، ودمروا المخطوطات العربية التي وجدوها(3).

---

(1) ينظر: العابد، فضل: **الفكر الظاهري وأثره في النحو العربي**: 34.

(2) الكتابان الآخران هما: المشرق في النحو، وتنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان. السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 323/1. أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **منهج السالك إلى ألفية بن مالك**: 230-231

(3) عيد، محمد: **أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث**: 48.

الفصل الخامس

نظم الشعر النحوي التعليمي

الفصل الخامس

نظام الشعر النحوي التعليمي

أسلوبا آخر من أساليب تيسير النحو وتسهيله، تمثل في نظم قواعد النحو العربي شعراً، ويمكن القول: بإن علماء الأندلس برعوا في هذا الأسلوب بشكل لافت للنظر، وهذا ليس غريبـا عليهم، فهم قد طوروا الشعر العربي من خلال الموشحات الأندلسية، التي تفننوا فيها ووضـعوا لها القواعد والأحكام والشروط، ولم يكن الشعر التعليمي النحوي في الأندلس أقل حظاً من غيره من العلوم، إن لم تفق العناية به غيره من فنون الشعر عندهم.

مقدمة تاريخية:

شكلت قضية وجود الشعر التعليمي في الأدب العربي مصـدر خـلاف بـين العلمـاء والباحثين فهو شعر يهدف إلى تعليم الناس شؤون حياتهم، واطلاعهم علـى الماضـي البعيـد والقريب، والبحث في القضايا والأحكام الدينية والتاريخية وغيرها، لذلك فقد كان للعلمـاء فيـه آراء، وبخاصة حول النشأة والوجود، فهل هو شعر عربي محض، أم أنه شـعر دخيـل علـى العربية، عرفته هذه اللغة بعد اتصالها بغيرها من الأمم والشعوب وامتزاج الثقافات في الدولـة العربية الإسلامية؟؟

لقد ذهب فريق من العلماء ومنهم أستاذنا وائل أبو صالح إلى أن هذا الفن عربي أصـيل عرفته الجاهلية أيام زهير بن أبي سلمى حيث أرخ لحرب داحس والغبراء، وبعدها تثاقل سـيره لفترة من الوقت، ثم عاد ظهوره نشيطاً في أواخر الدولة الأموية على لسان رؤبة بـن العجـاج ووالده العجاج(1).

وقد تحمس أستاذنا إلى رأيه ودافع عنه أشد الدفاع، فهو يرى أن هذا الشعر عربي غير متأثر لا بالشرق ولا بالغرب، وما هذه الحجج والأدلة التي يسوقها بعضهم لإثبات غير ذلك مـا هي إلا من المستشرقين الذين استكثروا أن ينسب لهذه الأمة-بعد ضعفها – أي عمل مجيد، فقـد

(1) أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 60. مجلة هدى الإسلام. العاشر. القدس. 1986م.

قالوا من قبل بتأثر النحو العربي منذ نشأته بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي، وتأثر الموشحات الأندلسية بشعر يهود إسبانيا، حتى وصل الأمر بهم أن يصفوا الفقه الإسلامي بالتأثر بالقانون الروماني القديم نصاً وروحاً[1].

وذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن هذا الشعر هو عربي وظهر ذلك في كتابه " التطور والتجديد في الشعر الأموي "، حيث يعد هذا الشعر أنه شعر عربي النشأة في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل الثاني، أو قل أواخر دولة الأمويين. . إذ أن أراجيز الرجاز وبخاصة رؤبة والعجاج قد كانت متوناً لغوية، وبالتالي فهو النواة والبذرة التي انبنى عليها الشعر التعليمي في جانب الكلام المنظوم، وتطور في جانب النثر فكانت المقامات. . . ويقول أيضا: "ونحن نؤمن بأن هؤلاء الرجاز-وفي مقدمتهم رؤبة- هم الذين أعدوا شعراء العصر العباسي لا للشعر التعليمي فحسب، بل لاقتباسهم للغريب في أشعارهم، فالغريب أصبح جزءا مهما في مادة الشعر عند الشعراء الممتازين من أمثال بشار وأبي نواس وأبي تمام. . . " [2]

ويقول عن رؤبة وعن أبيه العجاج: "والإنسان لا يلم بديوانيهما حتى يقطع بأنهما كانا يؤلفان أراجيزهما قبل كل شيء من أجل الرواة، ومن أجل أن يمداهم بكل غريب، وكل أسلوب شاذ، ومن هنا كنا نسمي هذه الأراجيز متونا لغوية، وقد بلغت هذه المتون صورها المثالية عند رؤبة، فهو النمو الأخير لهذا العمل التعليمي الذي أرادته المدرسة اللغوية من جهة، والذي استجاب له الرجاز من جهة أخرى. ولعل هذا ما جعل اللغويين يوقرونه أعظم التوقير، فأبو الفرج يقدمه في ترجمته بقوله: "أخذ عنه وجوه أهل اللغة: وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً" [3] ويقول الدكتور ضيف: "والأرجوزة الأموية من هذه الناحية تعد أول شعر تعليمي ظهر في

(1) أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 61، وينظر: أبو طالب، صوفي: **تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد العربية**: 93-95. مصر. 1977م.

(2) ضيف، شوقي: **التطور والتجديد في الشعر الأموي**: 352 ط. 5. مصر: دار المعارف. 1978.

(3) المرجع السابق: 345

اللغة العربية". . [1] ويقول: ". . . ومهما يكن فقد ألهمت الأرجوزة الأموية الشعراء في العصر العباسي أن يقوموا بنظم شعرهم التعليمي، كما ألهمت أصحاب النثر وضع المقامة"[2].

وأيد الدكتور شوقي ضيف الدكتور صالح آدم بيلو في أن هذا الشـعر عربـي النشـأة، وذهب إلى أن هذا الشعر موجود في الجاهلية وبكثرة مفرطة، وساق علـى ذلـك مـن الأدلـة الكثير[3].

ويذهب والدكتور طه حسين إلى أن أبان بن عبد الحميد اللاحقي هو مبتكر هذا الفن في الأدب العربي إذ يقول: "يظهر أن أبان هو أول من عني بهذا الفن"[4].

وفي موضع آخر يقول عنه: ". . . . فهو إمام طائفة عظيمة من الناظمين، نعنـي أنـه ابتكر في الأدب العربي فناً لم يتعاطه أحد من قبله وهو فن الشعر التعليمي"[5].

وفي المقابل كان بعض العلماء والباحثين يرى أن هذا الشعر ظهر في وقت متأخر فـي الفترة العباسية بعد أن اتصل العرب بغيرهم واطلعوا على آراء الهنـود وتـراثهم[6]، ويـرى بعضهم الآخر أنه من مكتسبات الثقافة اليونانية[7].

أما الدكتور محمد قاسم نوفل فيرى أنه تأثر بالثقافتين اليونانية والهندية، " فاليونان قـد عرفوا الشعر التعليمي ونظموا فيه لاسيما فيما يتعلق منه بتاريخ آلهتهم وبحيـاتهم الاجتماعيـة وبحروبهم[8].

---

(1) ضيف، شوقي: **التطور والتجديد في الشعر الأموي**: 348

(2) المرجع السابق: 353

(3) بيلو، صالح آدم: **حول الشعر التعليمي (1)**: 207، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. 52. 1401 هـ.

(4) حسين، طه: **من حديث الشعر والنثر**: 286. القاهرة: مطبعة الصاوي. 1936م.

(5) حسين، طه: **حديث الأربعاء** 220/2. القاهرة: دار المعارف. 1974.

(6) ينظر: أمين، أحمد: **ضحى الإسلام**: 246/1. القاهرة: مطبعة لجنة التـأليف. 1936 م. وفيصـل، شـكري: **منـاهج الدراسة الأدبية**: 108. ط. 3. بيروت: دار الملايين 1973. وهدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشـعر فـي القـرن الثاني**: 355. القاهرة: دار المعارف. 1963 م.

(7) الجواري، أحمد عبد الستار: **الشعر في بغداد في القرن الثالث الهجري**: 250. بيروت: دار الكشاف.

(8) نوفل، محمد قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**: 279-280. نابلس: مطبعة النصر.1981 م.

إن هذا الشعر عربي محض ولا علاقة له لا باليونان ولا بالهند، فربما يكون قد تطـور وزاد تطوره وتنوعت موضوعاته بعد اتصال العرب بثقافات غيرهم، فهذه سنة العلـوم جميعـاً يفيد بعضها من بعض فلا أحد يستطيع إنكار تأثير العلوم في بعضها، فالخمريات وشعر اللهـو والمجون وغيرها من الموضوعات كانت موجودة في الجاهلية، ولا يسـتطيع أحـد أن يـزعم ابتكارها أو اختراعها ومع ذلك فقد طرأ عليها تغير وتطور تمثل في الصور الفنيـة، والحركـة والألوان وغير ذلك. والأمر نفسه حصل مع الشعر التعليمي حيث أن نشأته لا غبار عليها فهـو عربي جاهلي أو إسلامي والأدلة في تراثنا العربي كثيرة متنوعة، فهذه قصيدة للشاعر عدي بن زيد نظمها في منشأة الخلق وقصة آدم وحواء وهبوطهما من الجنة فهو يقول في بعض أبياتهـا: (البسيط)

اسمع حدِيثاً كما يـومـاً تُحـدثُـه — عن ظَهـر غَيـبٍ إذا مـا سـائِلٌ سـألا
أن كيـفَ أبـدى إلـه الخَلـق نِعمتَـه — فِينـا، وعرفَنـا آياتِـه الأولا
كانَـتْ ريـاحٌ ومـاءٌ ذو عرانِيـةٍ — وظلمـةٌ لـم تَـدع فَتْقـاً ولا خَلَـلا
وأبسـطَ الأرض بسـطاً ثُـم قـدرها — تحتَ السـماءِ سـواء مِثْـلَ مـا فَعـلا

ثم استمر الشاعر يتحدث عن خلق حواء وإسكانها مع زوجها الجنة، ونهيهما عن أكل الشـجرة، إلى أن أخذ يتحدث عن العقاب الذي أنزل بالحية جزاء ما أغوت آدم وزوجه، فيقول:

فلاطهـا اللّـه إذ أغـوت خليفتـه — طوال الليالي ولـم يجعـل لهـا أجـلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عـمرت — والتـرب تأكلـه حزنـاً وأن سـهلا [1]

وينظم عدي قصة الزباء وجذيمة وقصير، تلك القصة التاريخية المشهورة: (الوافر)[2]

(1) الجاحظ، أبو عثمان: **الحيوان:** 197/4 – 199، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون. بيروت. لبنان: دار الجيل. 199م

(2) انظر القصة بيروت. لبنان: دار الجيل. 1996م في: الطبري، ابن جرير: **تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك** -: 31/2 – 36. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف. 1979 م. والمسعودي، أبو الحسن: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: 290/2. طبعة دار التحرير. والميداني، أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**: قصة المثل. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر. 1972 م والفندي، محمد ثابت: دائرة المعارف الإسلامية: مادة (تدمر). طهران: انتشارات جهان. 1933م.

ألا أيها المثري المرجى ... ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقة الأمراء يوماً ... جذيمة عام ينجوهم ثُبينا
فلم ير غير ما ائتمروا سواه ... فشدّ لرحله السفر الوضينا
فطاوع أمرهم وعصى قصيراً ... وكان يقول لو نفع اليقينا (1)

وتمثل هذه الأبيات من الشعر التعليمي الجاهلي دليلا واضحا على ما ذهبنا إليه من وجود هذا الشعر في العصر الجاهلي، والأمثلة متنوعة وكثيرة في هذا المجال، فمن الشعراء من نظم في حقائق الفنون والعلوم ومنهم الشاعر الجاهلي الأخنس بن شهاب في قصيدته التي يذكر فيها مساكن بعض القبائل(2). ومنهم من نظم شعراً تعليمياً في العقائد والأخلاق، وأشهر شعرائه أميه بن الصلت، وزهير بن أبي سلمى وغيرهما(3).

وقد بلغ هذا الشعر أوجه في العصر الأموي وما بعده من العصور الإسلامية، ونظم الشعراء في شتى الفنون والمعارف شعراً تعليمياً، حيث يروي لنا المسعودي في مروج الذهب أن حكيم آل مروان خالد بن يزيد بن معاوية الذي اشتهر باهتمامه بالكيمياء قد وضع منظومة في هذه الصناعة، ذكر فيها طريقة تحويل المعدن الخسيس إلى جوهر نفيس، يقول فيها. (الهزج)

خُذ الطّلْقَ مع الأشْق ... وما يوجد في الطّرق
وشيئاً يشْبه البرق ... فدبره بلا حرق
فإن أحببتَ مولاكا ... فقد سُدتَ في الخَلق (4)

(1) ينظر بقية القصيدة في: ابن قتيبة، أبو محمد: **الشعر والشعراء**: 227. تحقيق الشيخ أحمد شاكر. بيروت: دار الثقافة. 1964م.

(2) الضبي، المفضل: **المفضليات**: 203. تحقيق الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون. القاهرة: مطبعة المعارف. 1942م.

(3) بيلو، صالح آدم: **حول الشعر التعليمي** (1): 209.

(4) المسعودي: **مروج الذهب**: 514/2

ولما كان لعلم النحو منزلة رفيعة عند العرب، فقد اهتموا فيه بشتى الوسـائل والطـرق وتفننوا في الحديث عنه، وكان الشعر التعليمي النحوي وسيلة مهمة من وسائل الاهتمـام بعلـم النحو، حيث تروي لنا المصادر التاريخية أن للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ ـ) قصـيدة منظومة في النحو العربي، وهي من أقدم المنظومات النحويـة، وقـد ذكـر خلـف الأحمـر (ت180هـ) هذه المنظومة حيث قال: وحروف النسق خمسة وتسمى حـروف العطـف. وقـد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو: (الكامل)

فانْسـقْ وصِـلْ بِـالواوِ قولَـك كُلَّـه ... وبلا وثُم وأو فَلَيـسـتْ تَصـعـب
الـفَـاء نَاسـقَةٌ كَـذَلِـك عِـنْـدنَـا ... وسـبِيلُها رحـب المـذَاهِبِ مشـعب

ومهما يكن من شك في نسبة هذه القصيدة للخليل، وبصرف النظر عن سمعة خلف بن الأحمر وأمانته العلمية، وبغض النظر عن كل ذلك فإن هذه المنظومة مازالت تعد أول منظومة في النحو في ذلك الوقت المبكر.

ثم تتابعت بعدها المتون المنظومة، فنظم أحمد بن منصور اليشكري (ت370هـ) أرجوزة في النحو، عدد أبياتها ثلاثة آلاف إلا تسعين، تناول فيها – فيما تناول – الخلاف في وزن " غزاة " و" رماة " و" قضاة " ونحوها، وهل هي على " فُعلة " أو " فَعلة " أو " فُعل " ؟، وقد قال في مطلعها (الرجز)

والـوزن فِـي الغُـزاةِ والرمـاةِ ... فـي الأصـل عِنْـد جماـةِ الـرواةِ
فُـعـَلَةٌ ليـس لهـا نَظِيـرٌ ... في سـَالِمٍ مِـن شَـأْنِهِ الظُهـور
وآخـرون فِـيـهِ قَـالوا فَـعلَةٌ ... كَمـا تَقُـولُ فـي الصـحِيحِ جمـاةُ

ثم صنف الحريري المتوفى سنة (516هـ) أرجوزته النحوية " ملحة الإعراب وسنحة الآداب " في ثلاثمائة وخمسة وسبعين بيتاً، منها: (الرجز)

أقولُ مِن بعدِ افتتاحِ القول	بِحمدِ ذِي الطول شَديدِ الحول
ياسائِلِي عن الكلامِ المنْتَظَمِ	حداً ونَوعاً وإلى كَم ينْقَسِم
اسمع هدِيتَ الرشْد ما أقولُ	وافْهمه فَهم من له معقولُ
حد الكلامِ ما أفاد المستَمِع	نَحو: سعى زيدٌ وعمروٌ متّبع

الشعر التعليمي في الأندلس:

صاحب ظهور الشعر التعليمي في الأندلس، خلافاً حول بداياته، فهو كغيره من العلـوم كانت بدايته مجهولة، ولا يوجد دليل واضح وقاطع حول أول من قاله أو ابتدعه في الأنـدلس، فهو في هذا يشترك مع الموشحات الأندلسية التي مازالت بداياتها وأول من قال فيهـا مجهولـة وغير معرفة(1)، غير أن بعض المصادر التاريخية تنسب أقدم أرجوزة فـي الشـعر التعليمـي لأحمد ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328) حيث جاءت هذه المنظومة في مدح الخلفية عبد الرحمن الناصر، بلغت حوالي أربعمائة وخمسين بيتاً، وصف فيها غزوات الناصر وحروبه وتاريخ تلك الغزوات والحروب(2). لذلك كانت هذه الأرجوزة أو المنظومة "أشبه بكتاب منظوم قصره علـى مغازي الناصر من غير أن يتطرق إلى النواحي العمرانية التي قام بها الناصر"(3).

ونلحظ من هذه المنظومة أنها كاملة ومتكاملة ناضجة، وهذا يعني أنها ليسـت الأولـى وليست وليدة لحظة بل لابد وأن يكون قد سبقها كثير من المنظومات التي وضعها العلماء وأفاد منها ابن عبد ربه حتى أخرج منظومته بهذه الدقة والمتانة. وبعد ذلك بدأت المنظومـات تحتـل موقعاً مميزاً من اهتمام علماء الأندلس، فظهر الكثير منها وبخاصة أرجوزة "أبو طالـب عبـد الجبار" التي تنوعت موضوعاتها فشملت الأدلة على وجود ا ، والحث على التفكير في العـالم

(1) ينظر: أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 61.

(2) ابن عبد ربه، أبو عمر: **العقد الفريد**: 362/2 وما بعدها. تحقيق مفيد محمد قمحية. بيروت: دار الكتـب العلميـة. . 1997

(3) أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 62.

والكلام عن سير الخلفاء وبدء الخلق وغير ذلك من الموضوعات المتنوعة التـي جعلـت هـذه المنظومة موسوعة تاريخية دينية، فكرية[1].

وبعد أن أحس الأندلسيون بمقدرتهم على الإمساك بزمام الشـعر التعليمـي والعلـوم، المختلفة بدأوا ينظمونه في مختلف العلوم وشتى الفنون، وكانت المنظومات اللغويـة والنحويـة تحتل موقعاً مميزاً من اهتمام الأندلسيين، في عصور الازدهار والتقدم وكان لذلك أسباب عـدة جعلت هذا العلم ينمو ويتطور حتى أصبح منتشراً وبوفرة عندهم.

أسباب انتشار الشعر التعليمي في الأندلس:

تعددت الأسباب التي تقف وراء ظهور هذا الفن في الأندلس والنتيجة واحدة، هي ظهور فن شعري ضم في ثناياه أعظم علوم العربية، (علم النحو) بطريقة سهلة مميزة ولعل مـن أهـم تلك الأسباب الآتي:

أ. **ضبط أصول العلم بدقة وإحكام**: إن الفن المنظوم شعرا يجمع المادة النحوية ويلم شعثها بعبارات موجزة جامعة دقيقة يستطيع الإنسان الحصول عليها والاستعانة بهـا بأيسـر الطرق وأسهلها، وهي بهذا المعنى تكون قد وفرت على النحاة مشكلة قلة الورق اللازم لتدوين تلك المعلومات الكثيرة التي يضم كل بيت منها أحكاماً وقواعد لو حولـت نثـرا لاحتاجت إلى كمية ليست بالقليلة من الورق[2].

ب. **طبيعة الشعر المنظوم**: من المعروف لدى الباحثين والدارسين أن الشعر المنظوم أسهل حفظا وأيسر من المنثور، وذلك لاحتوائه على القافية والموسيقا، وهي غير متوافرة في النثر فنظم قواعد النحو العربي شعرا يسهل حفظها وتدارك ما ضاع منها وفـات فهـي تحوي الأسماء والأعلام والقواعد بطريقة مبسطة ومميزة وهذا ما ذكره ابن خلدون حين امتدح أرجوزة حرز الأماني ووجه التهاني لابن فيره حيث قال: " فنظم ذلك كلـه فـي

---

(1) ابن بسام، أبو الحسن علي: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: القسم الأول المجلد الثاني: 916. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة. 1979 م.

(2) ينظر: أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 63.

قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف أ ب ج د ترتيبا أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار، وليكن أسهل للحفظ لأجل نظمها"[(1)]. لذلك حرص العلماء أن تحفظ هذه المتون من العالم جوهره ولبابه، وأن تقوم هذه المتون بالدور الفعال في التعليم فالهدف من المنظوم النحوي هو هدف تعليمي بالدرجة الأولى وهو وسيلة للتعليم وطريقة له[(2)].

ج. **تعرض الأندلس للنكبات والويلات**: من المعروف أن الإسلام حكم الأندلس "ثمانية قرون مجيدة عاشها العرب المسلمون في الأندلس تحت رايات التمدن وبنود التسامح وأعلام الحضارة، وانسحب تمدنهم على جيرانهم الأوروبيين"[(3)]، ولكن هذا المجد والعز لم يدم للمسلمين طوال الثمانية قرون، فقد سقطت بعض المدن والولايات في منتصف القرن الخامس الهجري مثل طليطلة سنة 479هـ[(4)]. وكان ذلك السقوط يعني الدمار والخراب لكل شيء عربي وإسلامي، فضاعت العلوم واندثرت المعارف، فوجد علماء الأندلس أنفسهم في مواجهة ما ضاع من الكتب ولاسيما بعد كارثة السقوط المتوالي للمدن والولايات الأندلسية، فشرع هؤلاء العلماء ينظمون قواعد النحو العربي شعراً، فالرغبة في تلافي ما ضاع وجمع شتات هذه العلوم بدت واضحة وظاهرة[(5)]، فالمصيبة بضياع الأندلس لم يماثلها مصيبة في تاريخ الإسلام، وكأن هؤلاء يقولون: إن ضاعت الأندلس أرضاً ومباني، فلا يجب أن يضيع العلم والمعرفة، وأسهل الطرق لحفظ هذا الموروث هو النظم الشعري للقواعد العلمية والنحوية بشكل خاص. وكان الحفاظ على اللغة ليس من الضياع فقط بل من الغزو الجديد القادم إليها المتمثل بالفساد الذي أصاب الألسن

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**: 43/8. بيروت: طبعة دار أحياء التراث.

(2)عبد الرحمن، ممدوح: **المنظومة النحوية-دراسة تحليلية**: 8. دار المعرفة الجامعية. 2000م.

(3) الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه**: 505. ط9. دار العلم للملايين. أيار. 1997م.

(4) الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي**: 507 وما بعدها، والمقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:** 447/4 وما بعدها.

(5) ينظر: الهيتي، عبد القادر رحيم، **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 201.

وينظر: ابن منظور: **لسان العرب**: 4/1 حيث يقول: فلم أقصد سوى حفظ هذه اللغة النبوية، وحفظ فضلها إذ عليها مدار أحكام كتابه العزيز والسنة النبوية.

وانتشار اللحن في شتى العصور والأماكن، فطباع أهل الحضر اللحن، لاختلاطهم بالأعاجم[1].

د. **الحياة المترفة ورقي العقلية العلمية في الأندلس:** كان العرب في الأندلس على درجة عالية من التمدن والحضارة، فهم يعيشون حياة الترف والفن، فانتشرت في بلادهم الموسيقا والغناء، وكل وسائل الترفيه والتسلية[2]، وكانت لهذه الوسائل دورها في جعل حياة أهل الأندلس مترفة ومتسارعة، وفي الوقت نفسه كان هناك إجلال وإكبار للعلماء وتقدير جهودهم وإسباغ العطايا عليهم، ما دفعهم إلى التأليف والتقدم في شتى العلوم والفنون، فأصبح علماء النحو في الأندلس على علم واسع بهذا العلم، وتفهم جزئياته وموضوعاته، فقرروا أن يواكبوا الحياة المترفة ويعيدوا الحياة لقواعد النحو الجافة عن طريق نظمها شعراً موزوناً يسهل فهمه وحفظه، لما يتمتع به من ظرافة وسهولة، فهذا الزبيدي في طبقاته[3] يذكر لنا أن القلفاط محمد بن يحيى (ت302هـ) يعد من أشهر نحاة الأندلس الذين صاغوا قواعد النحو العربي شعراً، وهذه الفترة في حياة الأندلس شهدت تقدماً عظيماً في علم النحو وتفهم كل ما فيه من جزئيات وخفايا، فأصبح الأندلسيون يصوغون تلك القواعد شعراً، ومن ذلك أن القلفاط طرحت عليه عدة أسئلة نحوية فاختار الإجابة عنها شعراً فقال عدة أبيات تضمنت الحل لتلك الأسئلة وهذه الأبيات[4] (السريع)

(1)القفطي، جمال الدين أبو الحسن: **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: 827/4. طبعة دار الكتب. 1955م.

(2) الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي**: 86 وما بعدها.

(3)الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**: 278.

(4)الزبيدي، أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين: 180-281، والشيخ، أحمد محمد: **كتب الألغاز الأحاجي النحوية، وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة**: 594. ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

وعن خَطايـا اسـما تُسـمى بِـهِ — إن كُنْـتَ تصـغيراً لـه تَـدري
هـلْ يـأوه – قـلْ-بـدلٌ لازمٌ — أنـتَ لهـا لا بـد مسـتَـبـقي
أم هـلْ تَعـود اليـاء مهمـوزة — فسره لنـا تفسـير مسـتَـقْصِي
إن كان تصغير مطايـا كتصغـ — يـر خَطايـا قـلْ ولا تُحظِـي
فـإن تُصـب هـذا فأنـتَ أمـرؤٌ — أعلـم مِـن خَليـل النحـوي

فهذه الأبيات تدل على مدى الرقي الذي وصلت إليه عقـول علمـاء الأنـدلس حتـى استطاعوا صوغ هذه القواعد شعراً ليسهلوا على الطلبة فهم جزئيات هذا العلم.

هـ- الرغبة في التسهيل والتيسير: ربما يكون هذا السبب هو السبب الأساس فـي وضـع المتون النحوية المنظومة، فرغبة العلماء في تسهيل النحو وتذليل مصاعبه كانت هماً حملـه الأندلسيون، ورأوا أن النظم التعليمي هو أسهل الطرق وأقصرها لتيسير النحو وتسـهيله[1]. وقد ساعد اختصار هذه المتون واقتصارها على الأسس العامة على حفظها وتقريب الحقائق النحوية إلى ذهن المتلقي، فهي جاءت "خالية في – الغالب-من الشواهد والأمثلة الموضـحة لقواعدها"[2].

الأساليب والوسائل في نظم الشعر النحوي وتسهيله:

أولاً: نظم الألفيات، وألفية ابن مالك:

يبدو أن للعرب ميلاً نحو هذا الرقم (الألف) وذلك لأنهم ألفوا عددا من المؤلفات التي تحمل هذا الرقم مثل ألف ليلة وليلة، وألفية ابن معط، وابن مالك وغيرها[3]

(1) الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجـري**: 201. الجبـوري، إمـام حسن: الدرة الألفية لابن معط: مقدمة التحقيق (هـ). ط1. دار المعارف. 1410هـ 1990م.

(2) الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**: 206.

(3)ينظر مثلاً ابن معط: **الدرة الألفية**: مقدمة المحقق: (ك) للتعرف على أشهر الذين نظموا الألفيات في علوم العربية المختلفة. وكذلك ينظر: عبد الرحمن، ممدوح: **المنظومة النحوية – دراسة تحليلية-**: 15.

وكان لعلماء الأندلس والمغرب مجال السبق في نظم مثل هذا النوع من الشعر التعليمي، فهذا ابن معط الجزائري الأصل والمولد يضع أول ألفية في النحو العربي وهو أول من استخدم لفظ "الألفية" في أشعاره فقد قال عن تلك الأشعار النحوية التي وضعها ووصفها بأنهـا ألفيـة: (الرجز)

نحويةٌ أشعارهم المرويةُ هذا تمام الدرةِ الألفيةِ[1]

ومما يدل على أن هذه الألفية كانت الأولى والسابقة في هذا المجال، أن كـل العلمـاء والمؤلفين لمثل هذا النوع من المؤلفات كان الواحد منهم يدعي بأنه أفضل ممن سبقه وأن ألفيته هي أفضل بكثير من ألفيات الذين سبقوه باستثناء ابن معط الذي لم يذكر أحداً ما يدل على أنـه كان صاحب السبق في هذا المجال، أو على الأقل لم يكن يعلم بأن أحدا نظم قواعد النحو العربي على شكل شعر نحوي تعليمي، ووصل هذا النظم قرابة الألف بيت[2].

وعلى الرغم من أن لابن معط مجال السبق في الألفيات النحوية إلا أن ألفيته لم تلق ذلك الاهتمام، أو تلك الحظوة التي نالتها ألفية ابن مالك الجياني فهو قد نظم ألفيته في كـل مسـائل النحو والصرف وقد جاءت في (1002) بيت، ونالت من الشهرة والصيت ما لم ينله أي كتـاب منظوم أو ألفية مرجوزة، وما انكباب الناس عليها بين طالب للإفادة والزيادة وبين آخر يشـرح معانيها، ويوضح مبهمها ويفسر المعنى منها، إلا أكبر دليل على أهميتها، وما وصلت إليه مـن الشهرة والصيت.

لقد تجاوز شراح الألفية الأربعين شارحاً، بدءا من ابن الناظم بدر الدين ابن مالـك (ت 686) ومروراً بابن عقيل حتى بدر الدين محمد بن محمد بن الرضي الغزي (ت1000هـ) وما هذه الحظوة التي نالتها الألفية من قبل العلماء إلا دليل على أهمية هذه المنظومة ودورها الجليل في تطور علم النحو وتسهيله على الطلبة.

(1) ابن معط: **الدرة الألفية:** مقدمة المحقق (ى).

(2) عبد الرحمن، ممدوح: **المنظومة النحوية**: 15.

أبواب الألفية وفصولها:

إن الألفية تقع في (1002) بيت على بحر الرجز توزعت فيهـا أبـواب علـم النحـو والصرف بشكل شبه كامل، جاءت في مقدمة تبدأ بحمد ا والصلاة على نبيه ثم ذكر الأرجوزة التي اقتدى بها ابن مالك وهي أرجوزة (ألفية) ابن معط، حيث يقول:

قَـالَ محمـدٌ هـو ابـن مالِـكِ	أَحمـد ربـى ا َ خَيـر مالِـكِ
مصـلِياً علَـى النبِـي الْمصـطَفَى	وآلِـهِ الْمسـتَكْمِلين الشـرفا
وأَسـتَعِين ا َ فِـي أَلْفِيـه	مقَاصِـد النحـو بِهـا محوِيـه
تُقَـرب الأَقْصـى بِلَفْـظٍ مـوجز	وتَبسـطُ الْبـذْلَ بِوعـدٍ منْجـز
وتَقْتَضِـي رضـاً بِغَيـر سـخْطِ	فَائِقَـةً أَلْفِيـةَ ابـن معـطِ
و هـو بِسـبقٍ حـائِزٌ تَفْضِـيلاَ	مسـتَوجِبٌ ثَنَـائِي الْجمِـيلاَ
وا يقْضِـى بِهبـاتٍ وافِـره	لِي ولَـه فِـي درجـاتِ الآخِـره
وا يقضـي بهبـاتٍ جمـه	لي ولـه ولجميـع الأمـه

وبعد هذه المقدمة بدأ ابن مالك بالحديث عن أبواب النحو وفصوله حيث بدأها بالحديث عن أقسام الكلام وما يتألف منه وختمها بباب الإدغام، وقد ضم ابن مالك في ألفيته آراءه النحوية النهائية، وتخلى عن آرائه السابقة وأثبت فيها ما يرى صحته[1].

وقد أعطى ابن مالك للصرف حيزاً ليس بالقليل في ألفيته فأول مسائل الصـرف عنـده كانت تعدي الفعل ولزومه حيث نظم فيه أحد عشر بيتاً، وأبنية المصادر سـبعة عشـر بيتـاً، وأسماء الفاعلين والمفعولين عشرة أبيات والصفة المشبهة باسم الفاعل سبعة أبيات وغير ذلـك من الموضوعات التي طرقها في ألفيته حتى بلغ عدد الأبيات التي تناولت علم الصرف حـوالي ثلاثمائة بيت، والأبيات المتبقية وعددها سبعمائة وبيتان خصصها لعلم النحو. وفي خاتمتها يحمد ابن مالك ربه الذي أعانه على إتمام هذه المنظومة فيقول:

(1) عبد الرحمن، ممدوح: **المنظومة النحوية**: 6.

فأحمـــد ا َ مصـــلياً علـــى محمـــدٍ خيـــر نَبِـــي أرســـلا
وآلـــهِ الغـــر الكـــرامِ البـــررةْ وصـــحبهِ المنْتَخَبِـــين الخَيـــرةْ

لقد جاءت فصول ابن مالك ذات لغة صعبة الفهم في نظمها، حافلـة بالمعـاني منسـقة الأحكام، مليئة بالقواعد النحوية وأصولها، ومع ذلك كانت فيها مظاهر رغبة ابن مالك واضـحة وجلية من أجل التيسير والتسهيل، وظهر في الألفية العديد من مظاهر هذا التيسير.

مظاهر التيسير في ألفية ابن مالك:

لقد كانت ألفية ابن مالك من أعظم الوسائل التعليمية التي اتبعها العلماء من أجل تعلـيم النحو العربي وتسهيله وتذليل صعوباته، لذلك فقد كانت هذه الألفية وغيرها من الشعر التعليمـي تهدف بالدرجة الأولى "إلى التيسير على المتعلمين، إلى جانب اتجاهه التجديدي فـي الوسـائل التعليمية"[(1)].

وقد تأثر ابن مالك -رحمه ا - وغيره من العلماء الذين نظموا النحو التعليمـي، بـابن حزم وابن مضاء القرطبي، فهذه الألفية محاولة هادئة للاعتراض على المؤلفات النحوية الطويلة المعقدة والتي كانت سبباً رئيساً لصعوبة علم النحو[(2)] فهو قد اعترض على تلك المؤلفات وعلى هؤلاء العلماء الذين لم يستطيعوا أن يضيفوا شيئاً بعد سيبويه، بل داروا في فلكه ولم يخرجـوا عما خطه لهم في كتابه[(3)]. فهذا المبرد في (مقتضبه) حصر جهده في أمرين اثنـين: محاولـة استخلاص القاعدة النحوية والتركيز عليها وإبراز كيانها ثم ظهور بواكير المصطلحات النحوية المقولة والصياغات العلمية المتطورة[(4)].

---

(1) عبد الرحمن، ممدوح: **المنظومة النحوية**: 7.
(2) المرجع السابق: 8 و37.
(3) بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**: 135/2.
(4) عون، حسن: **تطور الدرس النحوي**: 68، 69. القاهرة. 1970م.

لذلك فقد جاءت المنظومة الألفية لتخرج النحو من هذا الجمود وتعيد له الحياة من جديد وتسهل على الطلبة حفظ قواعده وأحكامه وفهم مصطلحاته وأمثلته، وقد برز التسهيل في هـذه الألفية في خلال "مسايرتها لأساليب البحث اللغوي المعاصر"(1).

وسأحاول أن نرصد أبرز مظاهر التسهيل والتخفيف في ألفية ابن مالك، وذلـك بشـكل ميسر ومبسط ومختصر، مقارنين تلك المظاهر مع مثيلاتها عند ابن معط لنـرى الفـرق بـين الرجلين وأيهما كان عمله أكثر خدمة للنحو وطلابه، وأهم تلك المظاهر هي:

1. الإيجاز والابتعاد عن الحشو والشرح الزائدين:

لقد كان هدف ابن مالك في ألفيته التسهيل والتخفيف على الطلبة، لذلك فقـد اجتهـد أن يتجنب في ألفيته كل ما من شأنه أن يعكر صفو هذه الألفية، وأعنـي بـذلك الحشـو والشـرح الزائدين عن الحد، لذلك فقد جاءت الألفية خالية من الحشو الذي لا طائـل تحتـه، ولا فائـدة مرجوة منه، وكذلك جاءت هذه الألفية عارضة لأصول النحو العربي بشكل مختصر خالٍ مـن تفصيل الأمثلة والشواهد الواردة فيها(2).

وقد كان ابن مالك في ألفيته يذكر بعض الكلمات الدالة على الاختصار وعدم التعرض لكل التفاصيل، ومن ذلك مثلاً حديثه عن مسوغات الابتداء بالنكرة حيث إن ابن مالك قال عبارة: "وليقس ما لم يقَلْ" في بيته رقم 127 في الألفية حيث يقول:

ورغبةٌ في الخير خيرٌ وعملْ   بر يزين وليقس ما لم يقَلْ

فعبارة "وليقس ما لم يقَلْ" جاءت لتوجز كثيرا من مسـوغات الابتـداء بـالنكرة وهـذه المسوغات لو أراد ابن مالك ذكرها كاملة لاحتاج إلى عشرة أبيـات أخـرى، ولكنـه اكتفـى

(1) عبد الرحمن، ممدوح: **المنظومة النحوية**: 8.

(2) المرجع السابق: 8.

بالمشهور منها والمتداول، حيث إن بعض العلماء أوصل مسوغات الابتداء بالنكرة إلى ثلاثـين مسوغاً[1].

أما ما دفع ابن مالك إلى الاختصار والابتعاد عن الحشو طبيعة العلم المنظوم فيه، فهـو علم النحو الذي لا يحتاج إلى التطويل والإكثار من الشرح حتى يحقق ابن مالك الهدف المرجـو وهو التسهيل للحفظ وبالتالي الفهم، وإذا ألقينا نظرة على ألفية ابن معط فإننا نجـده لـم يحسـن الإيجاز والاختصار كما أتقنه ابن مالك، فهو حين تكلم عن تعريف الكلام وأراد أن يضع مثـالاً لذاك، رأيته يضع مثالين في حين أن ابن مالك أوجز بقوله: "كلامنا لفظ مفيد كاستقم" فمثال واحد يكفي – في نظر ابن مالك- ولا داعي للإكثار من الأمثلة أو الشروح.

2. الوزن الذي بنيت عليه الألفية:

لقد بنى ابن مالك ألفيته على بحر الرجز سواء أكان كاملاً أم مشطوراً، والمعـروف أن بحر الرجز هو من أسهل البحور الشعرية وأفضلها لنظم الشعر التعليمي، فهو أقرب البحور إلى النثر، وخال من العاطفة، واختاره ابن مالك ليكون بحراً عليه تبحر ألفيته إلى هـدفها المنشـود لتُسهل النحو وتصل بالطلاب إلى بر الأمان. وإذا انتقلت إلى ابن معط رأيت ألفيته تُصاغ علـى بحرين هما الرجز والسريع أو ما يضاهيه من السريع والرجز المشطور والمزدوج.

إن القصيدة أو المنظومة التي تبنى على بحر واحد من بحور الشعر تكون أبياتها خفيفة على السمع، بعيدة عن الاضطراب أو الشذوذ الموسيقي، نتيجة الانتقال من بحر لآخر، وهذا من شأنه أن يجعل هذه القصيدة أو المنظومة ثقيلة على الأذن، وصعبة الحفظ، والتمثـل بهـا عنـد الحاجة، لذلك فقد كان ابن مالك أكثر توفيقاً من ابن معط في اختيار بحر قصيدته، وهـذه سـمة واضحة من سمات التسهيل في الألفية، لأن الموسيقا الشعرية ضرورية لفهم الـنص وبالتـالي حفظه واسترجاعه في أي وقت، فكانت ألفية ابن مالك الصق بالنفس وأسهل للحفظ، وما الشهرة العظيمة التي حظيت بها إلا دليل على ذلك، وما حفظ الكثيرين من الناس لألفية ابـن مالـك إلا شاهد على سهولة حفظها وسرعة استرجاعها وتذكرها.

(1) عبد الرحمن، ممدوح: **المنظومة النحوية**: 276.

3. ترتيب الأبواب والفصول بشكل مرتب منظم:

امتازت ألفية ابن مالك بترتيب فصولها وأبوابها حيث جعلها ابن مالك ثمانين فصلاً مسبوقة بمقدمة، ومتلوة بخاتمة، أولها هو باب الكلام وما يتألف منه، وآخرها الإدغام، وهذا الترتيب يكاد يكون أفضل الترتيب لأبواب النحو العربي، لأنه جعل كل باب وحدة مستقلة عن غيرها، وهذا اقتضى أن تكون الألفية في ثمانين باباً أو عنواناً، وهو بذلك أبعد القواعد النحوية عن المزج والاختلاط فيما بينها، ما أدى إلى الضبط والإتقان، وسهل الحفظ والإلمام، وبالتالي كثرت الدراسات النحوية حول الألفية التي أغنت علم النحو العربي غناء عظيماً.

لقد وفق ابن مالك في ترتيب فصول ألفيته أكثر من ابن معط لأنه كان يجمع الأبواب المتناسبة في باب واحد، فجاءت ألفيته في واحد وثلاثين فصلاً أو عنواناً، وهذا الخلط في الفصول عنده لم يكن فيه موفقاً لأنه يوجد الاضطراب واللبس أحياناً لدى الدارسين والعلماء.

4. التيسير في شروح الألفية:

حظيت الألفية بكثير من الشروح والتعليقات والتفصيلات وكان لبعض هذه الشروح دور في تيسير النحو وتسهيله. كما كان للبعض الآخر دور في تعقيد النحو وصعوبته، وقد تناولت بعض الشروح والدراسات مسألة نحوية أو ظاهرة أسلوبية في شروح الألفية ووسمتها بالتيسير، بل إن في حفظ الشروح لنصوص ثمينة من كتب مفقودة أودى بها الزمن ضرباً من التيسير! وقد كان أقرب هذه الشروح إلى الدارسين وأشهرها وأيسرها شروح أربعة هي:

1. شرح ألفية ابن مالك، لمحمد بن مالك المشهور بابن الناظم (ت686هـ).

2. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للحسن بن عبد ا الحراري (ت 749).

3. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لأبي محمد بن عبد ا هشام (ت 761)

4. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لعبد ا بن عبد الرحمن بن عقيل (ت 769).

لقد حظيت هذه الشروح وما جاء فيها مـن مظـاهر للتسـهيل والتيسـير باهتمـام البـاحثين والدارسين[1] فابرزوا أهم المظاهر التيسيرية في شروح الألفية، وقد ضبطت ضمن محورين:

أولهمـا: يقوم على التيسير في أساليب عرض المادة النحوية وشرحها.

والثاني: ينظر في الآراء النحوية الميسرة في الشروح.

وتنوعت مظاهر التسهيل في شروح الألفية لتشمل:-التيسير في أسـاليب العـرض والشـرح، والترتيب والتنسيق، والعنوانات، وطريقة الشرح، والشواهد والأمثلة، وموقـف الشـراح مـن الخلاف النحوي، وأسلوب الحوار، والتنبيهات، والتيسير في الآراء والترجيحات، والربط بـين المسائل[2].

ثانياً: نظم قضايا نحوية:

ظهر هذا اللون من الشعر النحوي في فترة متأخرة نسبياً في الأندلس، فالشـعر الـذي وصل إلينا يعود نظمه إلى عصر ملوك الطوائف، وما بعدهم. حيث ظهر هذا الشـعر ووصـل إلينا كاملاً متكاملاً، وهذا يدل على أن هناك محاولات كانت قبل ذلك لم تكتب لها رؤية النـور واندثرت وضاعت شأنها شأن كثير من تراثنا الذي ضاع واندثر، وربما الذي يؤيد هـذا القـول بان الفترة السابقة لعصر ملوك الطوائف أي عصر سيادة قرطبة شهدت ظهور عدد ليس بالقليل من النحاة المبدعين الشعراء الذين ربما نظموا بعض القواعد شعراً ومنهم على سبيل المثـال لا الحصر عبد ا بن حمود الزبيدي (ت373هـ)، والإمام محمد بن الحسن الزبيدي (379هـ ـ) وأحمد بن أبان (ت382هـ) وغيرهم الكثير، ومع ذلك " فقد مر عصر سيادة قرطبة والمؤلفات النحوية الأندلسية تخلو منه"[3].

(1) منهم مثلا عبير محمود شريف داود التي وضعت رسالة ماجستير بعنوان: **دور شروح الألفية فـي تيسـير النحـو العربي**"، واختارت هذه الشروح نموذجا للدراسة.

(2) ينظر للمزيد حول هذه المظاهر التيسيرية: داود، عبير محمود شريف: **دور شروح الألفية في تيسير النحو العربي**" الفصل الثاني: 77 – 121.

(3) أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 68.

لقد عالج هذا النمط الشعري بعض القضايا التي كان الأستاذ أو الشيخ يرى أنها بحاجـة إلى الحفظ والإتقان، وحتى يسهل على طلبته هذا الحفظ فكان ينظم هذه القواعد شعراً سهلاً خفيفاً يسهل حفظه واسترجاعه، وقد يكون هذا الشعر ليس من نظم المدرس نفسه، بل هو مـن نظـم غيره، ولم يكن يرى هذا المدرس حرجاً في إملائه على طلبته إذا كان يؤدي الغرض المرجـو منه، وكان أصحاب هذه الفكرة من أشهر النحاة وبخاصة الذين اهتموا بالتدريس والإملاء علـى الطلبة فكانت هذه الأشعار تُملى على الطلبة ويسجلونها في دفاترهم الخاصة، فكان مثـل هـذه الأشعار منتشراً في دفاتر الطلبة وكراساتهم، وقد اختلفت المواضيع النحوية التـي نظـم فيهـا العلماء الأندلسيون مقطوعاتهم الشعرية وأشهر هذه الموضوعات هي:

1. علل الممنوع من الصرف:

حظي هذا الموضوع باهتمام الأندلسيين حيث نظموا فيه وبينوا علله وكان مـن أشـهر العلماء الذين نظموا فيه وذكروا علله أبو بكر بن طاهر، حيث نظم علل الممنوع من الصـرف شعراً يسهل حفظه ويحفظ القاعدة النحوية حيث يقول: (الطويل)

موانع صرفِ الاسمِ عشرٌ فَهاكَهـا	ملخصةً إن كُنْتَ في العلمِ تَحـرص
فجمعٌ وتعريـفٌ وعـدلٌ وعجمـةٌ	ووصفٌ وتأنيثٌ ووزنٌ مخَصـص
وما زيد في عدة وعِمـران فانْتَبِـه	وعاشِرها التركِيب هذا ملخـص(1)

فابن طاهر في نظمه هذا لعلل الممنوع من الصرف قد ذكرها بإيجاز سهل بسيط يسهل معه الحفظ، وقد جعل هذه العلل عشر علل هي: العلمية والوصفية، والعدل والتأنيث، والعجمـة والتركيب والزيادة والوزن والجمع، وقد أضاف إليها علة أخرى هي تعريف التأنيث والعجمـة والتركيب وقد خالف ابن طاهر جمهور النحاة في إضافة هذه العلة لأن النحـاة جعلـوا علـل الممنوع من الصرف تسع.

(1) السيوطي، جلال الدين: **الأشباه والنظائر**: 82/2.

لم يكن ابن طاهر وحيداً في مخالفته للعلماء في عدد الموانع من الصرف حين أضاف العاشرة، بل تبعه الإمام أبو قاسم الشاطبي (ت590هـ) حين نظم هذه القواعد شعراً وجعل العلل المانعة للصرف عشر علل فقال: (الطويل)

دعوا صرفَ جمعٍ ليس بالمفردِ أشْكَالاً	وفُعلان فَعلى ثم ذي الوصفِ أفْعلا
وذو ألفِ التأنيثِ والعدل عده	والأعجم في التعريفِ خُص مطَولا
وذو العدل والتركيبِ بالخفِ والذي	بوزنٍ يخُص الفعلَ أو غالبٌ علا
وما ألفٌ مع نون أُخراه زيدتا	وذو هاءِ وقْفٍ والمؤنّثُ أثْقَلا[1]

نلحظ أن الشاطبي تبع ابن طاهر في عدد العلل الممنوعة من الصرف وأضاف إليها ما أضافه ابن طاهر وهي علة تعريف التأنيث والعجمة والتركيب، ولعل لهما ما يبرر فعلهما فابن جني والسخاوي من بعده يذكران أن هذه "إذا تنكرت صرفت وإذا عرفت منعت لأن التعريف يثبتها في التأنيث والعجمة والتركيب "ألا ترى أنك تصرف (أربعاً) وإن كان فيه الوزن والتأنيث و(باذنجان) وإن كان فيه التركيب والعجمة، وحضرموت اسم امرأة، إذا نكر وإن كان فيه التركيب والتأنيث، ولا تصرف شيئاً من ذلك معرفة، فهذا يدل على قوة الاعتداد بالتعريف"[2]. وقد لاحظ نحاة المشرق ما ذكره ابن طاهر والشاطبي، حيث توقفوا عندها ضمن تعليقهم على علة التأنيث والعجمة ولكن دون أن يجعلوها علة خاصة كما فعل ابن طاهر والشاطبي.

إن باب الممنوع من الصرف كان أشهر تلك الموضوعات التي اهتم بها نحاة الأندلس لينظموا قواعدها شعرا، وذلك لأن هذا الباب فريد من نوعه، وله ما يميزه عن غيره من الأبواب النحوية، وذلك لأنه تكثر فيه العلل، فلا يوجد باب من أبواب النحو فيه من العلل ما لباب الممنوع من الصرف من علل. وهذا الباب يقف وسطاً بين الإعراب والبناء، فهو ليس بالمعرب وليس بالمبني، فهو أخذ من الإعراب الرفع بالضمة والنصب بالفتحة، فاقداً من

(1) السيوطي، جلال الدين: **الأشباه والنظائر**: 2/28-29.

(2) المرجع السابق: 2/32-33.

الإعراب التنوين والجر بالكسرة، وارتقى عن البناء في أنه لا يلزم حركة واحدة وتجري عليـه علامات الإعراب ناقصة، لذلك سمي متمكناً غير أمكن(1).

2. جمع المؤنث السالم (ما جمع بألف وتاء):

كان جمع المؤنث السالم وطرق جمعه وشروط هذا الجمع من القضايا التي اهـتم بهـا النحاة الأندلسيون، وظهر هذا الاهتمام من خلال نظم هذه الشروط شعراً يسهل حفظها ومن ذلك ما قاله الشاطبي في شروط هذا الجمع (الرجز)

وقِسه في ذِي التـا ونَحـو ذِكْـرى   ودِرهـ ـمٍ مصـ ـغرٍ وصـ ـحرا
وزينَـبٌ ووصـفُ غَيـر العاقِـل   وغَيـ ـر ذَا مسـ ـلمٍ للناقِـ ـل

نلحظ من البيتين السابقين أن الشاطبي قد أوجز في شروط الاسم الذي يجمع جمعا مؤنثا سالماً وهي خمسة شروط:

أ. ما انتهى بتاء سواء أكان هذا الاسم يدل على مؤنث مثل جميلة، أم يدل على مذكر مثل معاوية، وطلحة.

ب. ما انتهى بالألف المقصورة مثل: ذكرى، وليلى، أو بالألف الممـدودة مثـل: غيـداء، وحمراء.

ج. ما دل على علم مؤنث دون وجود علامة التأنيث فيه مثل: زينب، وهند وسعاد.

د. ما دل على وصف لمذكر غير عاقل مثل: أعلام جميلات، وجبال عظيمات.

هـ. الاسم المصغر المذكر غير العاقل مثل دريهم، وُـاُـيس.

---

(1) الشلوبين، أبوعلي: **التوطئة**: 273. وياقوت، أحمد سليمان: **تفسير النحاة لعلل منع الصرف**: 69-70. وينظر/أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 69.

3. حروف الزيادة:

حظيت حروف الزيادة في اللغة العربية بقدر عظيم من اهتمام العلماء الأندلسيين، وليس أدل على هذا من كثرة الكلمات التي جمعتها لتسهيل معرفتها، " فقد أكثـر النـاس مـن انتقـاء الكلمات الضابطة لها، وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط"[(1)].

وقد تفنن العلماء الأندلسيون – كما يقول المقري- في نظم هذه الحروف والضـابط لهـا شعراً فكان أكثر من عالم أندلسي قد نظم هذه الحروف وضابطها شعراً نذكر منهم:

أ. الإمام ابن مالك صاحب الألفية حيث نظم هذه الحروف في بيت من الشعر بأربعة أمثلة من غير حشو فقال (الطويل):

هنَـاءٌ وتَسـليمٌ تَـلاَ يـومُ أُنْسِـهِ نِهايةُ مسـؤولٍ أَمـانٌ وتَسـهيلُ[(2)]

نلحظ من بيت ابن مالك أنه جمع هذه الحروف الزائدة في أربعة أمثلة هي "هناء وتسليم، وتلا أنسه، ونهاية مسؤول، وأمان وتسهيل" فأية واحدة منها تكفي، كل هذا ليسهل على الطلبـة والدارسين حفظ هذه الحروف ومعرفتها والقدرة على استخراجها من البنى والكلمات.

ب. الأديب الأندلسي النحوي أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري، الذي نظـم هذه الحروف في بيت من الشعر وبشكل صريح واضح حيث يقول: (الطويل)

سألتُ الحروفَ الزائِداتِ عن اسمِها فَقَالتْ ولَم تَكْذِب أَمـانٌ وتَسـهيلُ[(3)]

فهذا العالم شـارك ابن مالك في الكلمات التي تجمع حـروف الزيـادة وهـي "أمـان وتسهيل".

(1) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: 473/3.

(2) المرجع السابق: 473/3.

(3) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: 473/3. و الكلبي، ابن دحية: **المطرب من أشـعار أهل المغرب**: 272. تحقيق إبراهيم الأبياري. القاهرة: المطبعة الأميرية. 1954م

ج. الإمام المؤلف أحمد بن محمد المقري صاحب كتاب" نفح الطيب "، حيث نظم هذه الحروف في بيت من الشعر هو: (البسيط)

قَالَتْ حروفُ زيـاداتٍ لسـائِلِها   هويتَ من بلدةٍ أهوى تِلِمسانَا[1]

فالإمام المقري خالف ابن مالك وابن عبدون في الكلمة التي تجمع هذه الحروف حيث جعلها في عبارة (أهوي تلمسان).

4. الفرق بين مسهب ومسهِب:

كانت هذه القضية من القضايا التي شغلت بال النحاة والأمراء على حد سواء إذ إن الفرق بينهما في المعنى تابع للفرق بين حركاتهما، وليس الكل ممن يدعي علم النحو يستطيع الوقوف عليهما ويفرق بين معنييهما فهذا العالم المقري صاحب كتاب نفح الطيب لم يستطع ذلك لولا أنه وقف على سؤال للمعتمد بن عباد للأعلم الشنتمري حول هذه المسألة فهو يقول: " وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لِم قال غير واحد: إن المسهب إنما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهي المغرب تقتضي أن يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد في خاطري إلى أن وقفت على سؤال في ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري المشهور بالأعلم ونص السؤال، سألك أبقاك ا الوزير الكاتب أبو عمرو ابن غطمش سلمه ا عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر والذي ذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب والزبيدي في مختصر العين أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لي أبقاك ا تعالى ما تعتقد فيه وإلى أي كتاب تسند القولين لأقف على صحة من ذلك"[2].

(1) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: 473/3. مرتضى الزبيدي: محمد بن محمد: **تاج العروس من جواهر القاموس**: 2016/1

(2) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: 77/4

وعندما وصل الأعلام السؤال أجاب عنه نثرا، وبين له سبب الخلاف، وفصل له ذلك تفصيلا كثيرا[1]، ولكنه رأى بعد ذلك أن الأيسر له وللمعتمد وللطلبة أن ينظم قاعدة نحوية يوضح فيها الفرق بين الكلمتين ودون الغوص في مسائل الخلاف بين العلماء التي أوردها في جوابه النثري.

"قال الأعلام: ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور فقلت: (المتقارب)

سلام الإلهِ وريحانُه ... على الملكِ المجتَبى المنتَخل
سلام امرىءٍ ظل مِن سيبِهِ ... خصيب الجنابِ رحيب المحلّ
أتاني سؤالُك أعززْ بِهِ ... سؤال مِبِر على من سأل
يسائِلُ عن حالتَي مسهبٍ ... ومسهبٍ المبتَلى بِالعِلَل
لِم اخْتَلَفا فِي بِنَاءيهما ... وحكْمهما واحِدٌ فِي فَعَل
أَتَى ذَا على مفْعلِ لم يعل ... وذَاك على مفْعِلِ قَد أُعِل
فَقُلتُ مقالاً على صِدقِهِ ... شهيدٌ من العقلَ لا يستَزِل
فَهذا مقَالي مستَبصِراً ... ولَستُ كمن قالَ حدساً فَضل [2]

نلحظ أن الموضوعات التي نظم فيها الأندلسيون كانت مواضيع يكثر فيها الخلاف والجدل بين النحاة، ونظم هذه القواعد شعراً خاص هذه المواضيع من ذكر مواطن الخلاف أو التشعب في ذكر آراء العلماء فيها، فقد لاحظنا في علل الممنوع من الصرف الخلاف حول العلة العاشرة، ولكن ابن طاهر والشاطبي حسما الأمر حين جعلاها عشر علل دون الغوص في بحر الخلاف أو حتى الدفاع عن رأيهم. وكذلك الأمر بالنسبة لحروف الزيادة التي أكثر العلماء من الاجتهاد حول الكلمات التي تجمعها.

وقبل أن ننهي هذه القضية وما نظمه الأندلسيون من القواعد شعراً أرى أن نذكر بعض المنظومات النحوية التي نظمها الأندلسيون في جزيئات نحوية ولكن لم يصل من بعضها سوى

(1) ينظر: المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: 77/4 وما بعدها للوقوف على كامل القصة والإجابة على السؤال.

(2) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: 78/4-79

الاسم الذي حفظته لنا المصادر التاريخية والتراثية، ومنها ما لم تحظ بالطبع والنشر حتى اليوم، وأشهر هذه المنظومات:

1. أرجوزة في النحو لابن المرحل، وهي موجودة في الخزانة العامة في الرباط[1].
2. لابن عصفور منظومة في النحو[2].
3. نظم في الجزولية، لمحمد بن عبد ا بن غياث الجذامي الشريشي أبو عمر حيث إنه نظم الجزولية شعراً على بحر الرجز "ونظم الكراسة القزولية (الجزولية) في رجز ينزل من نمط شعره"[3].

ثالثاً: نظم أسئلة وأجوبة:

يعد هذا النوع من النظم والتأليف مكملاً لما كان يقوم به القلفاط وغيره من النحاة الأندلسيين الذين كانوا يضعون قواعد النحو العربي على شكل أسئلة وأجوبة، وكانت هذه الأسئلة والأجوبة تستهدف دقائق بسيطة وجزئيات يسيره من جزئيات علم النحو العربي الواسع الممتد، وقد كان رائد هذا العمل في الأندلس ابن السيد البطَليوسي الذي جمع هذه الأسئلة الشعرية في كتاب اسماه "المسائل والأجوبة"، حيث كان يدرس هذه المسائل لطلابه في المسجد[4]، وكانت هذه الأسئلة تُلقى على ابن السيد إما من عالم نحو مثله، أو من طالب من طلابه، أو من بلد آخر يرسلها أحدهم شعراً فيجيب عنها شعراً، وإن نثراً فالجواب يكون نثراً.

لقد حوى كتابه المذكور كثيراً من هذه الأسئلة النثرية والشعرية، وقد ذكر أستاذنا وائل أبو صالح مسألة من المسائل التي جاء ذكرها في هذا الكتاب، وهذه المسألة تدور حول سؤال

(1) الطيار، رضا عبد الجليل: **الدراسات اللغوية في الأندلس**: 142- 143. العراق: دار الرشيد للنشر، 1980 م.
(2) بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**: 367/5.
(3) الشلوبين، أبو علي: **شرح المقدمة الجزولية الكبير**: 75.
(4) أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحو في الأندلس**: 65.

عرض على ابن السيد شعراً فأجاب عنه العالم شعراً كما جاءت صيغة السؤال، والسؤال هو[1]: (الطويل)

جوابـك يـا ذا العلـم إنـي لسـائلٌ عن أشياء مِن ذِا النحو تَخْفى وتعظُـم
فـأورد عليهـا مـن كلامِـك شَـافِياً تُبـين بِـه كُـل البيـان وتُفْهِـم
فَمثلُـك للأفهـام يـدعى وتُرتَجـى فوائِـده إن جـلّ أو عـز مـبهم

هذه الأبيات تمثل مقدمة قصيرة قدم لها السائل على سؤاله، وفيها مـدح لابـن السـيد البطليوسي، ووصف له بالعلم وأنه على قدر المسؤولية في هذا العلم، وفيها أيضاً يوضـح أنـه سوف يعرض عليه سؤالاً ليجيب عنه فقال في سؤاله الأول:

عـلام تُعِـل الشـيء عِلـةَ غيـرِهِ فَتُسـقِمه وهـو الصـحيح المسـلم
ويبـرأُ أن أضـحى سـواه مسـلماً مِن إعلالـهِ وهـو العليـلُ المسـقم.

في هذين البيتين يسأل السائل عن علل النحو العربي، ولماذا يعلل النحاة ويقيسون شـيئاً علـى شيء آخر، وكأن سؤاله هذا استنكار لهذه العلل ورفض لها لأنها من الزيادات – حسب رأي ابن مضاء-[2].

ثم يواصل السائل سؤاله وعن موضوع آخر هو لفظة (لابأس) وهل (بأس) بإضـافة لا النافية إليها معربة أم مبنية، فإن كانت معربة فلماذا حذف النحاة التنوين؟؟ وهذا خطـأ عنـدهم، وإن كانت مبنية فكيف تنصب، أو أن هذه اللفظة مبنية ومعربة معاً، وهذا غير معقول، فالسائل يقول شعراً:

(1) السيوطي، جلال الدين: **الأشباه والنظائر**: 81/3، وأبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 66 (نقلاً عن كتاب المسائل والأجوبة). والشيخ، أحمد محمد: **كتب الألغاز الأحاجي النحوية وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة**: 594 – 597.

(2) ينظر: الفصل الرابع من هذه الرسالة في قضية أثر نظرية ابن مضاء في تيسير النحو العربي: 121 وما بعدها.

وما القولُ فِي (لا بأْس) إن يك معربـاً — فحــذْفُك التنْــوين نُكْــرٌ معظــم

وإن يــك مبنيــاً فقولُــك نَصــبُه — بِلا خطـإٍ يحصـى عليـك ويرسـم

وإن يــك مبنيــاً لــديك ومعربــاً — فذَا النكْر أدهى في النفُـوسِ وأعظَـم

ويتبع السائل سؤاله بموضوع آخر حول علل الممنوع من الصرف، فيقول:

ولِم صرفُوا مـا كـان وصـفاً مؤَنثـاً — كعاقِلَــةٍ والوصــفُ بِــالمنْعِ يحكَــم

ولِــم صــرفُوا اســماً لِـذَاتٍ معرفـاً — وذلــك بطــلٌ يبطِــلُ البــاب معظَـم

أيصرفُ والتأْنِيـثُ فِيـهِ محـقـقٌ — ويمنَعــه أن كــان لغْــواً ويحــرم

السائل في هذه الأبيات يتساءل عن سبب صرف النحاة لكلمة (عاقلة) مع كونها وصـفاً مؤنثاً في حين أنهم منعوا أوصافا غيرها؟؟ وأيضاً لماذا صرفوا أسماء لذات معرفة في حين أن النحاة يقولون: إن التعريف يحول من الممنوع إلى المصروف؟

وقد أجاب ابن السيد عن الأسئلة جميعاً، وكانت تلك الإجابات طويلة، لذلك نذكر منهـا جواب السؤال الثاني الخاص بـ (لا بأس) فهو قال راداً على السؤال[1]: (الطويل)

ولا بــأْس فِــي إعرابِــهِ وبِنائِــهِ — بِرأيــهما قُلــتَ اعتِــراضٌ ملْــزم

لِحـذْفِك تَنْـوين الـذي هـو معـربٌ — وذلــك رأيٌ عِنْــدنَا لا يســلم

وإن يــك مبنِيــاً ففيمــا وصــفْتَه — على لَفْظِهِ والنكْـر فِـي ذَاك أعظَـم

وجمعــك للضــدين أعظــم شــنْعةً — ولَـم يتَـوهم فِيـهِ ذَا متَـوهم

وقَـد أكْثَـروا فِيـهِ المقَـالَ وشَـتتُوا — إلـى أن أملـوا النـاظِرين وأبرمـوا

وأكْثَـر مـا قَـالوه مـا فيـه طَائِـلٌ — لِقَارِئِــهِ إلا الكــلام المــنَمـنَــم

ألاحظ من هذه الأبيات أن ابن السيد البطَليوسِي قد بدأ جوابه عن (لا بـأس) بعـرض وجهات النظر المختلفة فيها ثم نراه يبين فساد هذه الآراء، ويوضح أنها لا تفيد طالب علم النحو

---

(1) لمعرفة المزيد حول الإجابات التي قدمها ابن السيد البطَليوسِي يراجع: السيوطي، جلال الـدين: **الأشـباه والنظـائر**: 121/3 – 124. والشيخ، أحمد محمد: **كتب الألغاز والأحاجي النحوية:** 594- 597.

العربي إلا الكلام الفارغ الذي لا طائل تحته، بل هي على العكس مـن ذلـك جعلـت الطلبـة يشعرون بالملل وعدم الرضى عن تلك الأحكام، ثم يتابع قوله وجوابه شعراً فيقول:

فَمِـن قائـلٍ ظَـن البنـاء وقائـلٍ	يضـارع إعرابـاً وذَا الـرأي أَحكَـم
كما ضارع الإعراب في غَيـره البِنَـا	إذا قُلْـتَ جـارات الأسـماءِ أكـرم
تَوسـطَ بـين الحـالتَين فَـأمره	خَفِيٌ علـى غَيـر النحـارِير مِـنْهم
لِذَا كَـثُر الإشْـكالُ فِيـهِ فَلَـم يـبِن	وخَلّـطَ فِيـهِ كُـل مـن يـتَكلم
ويشـبِه حـالَ المنـادى كِلاهمـا	مِن النحو مخْصـوصٌ بِهـذا ويعلَـم
لِذَلِك جـاز الحمـلُ للوصـفَ فِيهمـا	على اللفْظِ والمعنَى كما جـاء عـنْهم
فَهـذا الـذي أخْتَـار فِيـهِ لأنـه	لِمبصِـرِهِ أهـدى سـبِيلاً وأقْـوم

إن ابن السيد في هذا الجزء من الأبيات يعرض لرأيه الخاص في هذه المسألة وهـو أن لفظة (لا بأس) شابهت المنادى المفرد في أنه يبنى على الضم مع أن محله النصب، فنقول عنـه مبني على الضم في محل نصب، وكذلك يجوز أن يكون موصوفه منصـوباً علـى المحـل أو مرفوعاً على اللفظ فنقول (يا يوسفُ الصديقُ) أو (يا يوسف الصديقَ) والأمر نفسه مع (لا بأس) فهي مبنية على الفتح في محل نصب اسم لا النافية للجنس(1).

هذه بعض الأسئلة التي وجهها العلماء والطلبة لأساتذة النحو العربي في الأندلس بهدف الإجابة عنها، وقد فضل علماء الأندلس الإجابة عن هذه الأسئلة شعرا – إن كان السؤال شعراً - ، وهذه الأسئلة وتلك الأجوبة شكلت مخزوناً عظيماً للقواعد النحوية وبطريقـة سـهلة منظمـة ميسرة، كان لها أثر عظيم في التخفيف على الطلبة والدارسين من صعوبة علم النحو، وتحويلـه إلى أسلوب علمي جديد يتمثل في السؤال والجواب وهو الأسلوب المفضل لدى الطلبة، فكيف إذا كان هذا الأسلوب شعراً، فإنه سيكون أكثر سهولة واشد قرباً للنفوس التي ترغب الشعر وتحبه.

أما في العصر الحاضر فقد استهوت فكرة طرح مادة النحو العربي علـى شـكل أسـئلة وأجوبة، الدكتور أحمد حسن حامد، حيث طرح موضوعات النحو العربي علـى شـكل أسـئلة

(1) ينظر: أبو صالح، وائل: **الشعر التعليمي النحوي في الأندلس**: 68.

وأجوبة، ولكن نثرا وليس شعرا، وألف في ذلك كتابه الشهير، الذي يقتدي به معظم الدارسـين لمادتي النحو والصرف في جامعة النجاح الوطنية، وهو " النحو والصرف بين السؤال والجواب "[(1)]، وذلك لما حواه من طرح مختصر وبطريقة منظمة مرتبة، هي محط إعجاب من الطلبـة، الذين يجدون في طرح المادة بهذا الأسلوب العلمي المبسط مخرجا لهم من الغوص في متاهـات الخلاف النحوي، أو التعليل الذي لا طائل تحته، والذي تعج به المؤلفات النحوية الأخرى.

---

(1) الكتاب مطبوع بعدة طبعات أشهرها مطبعة النصر- حجاوي- نابلس، 1998-1999، وهو متداول فـي الأسـواق وبـين صفوف الطلبة.

الخاتمة

وبعد أن عرضت جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي وتبسيطه من خلال الدراسة والتحليل، والتتبع لآثارهم أرى أن أسجل أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة وهي:

1. طور علماء النحو في الأندلس هذا العلم كثيرا، وتدرجوا في تدريسه ونشره فبدؤوا بدراسة النصوص العامة ومن ثم دراسة الكتب النحوية المشرقية إلى شرح هذه الكتب حتى استقامت لغتهم وقويت ملكاتهم، فأصبحوا يصنفون ويضعون المؤلفات التي ذاع صيتها واشتهرت داخل الأندلس وخارجها.

2. صب علماء النحو في الأندلس بداية جهودهم نحو النحو الكوفي وابتعدوا عن البصري وذلك لأنه يتفق معهم ومع مقدرتهم، ثم ما لبثوا أن تحولوا إلى النحو البصري وبخاصة كتاب سيبويه الذي لاقى عندهم رواجا عظيما وقبولا كبيرا.

3. تأثر النحو العربي في الأندلس بالمذاهب الفقهية السائدة هناك وبخاصة الفقه المالكي والظاهري، لذلك كثر من النحاة من جمع إلى جانب علم اللغة والنحو علم الفقه والدين.

4. كان هناك عدد من العوامل التي دفعت نحاة الأندلس إلى تيسير النحو وتبسيط قواعده سواء اختلاف الأجناس في الأندلس، أو البعد الجغرافي بين مولد النحو والأندلس، أو دعوة عدد من كبار العلماء في الأندلس إلى تبسيط النحو وتسهيله وبخاصة الإمام ابن حزم.

5. كان هناك عدة عوامل تضافرت معا وأسهمت في تطوير علم النحو وازدهاره في بلاد تبعد آلاف الأميال عن موطن النحو الأصلي بدءا من الرحلات من الأندلس واليها إلى المناظرات النحوية، إلى تشجيع الحكام والأمراء حتى أصبح هذا العلم عندهم في نهاية من علو الطبقة وأصبح علماء الأندلس فيه يضاهون الخليل وسيبويه وأصحابهما.

6. اتبع النحاة الأندلسيون عدداً من الأساليب والطرق من أجل تيسير النحو وتسهيله أهمها:

أ. تأليف الكتب النحوية ذات اللغة السهلة البعيدة عن مصادر الخلاف بين العلماء والاكتفاء بالرأي السهل، واستخدام الشواهد التركيبية السهلة بدلا من الشواهد اللغوية التي قد تسبب صعوبة في الفهم، واختلاف حولها وكان من أشهر من ألف هذه المختصرات أبو علي الشلوبين حيث ألف التوطئة، والزبيدي الذي ألف الواضح في العربية، وابن مالك الذي وضع التسهيل.

ب. شرح الكتب النحوية المشرقية وقد أبدع الأندلسيون في هذه الشروح وكان كتاب سيبويه وكتاب الجمل للزجاجي والإيضاح لأبي علي الفارسي أكثر الكتب المشرقية التي حظيت باهتمام الأندلسيين، فوجهوا سهام شروحهم لها، وكان الأندلسيون يتبعون أفضل الأساليب والمناهج من أجل تخفيف لغة الكتب المشروحة، وتوضيح شواهدها، وبيان مشكلها، فتعاملوا مع شواهد هذه الكتب ببراعة ودقة.

ج. رفض العلل النحوية، والدعوة إلى ترك نظرية العامل: لقد تزعم هذه الدعوة ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة متأثرا بدعوة أستاذه ابن حزم الظاهري المذهب، وتلا ابن مضاء أبو حيان النحوي، والسهيلي، وابن خروف وغيرهم ممن دعوا إلى ترك التعليل وما ينتج عنه من خلاف وجدل، وكانت تلك الدعوة عملية وقولية عند البعض، وقولية فقط عند البعض الآخر.

د. نظم قواعد النحو العربي شعرا تعليميا يسهل حفظه واسترجاعه عند الحاجة، وكان لازدهار هذا الشعر في الأندلس عدة عوامل، فاستطاع الأندلسيون أن ينظموا في مختلف جزئيات قواعد النحو العربي، سواء أكان بنظم الألفيات وعلى رأسهم ابن مالك في ألفيته، والتي أظهرت براعة فائقة في انتهاج سبيل التيسير، أو بنظم الموضوعات المختلفة والجزئيات الدقيقة، أو نظم قواعد النحو على شكل أسئلة وأجوبة، وقد أظهر هذا النظم الأندلسي مدى القدرة العظيمة التي وصل إليها نحاة الأندلس في فهم علم النحو ودقائقه وخفاياه.

7. تأثر عدد كبير من العلماء المحدثين بجهود النحاة الأندلسيين الرامية إلى تسهيل النحو وتيسيره وبخاصة دعوة ابن مضاء القرطبي، فظهر من طالب بأخذ آراء ابن مضاء جملة

وتفصيلا، وتطبيقها في المناهج المدرسية الحديثة، ومنهم من طالـب بأخـذ بعضـها دون البعض الآخر.

8. وقفت عدة عوامل أمام جهود نحاة الأندلس للتسهيل والتيسير، وأعاقت تلك الجهود، منها خروج المسلمين من الأندلس وضياع مؤلفاتهم، وعدم الاهتمام بهذه المؤلفات، وكذلك رفـض الناس – وبخاصة المشارقة – لما جاء به الأندلسيون باعتباره ثورة على المقدس عندهم.

مراجع الرسالة ومصادرها

أولا: قائمة المصادر:

القرآن الكريم

ابن الآبار، تقي الدين ابن القاضي: **التكملة.** تحقيق محسن غياض. النجف الأشـرف. بغـداد. مطبعة النعمان. 1974م.

ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف: **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن**. تحقيـق محمـد رضوان الداية. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1976م.

الأحمر، خلف: **مقدمة في النحو**. تحقيق عز الدين التنوخي. دمشق. 1961م.

الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد: **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى" منهج السالك إلى ألفية أبن مالك** ". 3مج. بيروت: دار الكتاب العربي. 1955م.

الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.** 3مج. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت. لبنان: دار الفكر.

ابن بسام، أبو الحسن علي: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.** 8مج. تحقيق إحسـان عبـاس. بيروت: دار الثقافة. 1979م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك: **الصـلـة.** 2مج. القاهرة. 1955م.

البطَليوسِي، ابن السيد: **الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل.** تحقيق سـعيد عبـد الكـريم سعودي. بغداد: دار الرشيد. 1980م.

الحلل في شرح أبيات الجمل. تحقيق د. مصطفى إمام. القاهرة. 1979.

شرح أبيات الجمل. دراسة وتحقيق عبد ا الناصـير. منشـورات دار علاء الدين.

البطَليوسِي، أبو محمد بن السيد: **الانتصار ممن عدل عن الاستبصـار**. تحقيق حامد عبد المجيد. القاهرة. 1955م.

تغري، جمال الدين أبي المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. القاهرة: دار الكتب المصرية.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد العباس: **الإمتاع والمؤانسة**. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف.

الجاحظ، أبو عثمان: **الحيوان**. 8مج. تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون. بيـروت. لبنـان: دار الجيل. 1996م

ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**. 3مج. تحقيق محمد علي النجار. مطبعـة دار الكتـب. 1955م.

اللمع في العربية. تحقيق فائز فارس. عمان: دار الأمل. 1990م.

الجياني، ابن مالك: **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**. تحقيق محمد كامل بركات. دار الكتب

شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. 3مج.

ابن حزم، أبو محمد علي: **الإحكام في أصول الأحكام**. 3مج. ط1. مصـر: مكتبـة الخـانجي. 1345هـ.

التقريب لحد المنطق. تحقيق إحسان عباس. بيروت. 1959م.

الرد على ابن النغريلة اليهودي. القاهرة: دار العروبة 1960م.

مراتب العلوم. تحقيق إحسان عباس. القاهرة 1954.

الحميدي، محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**. تحقيق محمد تاويت الطنجي. ط1. القاهرة. 1952م.

الحنبلي، ابن عماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. بيروت: دار الميسرة. 1979

أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: **التذييل والتكميل في شرح التسهيل**. تحقيق حسن هنداوي. ط1. دمشق: دار العلم. 1997م

تفسير البحر المحيط. 8مج. بيروت: دار الفكر.

تذكرة النحاة. تحقيق د. عفيف عبد الرحمن. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1406هـ/1986م.

منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. ط 1947م

الخشني، أبو عبد الله الحارث: **قضاة قرطبة**. تحقيق إبراهيم الأبياري. ط1. بيروت. لبنان: دار الكتاب اللبناني 1402هـ/1982م.

ابن الخطيب، لسان الدين: **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من حكام الإسلام**. تحقيق ليفي بروفنسال. ط2. بيروت. 1956م.

ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. تحقيق علي عبد الواحد وافي. القاهرة. 1960.

ابن خلكان، شمس الدين: **وفيات الأعيان، وأنباء الزمان**. 8مج. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة. 1968م.

خليفة، حاجي: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. 6مج. بيروت: دار الفكر 1982م.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. طهران. 1957م.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين: **تذكرة الحفاظ**. ط 3. طبعة حيدر أباد. 1955م.

العقد الثمين في تراجم النحويين. تحقيق وإعداد يحيى مراد. القاهرة: دار الحديث. 2004م.

ابن رشد، محمد: **الضروري في صناعة النحو**. تحقيق منصور علي عبد السميع. ط1. دار الفكر العربي. 2002م.

الزبيدي، أبو بكر: **الاستدراك على سيبويه**. تحقيق أغناطيوس غويدي. روما. 1890م.

الزبيدي، أبو بكر: **طبقات النحويين واللغويين**. تحقيق محمد أبـو الفضـل إبـراهيم. ط2. دار المعارف.

الواضح في العربية. تحقيق عبد الكريم خليفة. الأردن: منشورات الجامعـة الأردنية.

لحن العوام. تحقيق رمضان عبد التواب. ط1. القاهرة. 1964م.

الزبيدي، السيد محمد المرتضي: **تاج العروس**. 10مج. بنغازي: دار ليبيا. 1966م.

ابن الزبير، أبو جعفر أحمد: **صلة الصلة**. مكنية خياط. بيروت.

الزجاجي، أبو القاسم: **الإيضاح في علل النحو**. تحقيق مازن المبارك. القـاهرة: دار العروبـة. 1959م.

الجمل في النحو. تحقيق علي توفيق الحمد. بيروت: مؤسسـة الرسـالة. 1984م.

الزمخشري، محمود بن عمر: **أساس البلاغة**. بيروت: دار المعرفة. 1979

المفصل في صنعة الإعراب. تحقيق على أبو ملحم. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الزواوي، يحيى بن معط: **الدرة الألفية لابن معط**. تحقيق. إمام حسن الجبـوري القـاهرة: دار المعارف. 1410هـ 1990م.

سيبويه، أبو بشر: **الكتاب**. 5مج. تحقيق عبد السلام هارون. ط1. بيروت: دار الجيل.

الكتاب. 5مج. تعليق ووضع حواش وفهارس د. إميل بديع يعقوب. بيـروت: دار الكتب العلمية.

ابن سيده، سيد: **المخصص**. 5مج. بيروت: دار الفكر العربي.

السيرافي، الحسن بن عبدا : **شرح أبيات سيبويه**. تحقيق محمد علي الريح هاشـم. القـاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.1974 م.

مقدمة شرح أبيات سـيبويه. تحقيق محمد علي الريح هاشـم . القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. 1975م.

السيوطي، جلال الدين: **الاقتراح في أصول النحو**. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. ط1 القـاهرة: مكتبة الصفا. 1999م.

الألغاز النحوية. تحقيق وجمع طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة: مكتبـة الكليات الزهرية.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. 2مج. تحقيـق محمـد أبـو الفضل إبراهيم. القاهرة. 1964م.

همع الهوامع، شرح جمع الجوامع في علم العربيـة. 2مج. بيـروت. لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر.

الشاطبي، أبو إسحاق: **الموافقات في أصول الشريعة**. 2 ج. تحقيـق وتعليـق عبـد ا دراز. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

الشلوبين، أبو علي: **التوطئة**. تحقيق ودراسة يوسف أحمـد المطـوع. القـاهرة: دار التـراث العربي. 1973م.

شرح المقدمة الجزولية الكبير. 3مج. تحقيق تركي العتيبي. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1994م.

الشنتمري، الأعلم: **تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب**. تحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة 1415هـ/1994م.

النكت في تفسير كتاب سيبويه. 2مج. تحقيق رشيد بلحبيب. المملكة المغربية 1420هـ.

الشوكاني، محمد بن علي: **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السـابع**. 2مج. ط1. القـاهرة. 1348هـ.

الشـيخ، أحمد: **حاشية الخضري على ابن عقيل**: مطبعة الحلبي، مصر.

الصفدي، صلاح الدين: **الوافي بالوفيات**. 6 ج. ط2. دمشق. 1959م.

ابن الضائع، علي بن محمد: **شرح الجمل**. دار الكتب.

الضبي، المفضل: **المفضليات**: تحقيق الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون. القـاهرة: مطبعة المعارف. 1942م.

الطبري، ابن جرير: **تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك** -. 10مج. تحقيـق محمـد أبـو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف. 1979 م

الطيب، عبد الواحد: **مراتب النحويين**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. صيدا. بيروت: المكتبة العلوية. 2002م.

ابن عبد الملك، أبو عبد ا المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة 1964 م

ابن عبد ربه، أبو عمر: **العقد الفريـد**. 8مج. تحقيق محمد سعيد العريـان. القـاهرة: مطبعـة الاستقامة. 1940

ابن عصفور الأشبيلي: **شرح جمل الزجاجي**. 2مج. تحقيق صاحب أبو جناح. القاهرة. 1971م

الغزالي، أبو حامد: **المستصفى في علم الأصول**. 2مج. مصر: المطبعة الأميرية. بولاق.

ابن الفرضي، عبد ا بن محمد: **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**. تحقيق روحيـة عبـد الرحمن السويفي. ط1. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية. 1417هـ/1997م

الفندي، محمد ثابت: **دائرة المعارف الإسلامية**: مادة (تـدمر). طهـران: انتشـارات جهـان. 1933م.

الفيروز أبادي، مجد الدين: **البلغة في أئمة اللغة**. دمشق. 1972م.

القالي، أبو علي إسماعيل: الأمالي. 2مج. **مراجعة لجنة إحياء التراث العربي**. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1400هـ/1980.

ابن قتيبة، أبو محمد: **الشعر والشعراء.** تحقيق الشيخ أحمد شاكر. بيروت**:** دار الثقافة. 1964م.

القرطبي، ابن مضاء: **الرد على النحاة**. تحقيق الدكتور شوقي ضيف. مصر. دار المعارف.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن: **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. 4مج. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. دار الكتب المصرية. 1973.

ابن القوطية، محمد بن عمر**: تاريخ افتتاح الأندلس.** حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري. ط1. القاهرة، مصر: دار الكتب الإسلامية. 1982م.

الكلبي، ابن دحية: **المطرب من أشعار أهل المغرب**. تحقيق إبراهيم الأبياري. القاهرة: المطبعة الأميرية. 1954م.

المالكي، برهان الدين إبراهيم بن علي: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تحقيق محمد الأحمدي. القاهرة: مكتبة دار التراث

المبرد، محمد بن يزيد: **المقتضب**. 4مج. تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة. بيروت: عالم الكتب. 1963م.

المسعودي، أبو الحسن: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. 4مج. طبعة دار التحرير.

المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**. 7مج. بيروت: دار صادر. 1968م.

ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب.** 15مج. ط1. بيروت: دار صادر.

الميداني، أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**. 2 مج. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر. 1972م.

ابن النديم، أبو الفرج: **الفهرست**: القاهرة. 1979م.

ثانيا: قائمة المراجع

الأفغاني، سعيد: **في أصول النحو**. بيروت: دار الفكر. 1963م.

الأفغاني، سعيد: **من تاريخ النحو. تاريخ ونصوص**. ط2. بيروت: دار الفكر، 1978.

نظرات في اللغة عند ابن حزم. محاضرات ألقيت في مهرجان ابن حزم والشعر العربي في مدينة قرطبة، بمناسبة مرور تسعمائة عام على وفاة الإمام ابن حزم الأندلس. دمشق: مطبعة جامعة دمشق. 1963م.

أمين، أحمد: **ضحى الإسلام**. ط4. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف. 1936م.

ظهر الإسلام. ط6. القاهرة: مكتبة نهضة مصر. 1982م.

أوزون، زكريا: **جناية سيبويه: الرفض التام لما في النحو من أوهام**. ط 1. بيروت: رياض الريس. 2002.

بدوي، أحمد أحمد: **سيبويه حياته وكتابه**. ط2. مصر: مكتبة نهضة مصر.

بروكلمان، كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ط7. بيروت: دار العلم للملايين. 1977م.

البنا، محمد إبراهيم: **أبو الحسين بن الطراوة**. ط1. دار الاعتصام. 1980م.

أبو تاكي، سعود: **خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري**. القاهرة: دار غريب. 2005 م

ترزي، فؤاد حنا: **في أصول اللغة والنحو**. بيروت: دار الكتب.

الجبوري، إمام حسن: **الدرة الألفية لابن معط**. ط1. دار المعارف. 1410هـ 1990م.

أبو جناح، صاحب: **دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها**. عمان: دار الفكر. 1998م.

الجواري، أحمد عبد الستار: **الشعر في بغداد في القرن الثالث الهجري**. بيروت: دار الكشاف.

الجواري، أحمد عبد الستار: **نحو التيسير**. دراسة ونقد منهجي. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي. 1984م.

حامد، أحمد حسن: **النحو والصرف بين السؤال والجواب**. ط2. نابلس: مطبعة النصر – حجاوي. 1998 – 1999م.

حجازي، محمود فهمي: **علم اللغة العربية**، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية. الكويت: وكالة المطبوعات. 1973.

الحديثي، خديجة: **أبو حيان النحوي**. . بغداد: منشورات مكتبة النهضة. 1966م.

دراسات في كتاب سيبويه. الكويت: وكالة المطبوعات.

كتاب سيبويه وشروحه. د. ط. د. ت.

حسن، عباس: **اللغة والنحو بين القديم والحديث**. القاهرة: دار المعارف. 1971م.

حسين، طه: **حديث الأربعاء**. 3 ج. القاهرة: دار المعارف. 1974م.

من حديث الشعر والنثر. القاهرة: مطبعة الصاوي. 1936م.

حسين، عبد الحميد: **القواعد النحوية، مادتها وطريقتها**. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية. 1952.

حسين، محمد الخضر: **دراسات في العربية وتاريخها**. ط2. المكتب الإسلامي ومكتبة دار دمشق: الفتح. 1960.

الحمادي، يوسف: **النحو في إطاره الصحيح**. القاهرة: مكتبة مصر. 1990

خليفة، عبد الكريم: **تيسير العربية بين القديم والحديث**. ط1. منشورات مجمع اللغة العربية الأردني. عمان. الأردن. 1407هـ -1986م.

الخولي، أمين: **مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**: دار المعرفة. ط1. 1961م.

الخولي، عبد البديع: **الفكر التربوي في الأندلس**. ط2. دار الفكر العربي. 1985.

الخويسكي، زين كامل: **ألفية ابن مالك في النحـو والصـرف**. ط2. القـاهرة: دار المعرفـة الجامعية. 2004م.

النحو العربي، صياغة جديدة. الإسكندرية: مؤسسة شـباب الجامعـة. 1986م.

الدجني، فتحي عبد الفتاح: **أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحـو العربـي**. ط1. الكويـت: وكالـة المطبوعات. 1974.

الرافعي، مصطفى صادق: **تـاريخ آداب العـرب**. 3 ج. ج. 1. ط4. ج. 2، 3 ط2. بيـروت، لبنان: دار الكتاب العربي. 1974م.

راوي، صلاح: **النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله**. القاهرة: دار غريب. 2003 م

الراوي، طه: **تاريخ علوم اللغة العربية**. بغداد: مطبعة الرشيد. 1949.

نظرات في اللغة والنحو. بيروت. ط1: منشورات المكتبة الأهلية. 1992م.

الزبيدي، سعيد: **القياس في النحو العربي، نشأة وتطور**. ط1. رام ا : دار الشروق. 1997م.

أبو زهرة، محمد: **محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية**. القاهرة. 1962م.

السامرائي، إبراهيم: **المدارس النحوية، أسطورة وواقع**. عمان: دار الفكر. 1987م.

النحو العربي نقد وبناء. بغداد: دار الصادق. 1968م.

السرطاوي، معاذ: **ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية**. ط1. عمان: دار مجـدلاوي للنشـر والتوزيع. 1408 هـ/ 1988م.

السيد، أمين: **الاتجاهات النحوية في الأندلس**: القاهرة.

السيد، محمود: **في قضايا اللغة التربوية**. الكويت: وكالة المطبوعات.

الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه**. ط9. بيروت: دار العلم للملايين. أيار. 1997م.

الشيخ، أحمد محمد: **كتب الألغاز الأحاجي النحوية**، وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة. ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

صبيح، إبراهيم: **اللغة العربية، دراسات في اللغة والنحو والأدب**. ط2. عمـان: دار المنـاهج. 1997م.

ضيف، شوقي: **التطور والتجديد في الشعر الأموي**. ط5. مصر: دار المعارف. 1978.

المدارس النحوية. ط3. دار المعارف 1976م

تجديد النحو. القاهرة: دار المعارف. 1982.

تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده. دار المعارف، القـاهرة، 1986م.

أبو طالب، صوفي: **تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد العربية**. مصر. 1977م.

الطنطاوي، محمد: **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**. دار المنار 1412هـ/1991م.

الطيار، رضا عبد الجليل: **الدراسات اللغوية في الأندلس**. العراق. دار الرشيد للنشر. 1980م.

عبابنة، جعفر نايف: **مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي**. دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1404هـ/1984م.

عبادة، محمد إبراهيم: **النحو التعليمي في التراث العربي**. الإسكندرية: منشأة المعارف.

عبد الحميد، سعد زغلول: **محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأنـدلس**. بيـروت: جامعة بيروت العربية. 1973م.

عبد الرحمن، ممدوح: **المنظومة النحوية**-دراسة تحليلية. دار المعرفة الجامعية، 2000م.

العزاوي، نعمة رحيم: **أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة**: 163، مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1395هـ/ 1975

عمر، أحمد مختار: **البحث اللغوي عند العرب**. الطبعة الرابعة 1402هـ/1982م

عمر، احمد مختار، وزميله: **معجم القراءات القرآنية**. ط2 عالم الكتب. 1997م.

عون، حسن: **تطور الدرس النحوي**. القاهرة، 1970م.

عيد، محمد: **أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث**. القاهرة: عالم الكتب،

عيسى، محمد: **تاريخ التعليم في الأندلس**. ط1، دار الفكر العربي 1982م.

فيصل، شكري: **مناهج الدراسة الأدبية**. ط3. بيروت: دار الملايين. 1973م.

كحاله، عمر رضا: **معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية**. مطبعة الترقي 1957-1961م.

مؤنس، حسين: **فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة**: الشركة العربية للطباعة والنشر: القاهرة، 1959م.

موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ وفكر وحضارة وتراث. 2مج. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. 1996م.

مبارك، مازن: الزجاجي، **حياته وآثاره**. ط 2. دمشق: دار الفكر. 1984

مبروك، عبد الوارث: **في إصلاح النحو العربي: دراسة نقدية**. ط1. الكويت: دار القلم. 1985م.

المخزومي، مهدي: **في النحو العربي، نقد وتوجيه**. دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.

مسعد، عبد المنعم: **السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه**. دمشق: دار الفكر العربي. 1983م.

مصطفى، إبراهيم: **إحياء النحو**. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1992م.

مطلق، ألبير حبيب: **الحركة اللغوية في الأندلس**. المكتبة العصرية صيدا- بيروت، 1967م

أبو المكارم، علي: **تقويم الفكر النحوي**. ط1. بيروت: دار الثقافة. 1975م.

مكرم، عبد العال سالم: **أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية**: ط2، مؤسسة علي الصباح، الكويت، 1978.

الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1993م.

المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجرية. القاهرة: دار الشروق. 1980م.

الملخ، حسن خميس: **نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين**: دار الشروق، 2000م.

ناصف، علي النجدي: **سيبويه إمام النحاة**: عالم الكتب، القاهرة 1979م.

من قضايا اللغة والنحو. القاهرة: مكتبة نهضة مصر. 1957م.

ندا، محمد: **تيسير علوم الحديث**: القاهرة، 1972م.

نوفل، محمد قاسم: **المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي**. نابلس: مطبعة واوفست النصر. 1981م.

هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر في القرن الثاني**. القاهرة: دار المعارف. 1963م.

الهيتي، عبد القادر رحيم: **خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري**. ط2، جامعة قار يونس: بنغازي 1993م

ولد آباه، محمد المختار: **تاريخ النحو في المشرق والمغرب**: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – 1417 هـ/1996م.

ياقوت، أحمد سليمان: **أصول النحو العربي**. القاهرة: دار المعرفة الجامعية. 2000م.

دراسات في اللغة والنحو. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 2000م.

مصادر التراث النحوي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 2003م

ثالثا: قائمة الدوريات:

الأنصاري، أحمد مكي: في الدراسات النحوية، التيار القياسي في المدرسة البصرية. **مجلة كلية الآداب/**جامعة القاهرة. مج24. ج2. ديسمبر 1962م.

بلحبيب، رشيد: بعض ملامح الاجترار في التراث النحوي الأندلسي، نكت الأعلـم الشـنتمري نموذجا. **مجلة آفاق الثقافة والتراث**. ع 15 –1996.

بيلو، صالح آدم: حول الشعر التعليمي (1). **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنـورة**. ع52. 1401هـ.

الجابري، محمد عابد: التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد. **مجلة فكر ونقـد**.ع49 /50 المغرب. سنة 2002.

حجي، محمد: كتاب سيبويه في المغرب والأندلس. **مجلة اللسان العربي**. ع12. 1975م.

حسن، عباس: صريح الرأي في النحو العربي. **مجلة رسالة الإسـلام**. ع43. الصـادرة عـن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

أبو حسن، عماد: مقدمة في تاريخ البحث النحوي (1). **مجلة هدى الإسلام**. ع1. محرم 1407 هـ/أيلول 1986م. فلسطين

أبو حسن، عماد: مقدمة في تاريخ البحث النحوي (2). **مجلة هدى الإسلام**. ع2. صفر الخيـر 1407 هـ/تشرين أول 1986م. فلسطين.

حسن، نهاد فليح: العلة النحوية بين النظريـة والتطبيـق. **مجلـة آداب المستنصـرية**. ع14. 1406هـ/1986م.

الحلي، حازم سليمان: تيسير النحو العربي إلى عصر ابن مضـاء القرطبـي. **مجلـة اللسـان العربي**.ع 41. سنة 1996م.

خليل، عبد النعيم عبد السلام: التجديد النحوي عند شوقي ضيف. **مجلة علوم اللغة**. مج5. ع2. 2002م. القاهرة: دار غريب للطباعة.

الدقاق، عمر: العلوم العربية في الأندلس وأثرها في أوربا. **مجلة التراث العربي**- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق ع49-السنة 13-تشرين الأول "أكتوبر" 1992- ربيع الآخر 1413هـ.

السامرائي، إبراهيم: أبو سعيد السيرافي وكتاب سيبويه. **مجلة كلية الآداب/**جامعة بغداد. ع9. نيسان 1966م.

السلمي، عبد الله بن عويقل: **المتون والشروح والحواشي والتقريرات في التأليف النحوي**. المركز العلمي الأول لتعليم القرآن والسنة. السعودية.

السيد، أمين: كتاب الواضح في علم العربية لأبي بكر الزبيدي. **مجلة اللسان العربي**. ع12. 1975م.

الصاغرجي، مأمون: شرح المقدمة الجزولية. **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**. مج69. ج2. شوال 1414 هـ-نيسان 1994م.

أبو صالح، وائل: أبو الوليد الباجي، حياته ومناظراته العلمية. **مجلة النجاح للأبحاث/العلوم الإنسانية**. مج15 1422هـ/2001 م

الشعر التعليمي النحوي في الأندلس. **مجلة هدى الإسلام**. ع العاشر. 1986م. القدس. فلسطين.

سمات الفكر التربوي عند ابن حزم الأندلسي. **مجلة هدى الإسلام**. ع الرابع. ربيع الآخر 1406هـ/كانون أول 1985م. فلسطين.

ضيف، شوقي: كتاب الرد على النحاة. **مجلة كلية الآداب/**جامعة فؤاد الأول. ع8. مج2. ديسمبر. 1946م.

عبابنة، جعفر: مناهج البحث في النحو واللغة عند العلماء المسلمين. **المجلة الثقافية/**الجامعة الأردنية. ع41.

الفاسي، علال: سيبويه والمدرسة الأندلسية المغربية في النحو. **مجلة اللسان العربي**. ع12. 1975م.

أبو كتة، محمود: اثر المذهب الظاهري في منهج أبي حيان الأندلسي. **مجلة جامعة بيت لحم**. مج3. آب 1984م.

نظرية العامل النحوي بين التأييد والنقد. **مجلة جامعة بيت لحم**. مـج6. آب 1987.

كشاش، محمد: النوادر النحوية في التراث العربي، وأثرها في الدرس النحوي. **مجلة التربيـة.** الصادرة عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة العلوم. مج28. مارس 1999.

موعد، محمد: مدرسة الأندلس النحوية أم الدرس النحوي في الأندلس. **مجلة التراث العربـي**- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق ع91-السنة الثالثة والعشـرون – رجب 1424هـ/أيلول " سبتمبر " 2003م.

قائمة الأطروحات الجامعية

حسنات، إيمان عبد ا : **أبو علي الشلوبين وأثره في الدراسات النحوية**. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة آل البيت. الأردن. 2002م.

داود، عبير محمود شريف: **دور شروح الألفية في تيسير النحو العربي**. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة آل البيت. الأردن. 2002م.

الشلوبين، أبو علي: **حواشي المفصل**. تحقيق حماد الثمالي. (رسالة ماجستير غير منشـورة). كلية الآداب. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية. 1982م.

أبو صالح، وائل: **التربية اللغوية في الأندلس – عصر سيادة قرطبة**. (رسالة ماجسـتير غيـر منشورة). جامعة الإسكندرية. مصر. 1979م.

تطور الدرس النحوي بالأندلس في القرنيين الخامس والسـادس. (رسـالة دكتوراة غير منشورة). جامعة الإسكندرية. مصر. 1401هـ/1981م.

العابد، فضل: **الفكر الظاهري وأثره في النحو العربي**. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الأزهر. غزة. 2002م.

العامودي، محمود أحمد: **شروح الشواهد النحوية**. (رسالة دكتوراة غير منشورة). جامعة عين شمس. 1410هـ/1990م

أبو عمشة، خالد: **تعليم اللغة العربية في الأندلس**. (رسالة ماجستير غير منشـورة). الجامعـة الإسلامية العالمية. ماليزيا. 1997م.

الفهارس العامة للاطروحة

أولا: فهرس الآيات القرآنية:

رقم الآية	الآية	الصفحة
سورة البقرة		
26	﴿ ما بعوضة ﴾	60 ، 61
70	﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾	60
284	﴿ إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم ا فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾	60
سورة الأنعام		
90	﴿ فبهداهم اقتده﴾	58
سورة طه		
71	﴿ لاصلبنكم في جذوع النخل ﴾	57
	سورة الأنبياء	
112	﴿ قال رب احكم بالحق ﴾	60
سورة غافر		
37	﴿ لعلي أبلغ الأسباب فأطلع إلى إله موسى ﴾	59 ، 67
سورة الحديد		
15	﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾	90
سورة الصف		
14	﴿ من أنصاري إلى ا ﴾	58

ثانيا: فهرس الأحاديث

ثالثا: فهرس الأشعار

البيت	الصفحة
القافية الساكنة	
ورغبةٌ في الخـير خيـرٌ وعمـلٌ بـر يزيـن وليقس مـا لم يقَلْ	158
فيومـاً تُوافينـا بِوجهِ مقَسمٍ كأن ظَبيةٌ تَعطو إلى وارق السلَم	91
تفكرتُ في النحو حتى ملْـ ـلتُ وأتعبـ ـتُ نَفْسي لـه والبدن	120
مهلاً أبيتَ اللّعن لا تَأكُل معه إن اِستَه مِن برصٍ ملَمعه	88
القافية المفتوحة	
وقِسـه في ذِي التا ونَحو ذِكْـرى وذِرهـ ـمٍ مصغّـَرٍ وصحـرا	164
اسمع حدِيثاً كما يـوماً تُحدِثُه عن ظَهر غَيبٍ إذا ما سائِلٌ سألا	147
دعوا صرفَ جمعٍ ليس بالمفردِ أشكالاً وفُعلان فَعلى ثم ذي الوصفِ أفْعلا	163
قالَتْ حـ ـروفُ زياداتٍ لسائِلها هويتَ من بلادِةٍ أهوى تِلمسـَانَا	166
ألا أيهـا المثري المرجـ ـى ألـم تَسمـع بِخَطـ ـبِ الأولينا	148
إن سلَيمى -والله يكلَؤُها- ضنت بِشَيءٍ ما كـان يرزؤُها	102
فَغَدت كِلا الفَرجين تَحسب أنه مولى المخافَـةِ خَلفُها وأمامها	90
فَيا راكِباً إما عرضتَ فَبلغَن نَداماي مِن نَجران أن لا تَلاقِيا	100
القافية المضمومة	
فانْسقْ وصِلْ بِالواو قَولَك كُلَّـه وبِلا وثُم وأو فَلَيـسـتْ تَصـعـب	149
أيام جملٍ خَليلاً لو يخافُ لهـا صرماً لَخُولِطَ منه العقلُ والجسد	87
ثُم زادوا أنهـم في قَومِهـم غُفُـرٌ ذَنبهـم غَيـ ـر فُـخُـر	104
وهن وقوفٌ ينتَظِرن قَضاءه بِضاحي عذاةٍ أمره وهو ضامِز	99
موانع صرفِ الاسمِ عشرٌ فَهاكَها مـلخصةً إن كُنْتَ في العلمِ تَحرص	162
هنَاءٌ وتَسليمٌ تَلاَ يـ ـوم أُنْسـِهِ نِهايـةُ مسؤولٍ أمانٌ وتَسهيلُ	165
وقَد أكْثَروا فِيهِ المقَالَ وشتتُوا إلى أن أملـوا الناظِرين وأبرموا	127
ولا بأْس فِي إعـ ـرابِـ ـهِ وبِنائِـهِ بِأيـهما قُلـتَ اعتِراضٌ ملزم	170
جوابك يـ ـا ذا العلم إنـي لسـائِلٌ عن أشياء مِن ذِا النحو تَخْفى وتعظُم	169
صددت فَأطولتِ الصدود وقلَمـا وصالٌ على طول الصدودِ يدوم	90

القافية المكسورة	
والوزن فِي الغُزاةِ والرمـ ـ ـاةِ في الأصل عِنْد جمـْلةِ الرواةِ	149
نحويةٌ أشعارهـ ـم المـ ـ ـروية هـ ـذا تمـ ـام الـ ـدرةِ الألفيـ ـةِ	155
وأخو الغوان متى يشأ يصرمنَه ويعـ ـن أعـ ـداء بعـ ـيد ودادِ	89
ألا أيهذا الزاجِري أحضر الوغى وأن أشهد اللذّاتِ هل أنتَ مخْلِدي	92
وعن خَطايـ ـا اسما تُسمـ ـى بـ ـهِ إن كُنْـ ـتَ تصغيـ ـراً لـ ـه تَـ ـدري	154
إن امرأً خَصني عمداً مـ ـودته على التَنائي لِعِندي غَير مكفور	91
يا ابنَةَ عما لا تلومي واهجعي	105
ضربت نحرهـ ـا إلي وقالـ ـت يا امرأ القيس حان وقتُ الفراق	106
ضربت صدرها إلي وقالـ ـ ـت يـ ـا عـ ـدِياً لَقـ ـد وقتك الأواقي	106
خُـ ـذْ الطّـ ـلـ ـْقَ مـ ـع الأشْـ ـق ومـ ـا يـ ـُوجـ ـد فِي الطَـ ـرق	148
قـ ـالَ محمدٌ هـ ـو ابـ ـن مـ ـالِكِ أحمـ ـد ربـ ـى ا خَيـ ـر مـ ـالِكِ	156
سـ ـلام الإلـ ـهِ وريحـ ـانُـ ـه على الملكِ المجتَبى المنتَخـ ـل	167
غَدت مِن عليه بعدما تم ظمؤها تَصِلّ وعن قيضٍ ببيداء مِجهل	101
أقولُ مِن بعـ ـدِ افتتاح القـ ـول بحمـ ـدِ ذِي الطول شَديدِ الحول	150
ترنو بطـ ـرفٍ فاتـ ـنٍ فاتـ ـرٍ أضعـ ـفُ من حجـ ـةِ نحـ ـوي	136

رابعا: فهرس الأعلام

An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies

AL-Andalus Grammarians Efforts in Facilitating Arabic Grammar

Prepared by
Fadi Saqer Ahmad Aseedi

Supervisor
Prof. Wael Abu Saleh

Submitted in Partial Fulfillments of the Requirements for the Degree of Masters of Arts in Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2006

AL-Andalus Grammarians Efforts
in Facilitating Arabic Grammar
Prepared by
Fadi Saqer Ahmad Aseedi
Supervisor
Prof. Wael Abu Saleh

Abstract

This study is considered one of the fundamental studies in the linguistic and syntax research studies in Arabic language history as it tries to reveal the cultural and scientific legacy of the Islamic culture in Spain. This study, which consists to five chapters, aims to investigate the endless efforts of the grammarians in Al-Andalus (Spain) to simplify Arabic grammar and solve many related problematic issues. Thus, this study tries to shed light on the different styles and methods followed to achieve the above mentioned goals.

In the introduction, the researcher in this study clarifies the importance of the subject, justifies why it was chosen and explains the methodology followed throughout the study. Chapter one discusses the introduction of syntax to Spain, the most famous grammarians and their roles in the development of this science, the reasons behind the publicity of the science of syntax in Spain and how this science was affected by jurist writings and their different approaches mainly the apparent doctrines and the various factors that motivated the grammarians is Spain to simplify the rules and principles of syntax.

Chapter two targets three Spanish grammar books written mainly to simplify grammar. I introduced the most popular methods used to simplify grammar in three resource books. Those books are "Al-Wadih" written by Abu-Bakr Al-Zubaidi, Al-"Tawti'a" written by Abu-Ali Ashlobin and "Al-Tasheel" written by Ibn-Malik Al-Jiyyani.

Chapter three discusses the efforts of the Spanish grammarians in explaining and illustrating grammar books that come from the East which were considered a basic tool in simplifying grammar for the Spanish Muslims .In this study I introduced the most popular books well-known for the people of Spain among which are 'Sibawayh book', "Al-Jamal" written by Al-Zujaji, "Al-Iedah" written by Abu-Ali Al-Fasi. Those books were explained by great scholars like Al-Shantamri, Ibn-Al-Batlayousi, Al-Labli and Al-Saffar.

Chapter four tackles the rejection of the linguists in Spain to some of the grammar issues mainly Al-thawani and Al-Thawalith and their rejection to the theory of the (Doer) like Ibn-Al-Mada'Al-Qortobi and Ibn-hazm who rejected such doctrines. In addition to that I presented the opinions of many Spanish linguists who rejected the idea of linguistic cause and its linguistic effects and the impact of that on grammar.

Chapter five introduces poetry used for teaching grammar in Spain used as a significant tool to simplify grammar and lessen the problem of syntax. A representative selection was chosen by the researcher as an example of the most popular types of poetry composed for that purpose. The findings and recommendations come at the end of this research.